

2272.6505.311
al-Misrātī
A'lām min Tarābulus

[illegible]

135-

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR



32101 017271519



عالي مصطفى المصري

أَعْلَامٌ مِنْ طَرِيبِ



مكتبة
مكتبة
مكتبة
مكتبة
مكتبة
مكتبة

al-Miṣrātī, 'Alī Muṣṭafā

على مصطفى المصراي

A'lām min Ṭarābulus

أَعْلَامٌ مِنْ طَرَابُلُسٍ

الطبعة الاولى

١٩٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة ماجي طرابلس الغرب- ليبيا

الاهداء

الى اول شهيد فاضت روحه في سبيل
عمروية ليبيا واسلامها ارفع كتابي هذا.

على مصطفى المصراوى

22725
26505
11C

تَقَالِمٌ وَتَقْدِيرٌ

بِقَلَمِ الرَّسَّاءِ الْكَبِيرَةِ مُحَمَّدَةِ ابْنِ أَبِي هَدِيدٍ

ارأيت السائح المستكشف اذا نزل لأول مرة في ارض لم يرها احد من قومه من قبل؟ انه يرى كل شى في تلك الارض عجيبا، شجرها وترابها وسمائها وماؤها وسحنة اهلها والوان اجسامهم ونغم حديثهم . كل ذلك يبدو له عجيبا وهو يجوس خلال تلك الديار الغربية عنه فيخيل اليه ان تلك الارض لم تطأها من قبله قدم ولم يعرفها من قبله احد وانه قد اطلع على شى خلقه الله لأول مرة عندما وقعت عينه عليه . وهكذا نحن عندما نتطلع مثل هذا السائح المستكشف الى القرون الماضية وندسس بين آثارها وما تخلف عنها من قطع محطمة او مرق مخرقة ، فيخيل الينا ان ذلك الماضى عجيب فى صورته بديع فى بنيته وتقف حياله فنعجب . ان يكون ذلك الماضى قطعة حقيقية من عالم كان يعيش مثلنا ويضطرب بمثل امانينا .. ويتألم بمثل ما نتألم له ويحلم بالاحلام التى مانزال نحن نتعلق بها . وقد استطاع الاستاذ على مصطفى المصراوى بكتابه هذا الذى بين ايدينا

استطاع ان يستخرج من اعماق الماضي عالما جديدا وان يوردنا معه قطعة من ذلك الماضي لنلمح معه طرفا من حياة الاجداد الذين عمروا الارض بالحياة المليئة ثم ذهبوا ولم يخلفوا وراءهم الا اثارا ضئيلة عفى عليها الزمن وجعلها كما قال الشاعر القديم - تبدو مثل وشم . حائل على معظم .. ولست اشك فى ان هذا الكتاب الذى بين ايدينا الان سيجمل معه الوفا والوفاء من ابناء هذه الامة اللببية والوفاء اخرى من ابناء ام اخرى من الشعوب العربية، لانه يرتاد لنا عصرا مشتركا نستمد منه جميعا..، ولنتسب اليه جميعا.. عندما كانت الشعوب العربية لاتعرف فيما بينها حدودا وعندما كانت تتعارف وتتمازج وتتزاور وتتشاور، وكل منها يقتبس مما عند الشعوب الاخرى وكل منها يهب مما عنده اقباسا الى الشعوب الاخرى..، كان العالم العربى عند ذلك عالما زاخرا بالحياة والقوة عامرا باسمى ما فى الانسانية من معانى السلام ومحبة العلم ورغبة الخير .

كان ذلك العالم العربى فى ذلك الوقت سيد العالم ولكنه لايعرف الطغيان ولا الكبرياء بل كان الناس فيه جميعا من نسل آدم وحواء ليس فيهم من يمتاز عن غيره الا بمقدار ما عنده من الفضل والعلم والخير . ولكن ذلك الماضي ايضا قد انطوى تحت الرمال واعتورته صروف الايام واصبح اكثره اشبه الاشياء بالجاهل التى يطلع العالم الحاضر على لمحات منها ولا يكاد يتبين معالمها..، وما اشد ما خسرت الانسانية باندثار ذلك العالم البعيد الذى كان يعتمد فى حياته على السلام والخير والتعاطف ، فها نحن اولاء نرى عالم اليوم وقد بلغ من معرفة اسرار الكون مابلغ..، ما يزال يشكو الشقاء والخوف والحقد، وما يزال يسرف فى ابتكار الات التدمير وما يزال يحرص على اذكاء العداوات على حين تشكو الوف الملاين مضاضة الجوع والبؤس فى الشعوب كلها .

* فنحن اذ نطلع على اخبار العصور الماضية لانملك الا ان نرثى انفسنا اذ

نعيش في هذا العصر الموسوم بالتقدم والتقن والاختراع .
ولكن الأستاذ المؤلف لم يجهد نفسه في اخراج كتابه هذا المتع بقصد اشعارنا
بهذا المعنى وان كنا نشعر به قويا واضحا، فانه اراد بتأليف هذا الكتاب ان
يصور لنا عصرا مضى كانت فيه ليبيا ارضا عامرة وكان فيه شعب ليبيا شعبا
حيا مستنيرا يحب العلم ويحرص على المعرفة ويأخذ نفسه في الحياة بالمبادئ
التي آمن بها واستخلصها من علمه ومعرفته ..، فهو كما يصور لنا الأستاذ
المؤلف يجمع بين وداعة الحياة وقوة النشاط ويهب كل ما فيه من حماسة
وقوة الى غرضين اثنين وهما تحصيل المعارف والتملؤ من عواطف الخير ، والأستاذ
المؤلف يورد في ثنايا صورته الرائعة معنى آخر أحب ان اقف عنده قليلا ... فذلك
العالم الماضي الذي يصوره لنا كان يمتاز بانه لايعرف الوطنية الضيقة كما
نعرفها في هذا العصر ، ولا يقيم وزنا للحدود السياسية بين الامم العربية كما
تفعل الدول الحديثة في العالم العربي فكان الرجل العالم ياتي من تونس
الى طرابلس فلا يأبه لشيء في اقامته بين اهل المدينة التي اختارها الا انها البلدة
التي اختارها. فهي وطنه الجديد الذي يحبه ويحله ويعترف له بالولاء وان كان
الشوق يعاوده احيانا الى المدينة الاولى التي نيطت عليه تامله فيها، وكانت مهد صباه
وشبابه الاول ، فالشوق والحنين الى الوطن الاول لا ينتقص المحبة والولاء للوطن
الاخير، وهو في الحالين يرى نفسه مواطنا في عالم واحد يمتد من المشرق الى
المغرب ويقيم فيه حين يحلولة المقام ..، ولكن الأستاذ المؤلف ينبجرف مع تيار هذا
العصر الذي نعيش فيه وهو عصر التقاطع واقامة الحدود والتغالي في الوطنية
فيورث لسلسلة ذهبية من اعلام الفكر والادب والعلم في هذه العصور الزاهرة
ولا تسخو نفسه بان يصورهم كما كانوا يرون انفسهم مواطنين في عالم واحد
حر لا يعترف بشيء من الحدود السياسية ، بل يتقن ويبدع بما شاء له قلمه

البليغ متعمدا ان ينسبهم الى وطنه العزيز وحده حتى لا ينافسه فيهم شعب
اخر من الشعوب العربية.. بل لعلنى لمحت من ثنايا صوره العذبة انه يود لو
استطاع ان ينسب الى طرابلس كل عبقري مبرز اتجهت نيته يوما الى زيارة هذا البلد
الامين. فنحن نلمحه من بعيد وهو ينظر الى الامام الغزالي مثلا كأنما يتمنى
لو استطاع ان ينسبه الى وطنه ليبيا ويتزرعه انتزاعا من اهل العراق ،
ثم نراه مرة اخرى وهو يضع يده فعلا على ابن منظور ونسأل الله ان
يسلطه على اهل مصر .

على انه وان اتيح لنفسه مثل هذا التبحر لليبيا او لطرابلس خاصة ليس
بدعا بين المؤلفين ولا بين الادباء فانه يقصد من وراء هذا الجهد الى معنى
آخر لايسع المصنف الا ان يحمده ويقره . فان الشعوب الفتية فى اشد الحاجة
الى معرفة ماضيها الجيد .. ونحن فى وقتنا هذا نتطلع الى المستقبل فى حيرة.. ولا
تتناهى لنا الهداية فى سيرنا نحو هذا المستقبل الا من قبل ماضيها . فلاطلاع على
سيرة هذا الماضى هو الذى يحفزنا الى ترسم الطريق الذى نستقبله ، والتعرف الى
اصولنا . هو الذى يسدد خطانا ويجعلنا نعرف كيف نسلم التراث الموروث الى
أبنائنا.. فاذا كان الاستاذ المؤلف قد ابدع فى تصوير حياة العباقره الذين ازدانت
بهم طرابلس فى الماضى.. فانه يوحى الى ابناء هذا الجيل بان المستقبل متسع
لمثل ما اتسع له الماضى وانهم يستطيعون ان يبلغوا من المجد والمعرفة وحب
الخير والتجرد من سفاسف العواطف مابلغه من قبل اجدادهم الذين عرفوا كيف
يمسكون الحياة علما وفضلا وخيرا ، ولست اقصد من كلمتى السابقة شيئا سوى
المراجعة والمناقشة.. والا فان التنافس على انتساب اهل الفضل عاطفة من اسوى
العواطف وادعائها الى الفضل ..، وليس ببعيد عن الأذهان تنافس العرب
والايرانيين على انتساب ابن سينا ولا تنافس بلاد الشرق العربى كلها على

مثنوى الحسين سبط الرسول عليه الصلاة والسلام..، واما الجهد الذى بذله الاستاذ على مصطفى المصراتى المؤلف فى تصنيف هذا الكتاب واخراجه فى صورته البديعة فقد مرت به بغير ان أبين ماوقع فى نفسى منه وانا اقرأ فصول الكتاب واتأمل الصور التى لونها بلمساته الخاصة التى يمتاز بها قلمه..، فانه يستمد مادة هذه الصور من موارد ما أقلها . وما اشق الوصول اليها . انه ليلتقط العبارة الصغيرة او اللفظة الصغيرة من الكتاب الضخم بعد ان يفحصه كلمة كلمة وانه ليجول جولات واسعة فى البحث لعله يجد بيتا من ابيات الشعر او اسما من اسماء الكتب فاذا فاز بشئ من ذلك عكف عليه بالتحليل والتفسير حتى يستقطر منه حقيقة جديدة او لمحة تضىء له سبيله . فما اشبه جهده بجهده هؤلاء الباحثين عن اسرار الدهر الغابر اذ يحفرون وينقبون حتى ينفوزوا بقطعة من الاثر يستعينون بها على رسم صورة الهيكل الكامل . . .

وهذا جهد يكفى وحده لاثارة اعجب الاعجاب.. وابدع الثناء... فقد استطاع الاستاذ المؤلف بهذا العمل ان يضرب مثلا فى الصبر والناة والاخلاص فى البحث وما أجمله من مثل يضعه امام الجيل الناشئ من ابناء هذه البلاد لعلمهم يسارعون الى تجلية مامر على بلادهم من مجد وما طمرته عصور الظلام من علم وخير . وما أجدر ابناء ليبيا الحديثة ان يبصروا ما كان لابائهم من مفاخر ويعملوا على احيائها والاضافة عليها .

مجل فريد ابو حديد

رسم الغلاف من ريشة الفنان الاستاذ فؤاد
الکعبازی ، وعناوين الفصول من خط الاستاذ
ابو بكر سیداسی ،
وشکرا للاستاذین الفاضلین

ع ۲۰۰

بکرا سیداسی

مقدمة

طرابلس الغرب اسم حلو عذب، سمعته لأول مرة من امي وابي وهما يقصان على مسامعي تاريخ هذا البلد، وقصص البطولة فيه وادوار الجهاد الوطني، لابنائهم، وكاننا مشردين مهاجرين فرا من اضطهاد الاستعمار الظالم مع آلاف المهاجرين وقوافل القادمين على الابل والاقدام، قاطعين الصحراء اللافحة، تاركين وطننا مغضوبا.. قادمين ارض مصر الحبيبة الكريمة قبلة الاحرار وملجأ الكرام، ونشأت في مصر متلهفا على رؤية هذا البلد العربي وضرب الاستعمار البغيض بيننا بسور منيع وستار فولاذي واسلاك شائكة... وكنا ابناء المهجر نجتمع ونتتبع القضية وسيرها ونترقب يوم العودة والخلاص ولم نتحلى زيارة هذا البلد الا في سنة ١٩٤٨ حيث قدمت الهيئة الرباعية الدولية التي جاءت لليبيا لتستقني اهلها عما يريدون في المستقبل وما هي مطالبهم وامانيهم، حينذاك اسرعت الى طرابلس لأول مرة خطيبا وداعيا الى المطالبة بالحرية وطفة ليبيا بلدا بلدا، وقرية قرية، اخطب من الاعماق الحب واحمى، وانا دى بالاستقلال والحرية، متطوعا متبرعا، تاركا دراستي واهلي في مصر ثم رجعت الى اكمال الدراسة وعدت الى طرابلس سنة ١٩٤٩ بعد ان صدر قرار هيئة الامم معترفا باستقلال ليبيا، واخذت انقب عن التاريخ وابحث عن كل ما يتصل بهذا البلد الكريم، واكثر ما همنى وصرفت اليه مجهودي، الجانب الثقافى والفكرى، جانب تراجم الاعلام والعلماء والادباء فقد كتب في التاريخ السياسى والتاريخ القومى كثير وكثير، والفنت فى

هذه الناحية كتب عديدة منها الثمين والغث والخيـد والردى والموجز والمطول ، والمترجم والمقتبس ، .. ولكن تراجم الاعلام باب لم يطرق وجانب لم يلمس ، مع انه ناحية هامة وتراجم الاعلام مرآة تنكس عليها صور من الحياة الفكرية ويلمس منها مدى التطور الادبى الذى هو مقياس الحضارة والرقى ولكنه فى هذا البلد عسير صعب ، لندرة المصادر وتعذر المراجع وتناثر المعلومات وقتلها ، ثم ما اصبحت به البلاد من هزات عنيفة وكوارث مؤلمة ونكبات متنوعة وما اصابها من استعمار ديكتاتورى بغىض اسود زهاء ثلاثين عاما كاد يقضى على كل ما لها من صلة بالعروبة والفكر الاسلامى ، ومن جراء هذا كله ذهبت اكثر الآثار القيمة والمؤلفات التى كتبها اعلام الفكر والادب والفقه ، وامتدت يد السرقة والنهب والجهل الى تلك الآثار فكاد ان يصبح هذا الجانب قاعا يبابا اجرا .. وهذا ما دفعنى الى مواصلة الجهد والتغلب على كل الصعاب .. وحاولت ، وما الحياة الا محاولة .. والمحاولة تتطلب الصبر والانكباب والبحث عن الشوارد والاوابد والمخطوطات والرقاع والاوراق ، المبعثرة المهملة ، ويعلم الله انى نى هذا لقيت نصبا وتعبا ولكن فى سبيل الفكر يهون كل صعب ويتحمل كل عسير .. وكم ضحك منى زملاء عندما رأونى ابحث عن تاريخ الاعلام واترك الموضوعات الاخرى السهلة التى فى المتناول ، ولكنى واصلت المحاولة وبدأت القى فى تراجم الاعلام والشخصيات العلمية ، محاضرات ، وانشر مقتطفات فاذعت من مذياع (لندن) (ومحطة الشرق الادنى) ومحطة (هولندا) ومحطة (اذاعة طرابلس المحلية) والقيت فى الصيف الفئات محاضرة فى قاعة مدرسة طرابلس الثانوية (ونشرت عددا من التراجم فى جريدة طرابلس الغرب) ومجلة (القلم الجديد) الصادرة فى شرق الاردن ، ثم كتبت مجموعة اخرى لم

تذم ولم تنشر، حتى اجتمعت لدى من هذا تراجم متنوعة لشعراء وادباء وفقهاء من العصور المختلفة من القرن الرابع الهجري حتى العصر الحالي ... وآثرت ان ابتعد عن التاريخ المعاصر والتاريخ القريب فان هذا له مجالات اخرى ، وآثرت ان اجمعها في هذا السفر الذي اقدمه لقراء العربية خوف الضياع والتلاشي ... ولا ازعم ان هذا كتاب منسق مرتب منظم ، فان مشاغلي الكثيرة تحول دون الترتيب والتنسيق ، فقدمته اليك كما هو على علاته وقد كنت نى بادىء الامر مترددا في جمعه وطبعه ومرة اقدم ومرة احجم عن الطبع لاجل التنقيح والزيادة ، ولكنى تذكرت كلمة العماد الاصفهاني ، وقد جرب التأليف والتقديم

(انى رايت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان احسن ، ولوزيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ... »

بقى جواب لسؤال قد يجول فى خاطرك .. كيف تكتب عن اعلام من طرابلس ولا تكتب عن برقة الحبيبة وفزان الكريم ؟ كيف تكتب عن جزء من ارض الوطن ولا تكتب عن ليبيا ، وائت من دعاة الوحدة ؟ بل قاسيت فى سبيلها الوانا ، ولاقيت كثيرا ؟ انى او من بوحدة هذا الوطن .. ولكن فى هذه التراجم اكتب عن ناحية من نواحيه ، وجزء من اجزائه كما يكتب الكاتب المصرى عن الاسكندرية مثلا كتابا خاصا وعن علماء اسبوط او قنا ، او يكتب الكاتب الشامى كتابا عن حلب او علماء دمشق ، هذا من ناحية ، ثم انى لم اجد مصادر تسعبنى ومراجع تكفينى فى العصور التى طرقتهما من التاريخ الاسلامى ، ومن ناحية ثالثة ساقدم

لقراء العربية بعد قليل لونا آخر من الدراسة الثقافية الفكرية فى ليبيا (مدرسة
(الجغوب واثرها الفكرى والاجتماعى) مدرسة محمد بن على السنوسى والنهضة
الفكرية التى احدثها فى القرن الماضى ، وسيكون ذلك فى كتاب مستقل خاص
يتناول جانباً من التطور الفكرى فى البلاد اما قبل (مدرسة الجغوب)
فلم اجد ما يكفى من دراسات ومراجع واذكر هنا كلمة (يحيى بن خالد)
لا يزال الرجل فى فسحة من عقله ما لم يقل شعرا او يؤلف كتابا - وقالوا
من الف فقد استهدف ، فانا هدف للناقدين ، ولكنى استميتهم عذرا فى ان
هذا مقدار اجتهادى فان احسنت فلى اجران وان شط المقال واسات فان لى
اجرا واحدا ، يكفينى ويرضينى ، فقد حاولت ان اجعل من هذه التراجم الادبية
لبنة فى التاريخ الثقافى والتطور الفكرى لبلد اسلامى وعربى ، هذا سهمى
ادفعه وكتابى اقدمه ، وهو اول بحث من نوعه فى تاريخ البلاد العلمى
والادبى ، ومن الطريف العجيب عندما كنت اذيع وانشر بعض التراجم
كان احد ادعياء الادب يسطو عليها برمتها وياخذها بعجرها وبجرها ونصها
وفصلها .. ويقرأها فى احدى اذاعات الشمال الافريقى وينسب المقالات اليه
وانها من قلمه ومجهوده ، ويصنع هذا بكل تبجح ودون اشارة الى الكاتب ،
وكم من مرة سمعت باذنى وسمع زملائى واهل طرابلس هذا الدعى الساطى
يقرأ مقالا تى بالحرف الواحد ويذيع ما انشره من تراجم وينسبها لنفسه
وكتبت مقالا عن السرقة الادبية واشرت ، اليه .. ولكن اللص غير المؤدب
تجراً وسار فى طريقه مكررا الطريقة ، والان وقد اصبحت المجموعة منشورة
مبسوطة فى كتاب مطبوع ، فله ان يقرأ منها ماشاء وله ان يذيع ما
يريد فلا يهمنى الان كثيرا بعد ان خرج الكتاب وطبعت التراجم ولكن
انصحته ، ان السرقة الادبية ستؤلم ضميره ان تحرك ضميره يوما ما ... ولن

اطيل عليك المقدمة فكتابى يقدم نفسه ، ويكشف عن ذاته ، ومن حسن
الخط ان يخرج هذا الكتاب فى عصر تتمتع فيه البلاد بالحرية والاستقلال
وهى فى فجر نهضة مباركة فى عهد المجاهد المكافح ادريس الاول جعل
الله عهده للامة زاهرا وبالمجد عامرا حتى تاخذ مكانها فى ركب العروبة
السائر نحو القمة والسلام .

على مصطفى المصرانى

العالية كلية اصول الدين
العالية مع اجازة التدريس
كلية اللغة العربية

طرابلس الغرب ١٩ اكتوبر ١٩٥٥

تراجم ودراسات

∫

مَدْيَنَةُ طَرَابِلُسْ

كما يصفها الرحّالون العرب

عندما كنت في مصر طالما اشتقت الى طرابلس باب المغرب وسيدة الصحراء وطالما تصورت منها صورة ذهنية وكنت استمع لوصفها من الاهل والاقارب والاصدقاء حتى اذا ما كبرت قليلا ذهبت الى كتب التاريخ والى مشاهدات الرحالين على اجد في ذلك صورة او صورة عن طرابلس واثارها ورجالها فتكون عندي من ذلك صورتان . صورة من القصص والاحاديث والاسمار وصورة من الرحلات .

وتشاء الظروف او يشاء الله ان ارى طرابلس واحل بها واعيش فيها اياما طويلا فكونت من هذا الصورة الثالثة عن طرابلس ... صورة المشاهدة والرؤية والاحساس ، ولكن الصورة التى قدمها لنا وحدثنا عنها الرحالون من العرب فيها طرافة ، وبها دراسة وهى صفحة من صفحات التاريخ ومطور طيبة من الذكريات . فقد كانت طرابلس معبرا ومبيلا للمشاركة الذين يريدون التوجه الى المغرب او بلاد الاندلس . كما كانت بطبيعة الحال معبرا ومبيلا للمغاربة والاندلسيين الذين يريدون التوجه للمشرق .. ومن هنا كانت طرابلس محط هاما وموقعا طيبا ياخذ ويعطى . يستقبل ويودع وكانت الرحلة

للحج اولطلب العلم فى الازهر او لطلب المجد والطمح وقد مرت بطرابلس
الجيش الاسلامى والقوافل العربية وركاب الحجيج وطلاب العلم وطلاب
المجد وكل راحل وقادم من هؤلاء اخذ صورة وكتب
صفحة عن طرابلس باب المغرب وطريق الاندلس وسيدة الصحراء... وفى كلمتى
هذه ساعرض لونا من احاديث بعض الرحالين عن مدينة طرابلس... واكثر الرحالة
حديثا عن مدينة طرابلس واصدقهم قولا واحسنهم مرجعا هو (التيجانى) كانت
رحلته للحج فى القرن الثامن عام ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م واقام بطرابلس عاما ونصف عام
واسمع معى التيجانى يصف مدينة طرابلس اعزها الله (ولما توجهنا الى
طرابلس واشرفنا عليها كاد يياضها مع شعاع الشمس يعشى الابصار فعرفت
صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء وخرج جميع اهلها مظهرين الاستبشار
رافعين اصواتهم بالدعاء) .

ويصف التيجانى عظمة طرابلس وآثارها ومدارسها وواليها والحمامات والشوارع
(ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرايت حماما صغيرا الساحة الا انه قد
بلغ من الحسن غايته ومن الظرف نهايته وهو الان محبس على بعض المساجد) .
والشوارع الطرابلسية الجميلة يمر بها الرحالة التيجانى فيعجب .
بالهندسة ويعجبه النظام وتروعه النظافة فيقول (رايت شوارعها فلم ار
اكثر منها نظافة واحسن اتساعا واستقامة وذلك ان اكثرها تخترق المدينة
طولا وعرضا من اولها واخرها على هيئة شطرنجية فالماشى يمشى مشية
الرخ خلالها ورايت بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم اره لمدينة سواها)
ويصف ابواب طرابلس وموقع الغنم وباب البحر ومنتهزاتها (ويخارج
باب البحر منظر من انزه المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة واما
داخل البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة او كرمه) .

والازهار والرياحين والنرجس والورد المختلف العجيب يملأ طرابلس (وينبت بخارج البلد صنف من اصناف النرجس دقيق الورق لم اراقوى منه فوحا ولا اعطر روحا وبالبلد مساجد كثيرة مشهورة ومدارس كثيرة) ويزور هذا الرحالة المدرسة التى اسسها ابن أبى الدنيا المحدث الطرابلسى المشهور ويحضر بعض الدروس فيها ويذهب الى اضرحة العلماء والادباء ويسال عن كتب علامة طرابلس ولغوياها الفذ ابى اسحاق الاجدابى ويزور قبره ويشاهد بعض رسائله وكتبه بخطه وبعد ان يمكث بطرابلس المدينة عاما ونصف عام يودعها بقصائد طيبة ويثبتها فى رحلته :

وقال البكرى فى رحلته (واهل طرابلس احسن خلق الله معاشرة ، واجودهم معاملة ، وابهرهم بغريب وعلى مدينة طرابلس سور جليل البنيان ، وهى على شاطئ البحر ، ومبنى جامعها احسن مبنى ، ولها اسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة ويطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعب مقصود ، وفيها رباطات كثيرة ياوى اليها الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب ومساها مامون من اكثر الرياح .

وهذا الرحالة العياشى ياتى من اقصى المغرب يسعى ويحل ضيفا على طرابلس فى القرن الحادى عشر سنة ١٠٧٢ هـ - ١٠٦٠ م فيقول (كان دخولنا مدينة طرابلس قرب ظهر يوم الاربعاء ١٧ رجب وهى مدينة مساحتها صغيرة وخيراتها كثيرة ونكايتها للعدو شهيرة ، ومآثرها جلييلة ، ومعائبها قليلة انيقة البناء مجسمة الغناء ، عالية الاسوار متناسبة الادوار ، واسعة طروفها سهل طروقها) . ويعجب العياشى باخلاق الطرابلسيين وقوة ذكائهم وكثرة حذبهم على الغريب وحبهم له فيقول فى رحلته (الى ما جمع لاهلها من ذكاء الاوصاف وجميل الانصاف وسماحة على المعتاد زائده . وعلى المتعاقبين

بانوع المبررات عائده . لا تكاد تسمع من احد من اهلها لغوا الا سلاسا .
ولولن استحق ملاما سيما مع الحجاج الواردين او الى من انتسب الى الخير
من الفقراء العابرين فانهم يبغالون فى اكرامهم) ويصف العياشى ابواب
طرابلس ومساجدها وعلماءها ورياضها ويذكر فى رحلته كثيرا من الاخبار
والاشعار الا انه والحق يقال ويكتب كان العياشى مخرفا فى التاريخ كثير
الاعتقادات فى الاولياء والكرامات فمن الخرافات التى رواها «العياشى» عن
مدينة طرابلس ان اهل المدينة كانوا اهل دنيا عريضة ومالهم بالحرب عبدة وقدم عليهم
سبعة من الاجانب تجارا نزلوا بالشاطيء واشترى طرابلسى من عندهم
واستضافهم رجل آخر وقد قدم لهم مائدة ودق ياقوتة ثمينة دقا ناعما وذرها
على الطعام فبهت الاجانب من هذا الصنيع فلما اكلوا قدم لهم «دلاعا»
وطلبوا سكيننا فلم يجدوا فى الدار ولا عند الجار الى ان اشتروا من السوق
سكيننا فلما رجع الاجانب الى ملكهم قالوا ما راينا بلدا اكثر من طرابلس
مالا ولا اقل سلاحا واعجز عن المدافعة ، وكان بعد هذا ان اخذت طرابلس فى
ليلة واحدة، هذه خرافة طبعا كيف لا يوجد فى البيت سكين وصاحبه
ثرى ثم كيف يدق الياقوت على الطعام ؟

مكث «العياشى» فى طرابلس اشهرا قليلة ونظم فيها اشعارا كثيرة من
نوع شعر المتأخرين الذى يقعد على الطريق مدليا بلسانه منها قصيدة تبلغ ١٥٠ بيتا
سماها نفثة المصدور الى الاخوان والصدور ...، وهى مع ذلك مرجع طيب
اما الرحالة ابن جبير الاندلسى

فكانت رحلته فى القرن السادس سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م ولكنه مع الاسف لم يذكر
شيئا فى رحلته عن مدينة طرابلس وذلك انه رحل عن طريق البحر فى سفينة
صغيرة من غرناطة الى الاسكندرية واستغرقت رحلته الخطيرة ستة اشهر وصف

الاسكندرية وعمودها ومصر واهرامها ولكن طرابلس لم تظفر منه بشي
واما الرحالة ابن بطوطة فكانت رحلته فى القرن الثامن سنة ٥٧٢٠ هـ ١١٣٢ م
يحدثنا ابن بطوطة عن طرابلس فى سطور قليلة وكلمات ضئيلة هزيلة (ثم خرجنا
من قابس قاصدين طرابلس وصحبنا فى بعض المراحل نحو ١٠٠ فارس ووصلنا
مدينة طرابلس واقمت بها مدة وكنت عقدت بصفاقص على بنت لبعض ابناء تونس
فبنيت عليها فى طرابلس وخرجت من طرابلس فى اواخر محرم واقام الركب فى
طرابلس خوفا من البرد والمطر وتجاوزنا مصراتة وقصر سرت ووقع بينى وبين
صهرى مشجرة اوجبت فراق بنته الخ .)

ولعل من الطريف ان اذكر هنا معلقا ان ابن بطوطة لم يذكر شيئا عن
مدينة طرابلس سوى انه دخل وتزوج ثم طلق فى سرت ثم تزوج مرة اخرى
ان ابن بطوطة كان مشغولا بالزواج اى كان عريسا فى طرابلس ولم يكتب
شيئا فى مذكراته ويومياته وايام اقامته فى طرابلس خوفا من البرد والمطر هذا
لايكفيانا من ابن بطوطة عن طرابلس المدينة العظيمة وقد نلتبس له سببا آخر
لعل ابن بطوطة كتب شيئا عن طرابلس ولكنه ضاع وذلك لان هذه الرحلة
التى فى ايدينا ليست كما كتبها ابن بطوطة بل هى من ضم وجمع (ابن جزى
الكلبى) كما ان رحلة ابن جبير الاندلسى التى بايدينا جمع وضم (ابى الحسن الشامى)
لعل هذا هو سبب الاختصار او الاغفال ومهما يكن من امر فان ابن بطوطة
ما انصف طرابلس كما انصف القاهرة والاسكندرية والهند والسند واما الذين
كتبوا فاكثروا واشبعونا كتابة فهم التيجانى والعياشى والبكرى والعبدى وصاحب
كتاب تفريج الكرب الحشائشى سيدى القارى يظهر ان قلمى انزلق على الورق
فامسك به الان وموعدى معك فى ايام مقبلة حيث احدثك عـن رحالين آخرين
ثم احدثك عن طرابلس فى الشعر العربى .

الاديب العالم والباحث الدارس

أبو الحسن بن المنذر

٣٤٨ هـ ٩٥٩ م - ٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م

أبو الحسن بن النمر

هذا رجل من رجال طرابلس شارك في ميدان العلم فكتب والف، وافاد ودرس، وساهم في ميدان الادب .. فسمع وروى ونقل وحاضر، وناقش وحفظ واستوعب ..، وشارك في ميدان السياسة فغمرته وقدمته واخرته ..، حتى جنت عليه حوادثها فكان ضحية من ضحايا الاضطهاد والنفي والغضب ..، واشترك في الحياة الاجتماعية فلم يكن شيخا منزويا ولا منقطعاً عن موكب الحياة .. بل كان حيويًا اعطى للحياة سهامها حتى راشته السهام ... وسافر وارتحل وتغرب وشرق ..، فكان مستفيدا مطلعاً اخذ من تجارب حياته صلابة الرأي وقوة الفكر والصمود للحادثات مهما بلغ عنف تيارها. فكان ابو الحسن على بن النمر في طرابلس علم وقته وشيخ زمانه ورائد قومه ..، في سبيل مذهبه ورايه دفع راحته وطمأنينته ... وجاهر برأى عندما كان كل الناس يضعون آراءهم في اكمامهم وكانت تدور همسا فجعلها علانية رغم ما تألب عليه وما جرت له الحوادث من زعزعات وكوارث كانت صفاته من قوة الارادة والجرأة المثلثة بالمعرفة والمحوطة بالادب والفطنة صفات حمد وثناء ولكنها تاجر احيانا على صاحبها المصاعب والارزاء. وهو من اقدم رجال الفقه والرأى في طرابلس الغرب اذ كان من رجال القرن الرابع الهجري وعلى وجه التاكيد كان مولده سنة ٣٤٨ هـ - ٩٥٩ م بمدينة طرابلس ولد في بيت فيه نعمة وثناء ودار متسعة الارضاء مفتوحة الابواب للوافدين شأن الكرماء وكان بيت ابن النمر في وسط المدينة ملاصقا لمسجد (ابي مسلم

مؤمن بن فرج الهواري) وقد اطلق هذا الاسم على ذلك المسجد لان «أبا مسلم» كان يدرس فيه ويفصل محكم الايات ويبسط جوامع الكلم ..، فى عهد ازدهرت فيه علوم الحديث وفروع الدراسات الاسلامية.. وقد توفي ابو مسلم هذا سنة ٤٤٢هـ - ١٠٥٠م بطرابلس ومن نافلة القول ان نذكر كيف درس ابن المنمر فهو بلا شك سار على درب اترابه من دراسة القرآن حفظا وعلوم الاوائل على طريقة السلف..، غير ان نضج الفتى ظهر قبل اوانه وتفتحت بشائرنبوغه حتى وهبه اهله للدراسة والتبحر فيها..، وقد كان له ميل الى (القرآن) وما يتصل بفن (الميراث) من حساب وتقويم وتقدير وضرب ..، وكان فن الميراث يتطلب حضور ذهن ودقة انتباه .. وكان ابو الحسن بن المنمر صاحب رحلة ونقلة وقد استفاد من رحلاته وتنقلاته تأدية فرض الحج ثم ملاقات اهل الفكر والادب والعلم من شيوخ واساتذة . فقد اتيحت له جلسات مع الفقيه ابى محمد ابى زيد فنهل من فيض تبحره .. ودرس مذهب مالك دراسة خبير فاحص وناهيك (بابى زيد) اذا حدث فى فقه مالك وناهيك بابن المنمر اذا جلس للاستيعاب والالتقاط ... استاذ ممثلى وتلميذ فهم عطوش ان صحت هذه الصياغة..، وفى رحلته الى مكة ام القرى صقلت ملكته الادبية عندما زج بنفسه فى حلقات اهل الفكر والادب ورواة الشعر من الذين كانت تموج بهم مكة المكرمة وخاصة فى مواسم الحج حيث تتلاقى الافكار وتتلاقح العقول ... ويكون فى سوق الادب والفن صادر ووارد وآخذ ومعطى ..، وعند مكة فى عصورها الزاهرة وفى ظلال الكعبة المكرمة نبتت آثار طيبة وكانت ثمرا طاهرا من لقاح العقول والصدور ..، وكان ابن المنمر عندما وفد على مكة فى سن مكتملة وعمره ١٤ عاما فى سنة ٣٨٩هـ - ٩٩٨م استوت رجولته ولكنه ما زال نهما للاستفادة وتطلب العلم والتقاط شوارد الادب وهل كان يعرف اولئك الرجال الافاضل سنا يقف فيها طالب

العلم عن الاخذ والتداول والرواية والسند والاستناد ؟ .
 وفي مكة لقي ابن النمر الشاعر الاديب الطريف «احمد بن زريق
 البغدادي» صاحب القصائد التي تدم عن نفس هزها الحب واحرقها الشوق
 المتنازع ..، واخذ الطرابلسي يصغى الى ابن زريق البغدادي ويروي عنه معجبا
 به متأثرا من دقة احساسه واحتراق انفاسه ..، وكم من امسية عند ظلال
 الكعبة المقدسة اخذ ابن زريق يروي قصائده وابن النمر وغيره من رجال الادب
 والفكر ينصتون ويروون ...، ويلتف حول ابن زريق ليف من الاجناس المتعددة
 الذين قدموا مكة ولا عجب فشعر ابن زريق جذاب بل كان يقال قديما
 «من تختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف»
 وقد استكمل ابو الحسن بن النمر الطرابلسي كل اسباب الظرف والادب
 فهو انيق ظريف فصيح طليق ذليق وهو يصغى كل الاصغاء لاستاذه ابن
 زريق وهو يردد

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
 جاوزت في لومه حدا اضربه من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
 وقصيدة ابن زريق قد انشدها بمكة ونظمها هناك ولم ينظمها ببغداد
 فهو يحترق ويسمع الملتفين حوله

استودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الازار مطلعـه
 ودعته وبودي لو يودعني طيب الحياة واني لا اودعه
 وكم تشفع بي الا افارقه وللضرورات حال لا تشفعه
 ترى كم من مرة ردها ابن النمر؟ وكأنه يستودع شيئا له في طرابلس؟
 وما يدرينا لعله وجد في قصائد ابن زريق وحرقات انفاسه صورا فنية واحاسيس
 مشابهة !..، فقد كان من تلامذته رواة شعره والمعجبين بانشاده غير ان الفرائض

والمواريث وحساب الازمنة والامكنة وفروع المسائل الفقهية والمذهبية وحوادث مجتمعة ، كل ذلك غطى على شخصيته الادبية وكشف عن معالم اخرى من شخصيته الفذة ..، وكما جلس الى ابى زيد يستوعب مسائل الفقه وجلس الى ابن زريق يروى الشعر الطلى فانه يجلس الى الشيخ ابى القاسم عبد الرحمن الجوهرى فيروى عنه وينقل منه ويتلمذ عليه ..، فيكون قد استكمل الدعائم الثلاث الفقه والادب واللغة ..، وهى مقومات الشخصية العلمية فى عصور مضت ، وعاد ابو الحسن ابن المنمر الى بلده طرابلس بعد ان ادى فرضا واكتسب جديدا واراد ان يسهم فى الدرس والتوجيه وكانت حلقات المساجد مجالا لنشاطه وان كان يتطلع الى اكثر من هذا فهو لا يكتفى بالدرس والشرح بل كان اكثر نشاطا وحيوية

وفى مجال التأليف قدم كتابه (الكافى) الذى عد عمدة فى فقه ومرجعا فى بابيه ودرسه علماء المشاركة وعلماء المغاربة وأشار اليه «ابن خلدون» كان ما يكتبه ينقله تلامذته ومريدوه باثقان وعناية.. ومنذ عودته لطرابلس اشتغل بالتأليف والتدريس ولكن ليس هذا فقط ما يظهر اثر شخصيته بل نجد فى تاريخ هذه الفترة موجة تكتسح البلاد بل تكتسح الشمال الافريقى كله . موجة عاتية مزججة من المذهبية والطائفية والاراء التى انتقلت من حلقات المساجد والسنة العلماء والفقهاء الى رؤوس الحكام واهل السياسة..، فوجدوا فيها ميدانا لما يريدون والتوجه بها نحو ما يبتغون وكم شهد تاريخ السياسة وتاريخ الثقافة الوانا من المذاهب والطوائف والملل والنحل تطورت وانتقلت من المناظرات والمجادلات من بطون الكتب الى اروقة السياسة..، بل الى ميدان التطاحن الحربى بدل التطاحن اللفظى والخلاف المذهبى..، وهذا ما يسطره كثير من تواريخ فترات ودويلات وقلل وشخصيات ومدارس تجدها

مبسوطة ظاهرة فى مكان بحثها،...ولا يهمننا من هذا كله هنا الا شىء واحد ..، هو ان صاحبنا الذى نترجم له قد غمرته امواج من الخلافات الموجودة فى ..عصره وزمنه خلافات فى آراء مذهبية واجتهادات فكرية وتطاحن بين القوة الحاكمة باسم ذلك رأى ... الذى تملكوا به الشمال الافريقى كله وبين آراء اخرى درسها وآمن بها وتمعن فيها الفقيه الفرضى ابوالحسن على بن المنمر ...، وكان الصراع عنيفا بين (آل عبيد) الذين نشروا «الرفض» وبين ابن المنمر الذى اراد ان يبسط مذهبها دراسة وتعمق فى اصوله وفروعه ... هو لا يريد من نشر آرائه الا ابانة الكتاب والسنة ومذهب ابن انس وهم يريدون امورا اخرى من السياسة والتملك وسيطرة الادارة وكان من الصعب جدا ان يجاهر ابن المنمر بما جاهر به وخاصة فى هذا القرن وفى تلك الفترة بالذات سنة ٨٠٤هـ وكاد يندثر مذهب ابن انس وقد ضاعت آثاره وتأثيراته لولا ابن المنمر الذى جده فى طرابلس الغرب واحياه من مواته واعاد الناس الى حظيرة اهل السنة والجماعة وهو كما اثبت الباحثون .. اول من اقتطع من الاذان عبارة كانت تكاد تكون شعارا (بنى عبيد) (حى على خير العمل) ورفض ابن المنمرالرفض وجاهر بالاذان المعهود (حى على الصلاة) وكان الاذان طبعاً يتطلب جهرا واجهارا فكان سببا فى تالِب (بنى عبيد) عليه والنظر بروح الاحتياط منه ..، ثم هو لا يكتفى بهذا بل يدعو الناس الى صلاة الضحى التى كان اهل الحل والعقد فى بلادهم قد منعوا منها الناس وشددوا فى المنع حتى القى فى البحر من صلاها... فجاء ابن المنمر يدعو الناس علانية الى احياء هذه السنة صلاة الضحى، وليس هذا فحسب بل هو يجد البلاد قد قطعت سنة حميدة، سنة صلاة القيام وصلاة التراويح خوفا من سيطرة (بنى عبيد) الذين منعوا الناس منها وشددوا..، ويذكر التاريخ حيلة من حيلهم فى المنع ان يقرأ المصلى لها ختمة

كل ليلة وكان ذلك يشق على الناس فتركوها كما يريد (بنو عبيد) وكما
تطلب اراؤهم فكان ابن المنمر داعيا الى احياء سنة التراويح والاقامة كل هذا
جعله في مستوى النظر او مصاب المرمى والهدف...، فما كانت هذه الشعائر
تقام او يجروا احد على التحدث في شأنها لما كانت من ظروف مذهبية
مشددة سيطر بها (بنو عبيد) في القرن الثالث وشيئا من القرن الرابع وهي
في الواقع خلافات لا تقدم ولا تؤخر في جوهر العقيدة، ولكن كما سبق ان
اشرنا هي موجات من الفكر والاراء احتضنها - بنو عبيد - كي يشقوا طريقهم
نحو التسيطر والتحكم .. ولكن ابن المنمر العالم الورع الذي يريد احياء سنة
رسوله وشعائريه ابي ان يرى تشددا فيصمت او معروفا مهجورا فيسكت
او منكرا منتشرا فيسكت فتصدى شان العالم المسلم الصادق لـ الامير المعروف
والنهى عن المنكر واحياء السنة المحمدية ، وقد حدث الشيخ ابو الحسن
القاسبي عن صنيع (بنى عبيد) في القيروان وغيرها من هذا الحديث نستطيع
ان نفهم مقدار ما كان يعانيه ابن المنمر في طرابلس ويتحدث القاسبي عن
الموقف الذي وقفه الشيخ ابو زيد القيرواني هناك وهو استاذ ابن المنمر الطرابلسي
فكان موقفا فيه من الحنكة والتدقيق ما جعله بمنأى عن العنف والشدّة اما
صاحبنا وتلميذه ابن المنمر في طرابلس فقد شاءت الظروف والاحوال ان يصطدم
مع (بنى عبيد) اصطداما عنيفا حتى انتهز بعض الفرص واراد الايقاع بهم
مقابل ما صنعوه من عنف وتشدد .. فاشترك في السياسة وهذه السياسة آفة
ملعونة في كل عصور التاريخ شرها اكثر من خيرها، وضررها اكثر من نفعها -
ولهيبها ، يؤذى اصحاب الفكر والعلم غالبا، وما كان اشتراك ابي الحسن
على بن المنمر في مجال السياسة قاصدا به ماربا خاصا انما ساقته الاحوال
ودفعه الدفاع عن الاراء المذهبية التي أنبرى لحفظها وصونها من التداعي

والانهيار ... ولكنها كانت خطة جرت عليه كارثة بـلـل محنة
وفي الاضطرابات السياسية التي هزت البلاد واجتاحت اكثر الشمال
الافريقي كان ابن النمر يود لو يجد من يسند آراءه ويعضد به مذهبه ويجاهر
في ظله بافكاره الفقهية واجتهادات اصحاب المذهب السني الذي حمل لواء الدفاع
عنه، وعندما قتل (زغبة) سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م سعيد بن خزون وجد ابو الحسن ابن
النمر الفرصة السانحة لبث دراسة منهجه الذي سلكه واحياء آراء مالك بن
انس ... بل ليس هذا فقط بل نزل ابو الحسن ابن النمر الى ميدان السياسة
وخاض في معامع الحوادث بكل جهده وكل حواسه حتى اشرف على الهلاك من
جاء ما جرت له الحوادث في تلايبيها ... ارتاح الفقيه العالم من سيطرة (سعيد بن
خزون) وساعد خصمه ومعارضه (خزون ابن خليفة) ساعده بالرأى والفكرة
بل بالرجال والمال ... ويحكي التاريخ المسجل لتلك الاونة وعواصفها ان الشيخ
الفقيه (فتح) مدينة طرابلس وما كان ينبغي من وراء ذلك (الفتح) ماربا خاصا
ومغنا شخصيا .. وما كان من حركته يريد ان يستأثر بشيء لنفسه فما
كان يطلب حكما ولا يبغي تحكما ... انما كان كل همه وغرضه من الحركات
المتطورة ، والمساهمة فيها .. هو نشر مذهبه وعلان ما كان يستره الناس
من اراء تدور حول ذلك المذهب الذي كاد ان يندثر ويتلاشى ... فاحياه كما احى
طريقة الامام السالك (الجنييد) مما كان له اثر كبير في تطورات الاحداث في سنة
٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م ووقف مؤيدا (لخزون بن سعيد) واقام هذا الاخير حاكما لطرابلس
شهرا ومن غير شك كان سنده ومستشاره والرجل المفضل عنده هو صاحب
الفضل عليه الشيخ ابو الحسن بن النمر ... ولكن هل يطول ارتياح خزون
ابن سعيد وصاحبه الفقيه ؟ لم يات شهر ربيع الاول من السنة التالية سنة
٤٣٠ هـ - ١٠٣٨ م ولم يكد يرتاح ابن النمر من سعيد وبني عبيد حتى يصل الى مدينة

طرابلس المنتصر بن خزرون وكان هذا الرجل مويدا لمن عارضه وحاربه ابن النمر..
 وكان المنتصر بن خزرون ساخطا على ابن النمر وعلى تاييده لـ خزرون بن
 خليفة . وجاء هذا الساخط الناقم فى عزم من الجيش وكتائب من عساكر
 (زناته) فيهم شدة وبأس يطيعون امر المنتصر بن خزرون طاعة تقلق راحة ابن
 النمر وحليفه (خزرون بن خليفة) وهذا يشعر حليف ابن النمر بالخطر الداهم...،
 ويدرك عاقبته لو وقع اسيرا فى يد الساخط الزاحف وتسلب خزرون بن خليفة
 هاربا تاركا البلد...، نافذا بنفسه ناجيا بجلده... وجد الشيخ ابن النمر نفسه بعد
 فرار صاحبه فى حيرة.. والامور تتطور بسرعة عاجلة.. والحوادث تلتف
 فى العجلة الدائرة، هل يستطيع ان يخلص وينكر؟ وكل الدلائل اصابع تشير
 الى مدى اشتراكه وتوجيهه ودوره فى الحركة المضادة للزاحف الساخط الباحث عن
 اتباع ابن النمر واتباع الهارب خزرون بن خليفة.... لقد مهد ابن النمر
 للحركة المضادة واشترك فيها اشتراك فعالا.. وجد ابن النمر نفسه فى مأزق
 ومزالق واجواء خائفة... ان الرياح تسيير بمركبته نحو الهاوية... بعد كل
 ذلك الجهد وذلك الجهاد؟ انها اخطار السياسة لا تدرى كيف تهب سمومها
 ولا كيف تتبدل عجلة الاحداث.. ويقدم المنتصر بن خزرون فى جلبته
 وكوكبته ويقع ابن النمر فى يده.. وقف الشيخ تجاه الساخط الزاحف وجها
 لوجه.... ما عساه ان يفعل وليس معه الان من سلاح سوى الاراء والافكار..
 وهل تجدى فى ميدان اللقاء لقاء خصم يجبر وراءه جيشا وعساكر؟ وقع
 فى يده وقعة المغلوب فى يد الغالب المغيظ الحائق...، فماذا كان مصير ابى الحسن
 ابن النمر؟ بعد ان هرب من أيده وعمل فى جانبه؟ كان يود المنتصر ابن خزرون
 ان يستطيع ان يفتك بابن النمر الفتك الذريع وان يهدر دمه ولكنها حوائل حالت
 دون ذلك وموانع صدته.. كبر سنه فهو يقارب الثمانين...، وقار العلم

وشيبة لها اثر وتأثير ثم مكائنته وقيمته ..، اهل البلاد جميعا يحترمون علمه ويقدرّون وقاره لا شك ان الفتك به سيكون له اكبر الاثر السيء فى نفوس اهل البلاد وانها تجر عليه قلاقل فوق القلاقل ولهذا آثر المنتصر بن خزدون الا يقتل ابن المنمر كما قتل كثيرا من الخصوم والمحاريدين له ... ولكن بقاء الشيخ ابن المنمر فى مدينة طرابلس لا يرتضيه ولا يرضيه ...

ولجأ الزاحف الساخط الى الانتقام من اتباع ابن المنمر... وضيق كل التضيق على فقيه البلاد ، وحاصره وشدد عليه الخناق وصادر املاكه ..، ومصادر ارزاقه وعذبه عذاب المهدد عندما ينتف ريشه ..، ويلقى به فى واد سحيق. وليس بدعا فى تاريخ الفكر الاسلامى ان يجد احد الفقهاء والعلماء عنقا وتعنتا ويشرب الكأس مرارا..، فقد اضطهد الباحث المرشد الامام «ابن تيمية» على آراء نشرها وافكار بذرها وقبله كان الامام «احمد ابن حنبل» الهبت السياط ظهره وكادت ان تقطع انفسه لاجل الجدل حول مسألة من مسائل التوحيد والتشريع وكان احمد ابن حنبل صامدا صابرا لما وجده من شدة وما لقيه من قسوة..، وعلى منهجه سار كثير من الصابرين من رجال الفكر الاسلامى، تناثروا فى سماء الفكر تناثر النجوم فى الليالى الحالكة ..، كذلك لقي ابو الحسن بن المنمر مثلهم الوانا من الاضطهاد والتعذيب والتضييق كانت آراؤه الفقهية واجتهاداته المذهبية تتلجج فى صدره ولا تجد طريقا للانطلاق .. وكان الشيخ الفقيه والعالم الدارس يبحث عن تلاميذه فلا يجد لهم اثرا ظاهرا ..، فقد انفضوا من حوله بسبب الحصار الذى ضربته عليه الزاحف الساخط وضربت الاسوار بين الشيخ وطبائه بين العالم وانصاره ولم يستطع ابن المنمر ان يجد حلال رزقه ولا حلقة درسه ولا راحة لنفسه . بل وجد اياما ذات رهبة قضائها الشيخ فى شدة وحصار ومراقبة وتهامس وحذر واخذ بالخناق..، وكل هذا كان يؤلم الشيخ ابن المنمر اشد الالم فصبر صبرا

اهل الايمان ببدد ظلام اجوائه بما يجده من حلاوة الثقة بالله والاعتماد عليه ..، ولم يكتف المنتصر بن خزرون بالتضييق والمصادرة واقصاء الناس من حوله ومصادرة الاملاك بل منعه من مواصلة الدرس فى الجامع والدرس فى البيت ..، والعالم يتحمل كل شىء ويهـون عنده كل شىء الا عندما يجبس علمه او يجبس عنه العلم ، عند ذاك يرى الموت الاهر والموت الاكبر .. يتجرعه ولا يكاد يصيغه ، وايضا لم تقف محاربة المنتصر بن خزرون عند هذا الحد بل نفى ابن المنمر الى خارج طرابلس .. فناه الى خارج المدينة .. الى قرية من القرى التى كانت فى ذلك الوقت قليلة السكان كثيرة الصخور والنتوء ...

وكان يود الشيخ المنفى ان يحمل كتبه ويصحب معه من يؤنسه فى المنفى ولكنه ما استطاع ان يحمل معه الا مؤلفاته التى يعتز بها ويخاف عليها من الضياع ، ولم تهـم الشيخ ابن المنمر املكه المصادرة ولكن مؤلفاته فى الفرائض وفى الفلك والازمنة والامكنة ..، وغير ذلك من فنون اللغة والتشريع خاف عليها من ايدى العابثين ..، فنقلها معه واوصى تلاميذه بالمحافظة عليها ، ولولا محافظة طلابه عليها لما بقيت كتب ابن المنمر فيما بعد اجيالاً طوالاً تدرس وتعتبر من الاسانيد الصحاح فى بابها حتى انه فى القرن الثامن الهجرى عندما اجتاز على طرابلس من المغرب الفقيه ابو محمد عبد الله ابن عبد الكريم الغمارى قاصدا المشرق سنة ٥٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م درس عليه طلاب طرابلس كتاب «الكافى» لابن المنمر فوجد هذا الكتاب فى القرن السابع وبعده وقراءة علماء المغرب له قراءة درس تدل على قيمته من ناحية وتدل على مدى محافظة ابن المنمر وتلاميذه على كتبه خوف ضياعها من وهيج الفتنة وهليب الاحداث . وهناك فى قرية (غانمية) او (غنيمة) من قرى (مسلاته) القى بالشيخ مغضوباً عليه منقياً على كبر فى السن ... وتقدم فى العمر اذ كان

يناهز الثمانين ... وفي هذه القرية النائية ذات الصخـور النائمة بقى ابو
 الحسن بن النمر منفياعاميين كاملين قضاهما فى التعبـد والتهجد وبين الحين
 والحين يقدم اليه من أخلص له من طلابه بما يكفيه من زاد ويقدم اليه من اراد
 ان ينهل من معين علمه ويغترف من بحار فضله .. كان ابو الحسن ابن النمر
 فى منفاه (بغنامية) مسلاته مثل عين الماء الطاهرة الصافية فى جوف الصحراء
 يرد اليها الضمان فيرتوى ويجد فى ظلالها امنا واسترواحا .. ولقد شعر اهل
 القرى المجاورة بالعين الصافية بالمصباح الذى يرسل ضوؤه فى فيافي الصحراء
 فقدروه وعظموه وقد سبقه اسمه مشيرا اليه ... ودالا عليه .. عاملين كاملين
 قضاهما الشيخ ابو الحسن بن النمر فى منفاه يفيد ما امكنه الافادة ويرشد ما
 امكنه الارشاد ، وهكذا كانت سيمة العالم المخلص لعلمه حتى فى الميافي
 والسجون وفى اوقات الشدائد يرسل من علمه اشعة ويغدق من فضائله
 وشماله اغداقا دون تقييد بمكان او زمان ، او تاثر بحالة من الحالات .
 وقضى اجله المكتوب له .. وانتهى عمره المقدر فى مسلاتة عام ٥٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م
 فى منفاه وله من العمر اثنان وثمانون عاما قضاهما فى العلم طالبا واستاذا
 وفى البحث دارسا ومؤلفا وفى السياسة متقدما ومتاخرا ومسموع الكلمة
 ومغضوبا عليه وفى الرحلة مشرقا ومغربا .
 وهناك على قارعة الطريق فى (مسلاتة) لا يزال ضريح (ابن النمر)
 موجودا يزار كاي ولى من الاولياء .. وكثير من الناس لا يدرك من هو هذا ؟
 ولا يعلم اهل مسلاتة ان عندهم يرقد شيخ عظيم من شيوخ الرأى والفقه
 وضحية من ضحايا السياسة واضطرابها وعلـم من اعلام طرابلس (ابو الحسن
 على بن النمر) الذى غضب عليه خصمه ورضى الله عنه .

ابو يحيى بن مطروح علي شاطي
الاسكندرية يتذكر ايامه في طرابلس

لوقفة عند «باب البحر» ضاحية

وباب «هواره» وموقف الغنم

اشهى الى النفس من كسر «الخليج»

ومن «دير الزجاج» وشاطى بركة الخدم

أَبُو يَحْيَى بْنُ مَطْرُوحٍ

... وهذا علم من اعلام طرابلس ، كتب صفحة في تاريخها ، وشاهد فترة عسيرة من تطور احوالها ، وكانت له كلمة مسموعة ومكانة محترمة يجله قومه بما يوازي قدره ويظهر فضله واحترمه حتى (الصقليون) اصحاب الاسطول في تلك الفترة .. فكان .. (ابو يحيى) رافع بن مطروح سياسيا كيمسا اكتسب من تصارييف الدهر تجارب وخبرة وحكمة وحكمة افادته في حياته الخاصة والعامه ، فكان (سفيراً) فيما بين القبائل وحكما فيما بين العشائر وساعيا بالخير ومفاوضا من طراز (السياسيين) او بتعبير العصر الحديث (الدبلوماسيين) اخلص كل الاخلاص وجعل فرصة المواتية . للصالح العام ، وامتاز (ابن مطروح) بنظر حاد ونظرة بعيدة وقياس الغائب على الشاهد لاستنباط ما يمكن صنعه والسياسة عليه فكانت نظريته الفاحصة الدارسة ابعاد من محيطه وفكره ابعاد من جوه .. وقد كان (لبنى مطروح) في طرابلس الغرب اصل وحسب وقيمة وكانت ادارة البلاد في يد مشايخ (لبنى مطروح) فقد انقضت اسرة (بنى خزدون) وتلاشى حكمها من طرابلس وظلت في شبه استقلال ونوع من التحرر وادارة يدير دقتها شيوخ لبنى مطروح ولكن وجد هولاء بعض القلاقل والتاثيرات ولم تجتمع كلمة الناس ومحبة الناس في البلاد مثل ما اجتمعت (لابى

يحيى بن رافع) فقد كانوا اشد حبا له واعظم تقديرا لما امتاز به من الاشادة
والاجادة وحسن التصرف والمعاملة لما فطر عليه من خلق سمح ومروءة ورأفة
واتساع افق ورحابة صدر .. وقد وجدت (صقلية) فرصة مواتية للهجوم على
الشاطيء الطرابلسى وطبعاً كان الهجوم امراً مبيتاً مدروساً شأن كل الهجمات
والصدومات لا تاتى فجأة وبغطة بل بعد دراسة وتربص ومقايسة وطول
انتظار حتى تسنح الفرصة المناسبة والهجمة المباغتة وهياً نفسه قائد
الاسطول الصقللى (رجار) . كان ذلك فى الثلث الاول من القرن السادس
المجرى او على وجه الدقة سنة ٥٣٧ هـ - ١١٤٢ م فى ليلة ٩ ذى الحجة ليلة عرفات
والمسلمون فوق الجبل المقدس يكبرون واهل طرابلس يعدون العدة للعيد
وتكبيرات العيد ... واذا بمشاعل اسطول (صقلية) تضىء وتقترب رويدا
رويدا فى تسلسل .. وكان على الاسطول الاميرال (جورج ميكائيل) وقد
اطلق عليه ايضا فى بعض المصادر وعرف باسم «جورج الانطاكى» وكانت
هذه الغزوة الاولى غير موقعة له ولم يفلح فيها فارجع الاسطول كرتة
مرة اخرى بعد ثلاث سنوات اى سنة ٥٤١ هـ الموافق ١١٤٦ م عن طريق
الشمال الافريقى وقد كان تضافر الجهود وتوحيد الكلمة واجتماع مشائخ
بنى مطروح سببا فى صد اسطول صقلية ولكن فى الهجمة الاخيرة كانت
خطة (جورج ميكائيل) اكثر حذرا واحاطوا مدينة طرابلس برا وبحرا
فى ثالث يوم من شهر محرم وقد انتهز جنود (رجار) خلاف اهل البلدة
وخلاف بنى مطروح ايضا وقد حاولوا ازالة بنى مطروح وقدموا
رجلا ملثما كان فى طريقه للحج واقام اسطول (صقلية فى الميناء)
سنة اشهر كاملة ثم حفرروا وخندقوا وجهزوا واخذوا معهم رهائن
واسرى من قبائل بنى مطروح وايضا الرجل الملثم الذى وجده الصقليون

بديلا عن بنى مطروح ثم من هنا تبدأ صفحة لصاحبنا ابي يحيى فقد ولى
 على طرابلس وكانت هذه الولاية من اصحاب الاسطول الصلي ولكن هذا
 لا يقلل من شان ابي يحيى بن مطروح بل يبرهن على قوة شانه
 وعظم مكانته فى قومه ثم يبرهن لنا ايضا على اخلاصه لبلده وبنى
 قومه فيما ابداه من ضروب الاصلاح ولم يكن (ابو يحيى) ميالا الى تسيطر
 وتشدد بل كان فيه دمهة المؤمن وكياسة الخاذق وتروى الحازم وصبر
 المغلوب المنتظر وقد ظهرت فيما بعد نواياه الحسنة وروحه المسلمة العربية
 لقد فاوض فى صالح بنى قومه وحافظ على طابع البلاد القومى وشعورها
 الدينى ومقدساتها وشئون التعليم والدراسة فيها : وجه (ابن مطرح) جهده
 محاصلا لا لقتال وصد اسطول (صقلية) فقد اتزن ووازن وقاس بميزان
 التريث فوجد ان الكفة ليست فى صالحه والمجازفة احيانا تكون ضرا من
 التهور وابن مطروح فيه حنكة الشيوخ وصبر المنتظر للحوادث المرتقب للغد البعيد
 وصاحب النظرة السياسية هو من يعرف ماذا يحتمل ان يكون بين
 طيات الغد من احداث ويوازنها بالموجود من الحوادث ومعناها الخبرة والدقة
 وحسن الفراسة .. ولا يكوف حكمه قاصرا على معرفة الموجود المشاهد فقط
 بل ما وراء المشاهد وما بعد الموجود ايضا وهكذا كان « ابو يحيى بن مطروح »
 ينتظر وينظر بمنظار بعيد الافق واسع الرمى بعد ان استلم ولاية طرابلس عكف
 على الاصلاح الداخلى وتنظيم شئون الادارة وترتيب القضاء ومسايل
 التعليم وكان اهم شئ تصدى له ووجه اليه جهده ، هو المحافظة على
 مقومات البلاد كبلد اسلامى وبقاء روحها كروح عربية وخشى ابن
 مطروح ان تضيع مقومات البلد وتذهب شعائرها بين هذه الامواج الصاخبة
 والجنود الهاجمة وقد كان مجهودا حميدا ووضعنا قويمما فقد حسن حال

طرابلس واستقام ميزانها ونظمت اقتصادياتها وازدهر عمرانها في عهد «ابن مطروح» وقد شهد بهذا كل من زار طرابلس في تلك الاونة وكل من كتب في تلك الفترة وقد شهد بهذا ايضا «ابن الاثير» وناهيك به وحكم ابن الاثير في التاريخ مشهور به مقبول معتمد ... ولقد قام «ابن مطروح» بأول مفاوضة في تاريخ طرابلس مفاوضة بينها وبين قوات اجنبية غير مسلمة انابه في الدفاع والمطالبة ابناء البلاد فاختاروه ليتكلم باسمهم واجمعوا على طاعته ومحبهه وتفويضه بالاستشارة وتقدم «ابو يحيى بن مطروح» ممثلا عن طرابلس الى «جورج ميكائيل» صاحب اسطول (صقلية) وظهر المفاوض الطرابلسي رغبة البلاد في المحافظة على شعائرها وامور دينها وادارتها الداخلية والا ... فلا شروط اخرى الاخلاء جلاء اسطول صقلية والعزوة من حيث اقبل ... هكذا كانت مفاوضة قصيرة ومصاولة سياسية اظهر فيها ابو يحيى حنكة وسرعة وايجازا وفعلا غادر الاسطول الميناء بعد ان تمت الموافقة على مطالب ابى يحيى بن مطروح لا شدة ولا عنيت لا اثاره ولا ارهاق ... بل سلم اصحاب الاسطول بالولاية «لابى يحيى» وعدم التعرض لشئون اهل البلد فيما يتعلق بالشعائر الدينية والمسائل الداخلية فكان اشراف صقلية اشرافا خارجيا واصبحت مثل نظام الاستقلال الداخلى - ذهب اسطول صقلية من الميناء ولكن ليس معنى ذلك ذهاب سيطرة صقلية بل كانت كل تلك الفترة لها الاشراف والتوجيه ولكن كان ابن مطروح وطينا حازما واداريا لبقا وشيخا يدير دفة البلاد ويحفظ امنها ويحل مشاكلها وينشر العمران في ربوعها كان هذا هو الحيل الذى رآه ليوازن بين مصلحة بلاده وبين سيطرة اصحاب الاسطول .. كانت خطوته وخطته لا غبار عليهما ولا شبهة فيهما بل اصرح من هذا لا نغالى عندما نؤكد ان خطوة ابى يحيى بن مطروح دللت على

الاحساس الصادق والشعور القومي الخالص والنظر الى ابعد من البعيد وانتظار ما يحمله الغد من احداث وحوادث وقد كان ابو يحيى بن مطروح على ما دلت عليه اخباره واحواله يتمتع بقوة شخصية خارقة اكسبته مهابة جعلت الجميع يحترمونه حتى المهاجمون والخصوم والتاليدون وحتى القبائل التي تعودت التمرد والاغارة فقد حفظ ابو يحيى التوازن وكان عادلا في ميزانه ومن اصلاحاته في شئون القضاء والتشريع ان اختار قاضيا عرف بالنزاهة والعفة وسعة الاطلاع فجعله قاضى طرابلس يفصل فيما شجر ويدلى فيما اختلف فيه بحكم صائب وراى يستند على الدلائل ذلك هو القاضى الشهير « ابو الحجاج يوسف بن زيرى » وهذا الشيخ عرف فى عهده بالتورع مع حب للامعان والدقة وقد كان ايضا يميل الى التاليف والكتابة بجانب التصديق فى الفصل فيما شجر بين الناس وقد اشارت بعض المصادر الى تاليف لهذا القاضى فى فن الوثائق واطلق عليه « الكافى فى الوثائق » وهذا الكتاب كان معروفا عند الفقهاء فى عصور مضت ولكننا مع الاسف نفتقد هذا الكتاب فلا نجد ونشير اليه ونثبت اسمه عسانا ان نثر عليه فى مستقبل الايام ويكتفي هذا الاشارة الى ان والى طرابلس ابو يحيى بن مطروح اختار « ابا الحجاج ابن زيرى » قاضيا لعلمه وخبرته كما اننا نشير الى ان بعض الرحالين من العرب كان يطلق عليه « ابا الحجاج » بدل ابا (الحجاج) .

انتهى عشرة سنة كاملة وابن مطروح كان مسؤولا عن البلد وقبائله واهله وعشائره . وكان واسطة فى الاتصال بين (صقلية) وبين الناس الا انه كان واسطة خير وكان همزة لا تريه ان تكون موصولة دائما بل كان فيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخاصة من جلسائه يريد ان يقطع هذه الصلة ويجعلها همزة مقطوعة لو استطاع لجعل السيطرة التامة للبلاد لا لاصحاب

اسطول « صقلية » ولكنه لم يجد بدا ولم يجد حلا، الا النظر فيما يحدث بين طيات الافق البعيد، كان يحفظ التقاليد ويصون الشعائر وينشر تعاليم الدين ويحفظ موازين الحق، ولكن هذا ليس معناه استسلاما مطلقا ورضوخا ابديا لابناء « صقلية » ، أن ابا يحيى يفكر ويقدر .. ولكنه صبور منتظر يقىس حوادث شمال افريقيا، وحوادث جاراته، فهل يستطيع ان يجد حلا؟ وهل يستمر على مفاوضته مع (الصقليين)؟ ام يلجأ الى صدهم وردهم بعد ان طالبت المدة واصبحت اثنتى عشرة سنة متوالية؟؟ لم يكن ابن مطروح باليائس الذى قطع حبل الامانى، بل انه يفكر تفكيراً جدياً فى ازالة الصقليين وسيطرتهم وقد اثبتت خطوات ابن مطروح انه كان بحق ينتظر ويتربص ، او يريد ان يتصيد الفرص السانحة حتى يستخلص منها ويخلص، ويخرج من دائرة حكم « الصقليين »، كان يريد منفذاً وسرباً ومهرباً، فوجد ذلك فى حركات سياسية قامت فى الشمال الافريقى فى تونس . . . عندما قام « عبد المؤمن بن على » بحركته التى عضد بها دولة « الموحيدين » واراد بها التوسع فما كانت قاصرة على بلده بل ابعد من قطره .. واخذ « ابو يحيى بن مطروح » يزن الامور ويقدر الاحوال بين حالة بلاده وسيطرة الصقليين عليها، وبين حركة (عبد المؤمن بن على) ودولة الموحيدين ... ولا شك ان اكثر من عامل كان يدفعه ويحرضه على الميل الى دولة (الموحيدين) فلا شك ان الشعور الدينى والعاطفة الدينية واللغة وكل العوامل الاخرى كانت تجعله يجذب الى تونس المسلمة العربية الى ابناء عمومته وخؤولته .. تربطهم ببلاده اكثر من رابطة ..، وتجمعهم اكثر من وشيجة .. ودائماً يجد السياسى الحازم نفسه فى موقف الموازن والمقارن بين الامور وما يترتب على الاحداث من نتائج ... وما يعقب الحوادث من عواقب ..، قد فعل هذا عندما فاض اسطول صقلية وها هو ذا يفعل هذا عندما فكر فى

طرد اسطول صقلية ..، وفي كلتا الحالتين كان دافعه شعور المواطن الذي يريد ان يحافظ على موطنيه ..، وشعور المخلص الذي يريد ان يستخلص بلاده من براثن الطواريء، وتكالب الاحداث . وجدها فرصة واغتنام الفرص للصالح العام ديدن اهل الحزم والعزم : وكان ابن مطروح حازما عازما في انضمامه الى عبد المؤمن بن علي وفي نفص يده من اسطول الصقليين بعد ان سالهم من غير شك على مضض « اثنى عشر عاما » كاملة استطاع فيها ان يكـون مثالا لحفظ الحقـوق ومراعاة الامكانيات ودار الصراع السرى بين ابى يحيى ابن مطروح من جهة وبين رجال جورج ميكائيل من جهة اخرى .. حرب باردة او خلق الزوايع واثارة الاعاصير .. وشعر الصقليون بان ابن مطروح سيخرج عليهم وسيفلت الامر من يدهم حينذاك فهم لا يرتاحون ولا تهدأ حالهم الا اذا كان ابن مطروح فى يدهم واسطة بينهم وبين اهل البلاد فاذا ما كان راضيا عنهم فقد نالوا الورقة الرابعة واذا انحاز الى ضفة اخرى فان اسطولهم ستتلاعب به امواج الاحداث ، شعروا بهذا ولسوا من ابن مطروح ظواهر تدل على تملل وانحياس نحو ضفة اخرى .. وظهرت علامات فى الافق واسرع جنود « صقلية » الى حيلة وخدعة مأكرة ..، وارادوا ان يرموا شباكهم عن طريق اثارة الفتنة ... يباعدوا ما بين أهل البلاد وجنوحهم الى (عبدالمؤمن بن علي) ..، والحيل الخداعة قديمة قدم الانسان نفسه .. لجأ الصقليون الى حيلة الاثارة قبل الاغارة ... عندما شعروا بتضايف اهل طرابلس حول شيخهم «ابى يحيى بن مطروح» وفهموا ايضا ان الشعور الاسلامى يجمع فيما بين هذه الاقطار ..، وان (عبد المؤمن بن علي) لن يجد من اهل طرابلس صدا ولا ردا ..، بل سيلقى ترحيب المسلم بالمسلم ، فما كان من حيلة (الصقليين) الا ان اثاروها عن طريق الدين وطلبوا منهم ان يصعدوا المنابر ثم يتكلموا بسوء فى دولة

(الموحدين) كان ذلك سنة ٥٥٤ هـ ١١٥٩ م ولكنه امر عظيم وقتنة سوداء تنبه لها (ابن مطروح) فوقف شيخ طرابلس موقفا يتجلى فيه حزم المؤمن وعزم المخلص واباء الحر الكريم ... ابى ان يكون مطية شر او آلة ضر .. او جسرا يعبر عليه الصقليون ضد ابناء عمومتهم وجيلته وانصار دينه وملته ، ابى « ابن مطروح كل الالباء ان يلعن احد من المسلمين من فوق منابر بيوت الله .. وقد وقف مؤازرا (لابن مطروح) ذلك القاضى الشهم (ابو الحجاج بن زيرى) فقد وضع يده مع ابن مطروح .. وتآزرا على ان الفتنة السوداء والكارثة البلهاء لن تكون من بين ظهورهم .. ولن يخرج شررها من سنتهم ومنابرهم ... ولو صنع (الصقليون) ما صنعوا وهذا موقف يسجله التاريخ لابن مطروح ولقاضى البلد وفيه شهامة وغيرة ... ولم يكن من (ابن مطروح) هذا الرفض والامتناع فقط بل اصبر على موقفه فى عناد الالباء واصرار الحماية .. وقد وقف امام (الصقليين) فى ظروف خاصة مفاوضا فى سبيل حفظ الشعائر والمقومات ... ، اما الان فهذا هو ذا يقف كاشفا لهم القناع مزيجا للاستتار وجابههم باصرار فى غصبة الاحرار .. لن نلعن من فوق منابرنا مسلما واخا فى ديننا .. وجارا لبلادنا ولن نرضى هذا وان اصررتهم على الاثارة فليكن اقرب منه رجيل اسطول (صقلية) ... وقويت روحه المعنوية عندما وجد من اهل البلاد سندا متينا ودرعا حصينا وتأييدا مطلقا فى مطالبه ... فتقدم ابن مطروح نحو خطوة اخرى كان يحسن لها ويترقب سنوح زميها ... وعقد (ابن مطروح) اجتماعا سريا لعله فى تشكيله ورسوم خطته الاول من نوعه فى هاتيك الزمان وفى ذلك البلد .. ودبر فكرة لطرء (صقلية) من شاطئ طرابلس وايضا كان سنده ومستشاره القاضى (ابو الحجاج بن زيرى) ونخبة من رجالات البلاد الذين يعتمد عليهم ويعتد بهم وتعاقبوا وتعاهدوا على التملص من سيطرة (الصقليين)

وكما اظهر ابن مطروح والى طرابلس « وابن زيرى » قاضيها عدم رضوخهم
للائارة جنود صقلية وادراكهم خطر الفكرة التى بثوها وارادوا زرعها
فوق المنابر... فقد اظهر ايضا بدو الصحراء وزعماء القبائل ما يدل على روح
عربية مسلمة.. فقد اتصل مبعوثو (رجار) صاحب صقلية بزعماء العرب امثال
محرز بن زياد ، وجبارة بن كامل، وحسن بن ثعلب ، وعيسى بن حسن ، وعرض
عليهم «رجار» ان يمدهم بالمال والقوة ، كى يصدوا (عبد المؤمن) ويردوا
تيار (الموحدين) وابان لهم أنه باعث اليهم ان رضوا خمسة آلاف فارس
من الافرنج بكامل عددهم ووافر عدتهم وكامل مؤنهم...، يقاتلون معهم
جنود (عبد المؤمن) بشرط ان ترسل الى صقلية الرهائن...، فشكر امراء العرب
وزعماء البوادرى هذا شكرا ممزوجا بالاستغراب... وردوا ممثلى (رجار) ردا رقيقا
فيه عنف جارح رقيقا فى اسلوبه عنيقا فى معناه.... وبغزاه وقالوا كلمة تدل
على روح طيبة خالصة*) ما بنا حاجة الى نجدتيه ولا نستعين
بغير المسلمين)...، ولا اريد ان انفى قتال العرب لجنود عبد المؤمن
فقد حدثت مصادمات وتقابلت جموع منهم وخاصة من بنى هلال والاثنج
وعدى ، ورياح وزعيب ، ولكن الذى يسجل بفخار انهم رفضوا معونة صقلية
وابوا ان يكونوا مطية لاسطول صقلية وابوا ان يكون معهم خمسة آلاف من المدحجين
الافرنج وقد كان لرفضهم هذا اثر سيىء فى (صقلية) فها هو ذا ابو يحيى ابن مطروح يأبى
ان ينفذ خططهم... والقاضى يأبى ان يقرأ مناشيرهم.... والامراء من العرب يابون
أن يتقبلوا منهم السلاح والجنود...! اذا اصبحت سيطرة الصقليين فى خطر تتارجح
...، وعبد المؤمن يزحف بجنوده صوب حدود طرابلس....، وهنا يزداد ابو يحيى فى امعانه
للحوادث...، وتقرب الصور وتتزاحم على منظاره الذى يرقب به الافق من بعيد
... منظار ليس من زجاج...، ولكنه من بصيرة وتريث وهدوء وترقب...،

وقد اشرنا فى اسطر ماضية الى ان (ابن مطروح) عقد اجتماعا سرياً وضعت فيه خطة محكمة لنبد الصقليين والتخلص من سيطرتهم ...، وملأوا الطرق والميادين بالاناشيط والحوازيق والعراقيل ... حتى تكون عائقاً لحيلول الصقليين عن الجرى والسير...، واتقن ابن مطروح الخطة مع ممثلى البلاد وشبابها بل ان علماء البلاد كانوا يشمرون عن سواعدهم بكل همّة وعزم كى تنجح خطتهم ويزيلوا جنود (رجار) من شاطئ طرابلس وكان ذلك فى سنة ٥٥٥ هـ . ١١٦ م فى السنة التى توفى فيها الامام ابو حامد الغزالي الذى طالما قرأ له ابن مطروح فاعجب بثاقب فكره وشفاف روحه ودراسته للتصوف الاسلامي وهكذا وجدت طرابلس فى الشيخ ابن مطروح (رجل الساعة) كما يعبر اهل السياسة فى العصر الحديث ، رجل له قيمة ولكنها تزداد، ويكثر فضلها عند الحاجة واللزوم...فهو مسالم وقت المسألة... وساکت وقت السکوت...،وقدفاوض وقت الفأوضة...، وثار وقت ان دعت الحاجة الى الخروج عليهم والتألب ضدهم...، كل خطواته كانت متزنة بحسب الحاجة وما تدعو اليه الضرورة، وما يدفعه ويوجهه اليه صوت الواجب الذى كان مقياساً لحركاته ودافعا لسكوته وقت السکوت ولکلامه...، وقت الكلام وكان رغم ملاينته فيه شهامة المتصلب امام الزعازع والهزاهز الداخلية والخارجية ...، ويقال ان حركة ابن مطروح واهل البلد كانت سنة ٥٥٣ هـ - ١٠٥٨ م وقد نجحت فى تديرها وامسكوا جنود صقلية باليد بعد ان تعثرت خيولهم ليلا وكبت فى الشوارع والميادين ...، وبوبع من طرف ابناء البلاد بالولاية بيعة جديدة كان ذلك بالاجماع...، ووجدها ابن مطروح فرصة...، فذهب فى وفد من اعيان طرابلس وشيوخها الى عبد المؤمن فى افريقيا كى يظهر له ولاء المسلم للمسلم ..، وافر عبد المؤمن شيخ طرابلس ابا يحيى بن مطروح على الولاية...، فاستمر حاكما او شبه حاكم ...،

فى مدة الصقليين اثنى عشر عاما، وفى مدة الموحدىن ما يزيد عن اثنى عشر وثلانى
عاما، اى حوالى اربعة واربعىن عاما وهو يتولى اءارة طرابلس وتنظىم شئونها
الءاخلىة... فءسنت سىرته ونظمت اءارته وانتشر الامن وازدهرت المساءءة
فءء كان بءانب اءارته اءىبا بقرض الشعر.. وعالما بعبء المناقشة، وصوفىا
بعرء العفف، لءء كبرت سئه وتءءمت به اىام عمره وجلل الشىب راسه
ولحىته واصبء بكماء ان بعبء عن القىام والقعود.. ومشاكل الاءارة كئىرة
واءارة الءكم تطلب بءءا ما عاء بىطىعه وءء اعطى للبلاد كئىرا
من صءته.. وفكره اما كان له الءق فى الراحة وطلب الاستءمام! انه شىء طعن فى
السن وءء شعر بءاءته الى الراحة والى زىارة الاراضى المقدسة والمءىنة المنورة
وموسم الءء قء ءان وبشائر شهر رءب ءىء تبءأ مواكب الءء قء لاءت
وءفعه الشوق الءىنى الى هاءىك الربوع.. وءء هزته اصوات تلك الءموع
... وطلب ابو بىءى ان بىرح من اءارته وان بذهب للمشرق كان ذلك فى عهد
ابن عبء المؤمن وسرءه السىء ابو زىء بن ابى ءقص وءمع ابن مطروح اءله
وءمع اءل بىته وهاجر من البلاء الذى اءبه كل الءب والموطن الذى نبطت
به تماءه وكان رءىله من شاطىء طرابلس فى شهر رءب سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م، واستقر
به المقام فى مءىنة الاسكندرىة ءىء انبءت تلك الشجرة فروعا طبىبة وغصونا
مباركة وكان من سلاءة ابن مطروح الطرابلسى علماء اءلاء واءباء فضلاء
وكان من نسله الشاعر المصرى المشهور (ابن مطروح) وله ءىوان صغىر مطبوع
وكان ابضا من آءاره ان سمى ذلك المباء (مرسى مطروح) فى ءءوء مصر
باسم ابن مطروح او باسم ابن من سلاءته،

ورغم ان ابن مطروح قد اختار بنفسه وعن طيب خاطر الهجرة الى ارض مصر والبقاء فى شاطئ الاسكندرية الا ان الحنين كان دائما يلوعه ويدفعه الى طرابلس الغرب موطنه الاول والبلد الذى نشا وترعرع وكبر فيه فهو ينظم الشعر تحنانا اليه ويصور شوقه الى ترابه ومراجه يذكر (باب البحر) (وباب هواة) والاماكن الاخرى عندما يشاهد خليج مصر ومرايح الاسكندرية وبركة القاهرة ودير الزجاج يشاهد جمالا ويشاهد بناء فخما وهندسة وروعة ولكنه فى حسه ونظره لا يعدل (باب هواة) وموقف الغنم فى طرابلس واسمع معى ابن مطروح يصور وقفته فى مصر ويطير به الشوق الى طرابلس الغرب .

لوقفة عند (باب البحر) ضاحية و (باب هواة) وموقف الغنم
أشهى الى النفس من كسر (الخليج) ومن (دير الزجاج) وشاطئ بركة الخدم
كان ابن مطروح يحن الى طرابلس وقد ابعده الكبير وايضا فان ابناء طرابلس كانوا يحنون الى حكمه فقد اختلفت بعده موازين الادارة وكان يضبطو يعدل ولكن (الموحدين) سمحوا لانفسهم باستغلال نفوذهم احداث واحداث احتاجت الى حكمة ابن مطروح فلم تجددها . والى رايه واتزانه فلم تعثر عليهما وبعدها كانت زوابع وكانت موجات جاء على اثرها من الشرق قره قوش من قبل صلاح الدين .

كل هذا القول يبرهن على قوة الشخصية التى امتاز بها ابن مطروح وصائب فكره رحمه الله لقد كان من طراز نادر جمع العلم والادارة وحسن المشورة وبعده النظر .

الوداني وإبيات اليتيمة

هـذا رجل اتعبني وظلمت ابحت عنه فما عثرت على طائل ولا يوجد لدينا من شعره سوى ثلاثة ابيات يتيمة ، ولكنها درة والشعر احساس لا اكيال والادب الرفيع (كيف) لا (كم) وهذه الابيات كانت دلالة على شاعرية مرهفة شاعرية مصقولة وعلى ادب عاش في الصحراء .. صحراء ودان ... في طرابلس الغرب ثم على شاطئ جزيرة (صقلية) كان فيه ارهاق ما كان عند شاعر البادية والحاضرة .. وشاعر الصحراء والمدينة الشاعر الوجداني .. (على بن الجهم) بدوى فيه شاعرية تفتحت وتحسنت عند افياء الحضارة وكذلك ... الوداني ... الشاعر الطرابلسي الذي ترنم في صقلية في عهدها الزاهر العربي وايام مجدها الاسلامي التليد

ادب فيه اصالة .. وشعر فيه حنين مذاب ، وحرقة وشوق فائر ، ابو الحسن على بن اسحاق الوداني ، وغير هذا الاسم وذلك اللقب والكنية . لم نعرف شيئا عن اهله واصحابه وقبيلته وعشيرته سوى انه من (ودان) وان ودان فيها حضريون وسهميون وبها نخيل وزروع وان منها الشاعر « الوداني » هكذا تشير المعاجم وتثبت قواميس البلدان عن غير زيادة ولا نقصان ... وعليك ان تغوص في رمال الماضي حتى تعثر على شطرات او ابيات وقد تنقطع انفسك ويضيع عمرك من غير ان تزيد معلوماتك شيئا عن (ودان) والشاعر

ابو الحسن على بن اسحاق الوداني ؟ فكل لاحق ياخذ من السابق اسطره القليلة
 ثم يسوقها بامانة ودقة وعليك ان تتحسر على شاعر غمرته القرون وشعر
 رائع لم يبق لنا منه سوى ثلاثة ابيات فقط فحسب .. ليس غير
 ذكرت الابيات الثلاث في كتاب (النائب ثم وجدناها في دائرة - البستاني -
 ثم اسلمنا البستاني الى (ابن خلكان) واخذنا بخناق صاحب الوفيات حتى
 اسلمنا الى صاحب (المعجم) ياقوت كل ما عند هولاء السادة لا يعدو كلمة مجتره
 عن (ودان) بطرابلس الغرب والشاعر الوداني القائل الثلاثة ابيات ... وله
 شعر وكان صاحب (الديوان) .. فى صقلية .. وبعدها ... صحت مؤلم ...
 وسكوت يبعث الحسرة فى نفس الباحثين عن تراثنا الادبى فى الصحراء وفى
 البحر وفى الشواطىء اين ضاع ؟ لعنة الله على النكبات التى ضيعت تراثنا
 ثم جعلتنا نستجدى من (اهل الاستشراق) وجعلتنا نترقب (بضاعتنا) عندما
 تعود الينا مختومة بطابع الاستشراقيين
 ولا اتعرب لقلة (المادة) هنا انما اعود ممسكا هولاء السادة النائب
 والبستاني ، وابن خلكان وياقوت ، من اين لهم هذه (المعلومات) عن الشاعر
 الوداني ، ولكن هنا مثل قصاص الاثر ، قصاص (الجرة) كما يقول
 اهل طرابلس فلنتبع خطوات هولاء وآثار اقدمهم او آثار اقلهم
 الى اين توصلنا الى اين يصل مصدرهم عن شاعرنا الطرابلسى الذى عاش فى (صقلية)
 لعلنا نجد قسما او نجد على النار هدى ... كلهم فى المنهل وفى الدائرة
 وفى المعجم والوفيات يشيرون الى (ابن القطاع) فمن هو هذا المؤرخ
 وهل كان معاصرا للشاعر (ابو الحسن على بن اسحاق الوداني) ؟ (ابن القطاع)
 من علماء وشعراء الجزيرة (صقلية) ابو القاسم على بن جعفر السعدى وله
 فى ١٠ صفر عام ٤٣٣ هـ وتوفى وله من العمر ٧٤ سنة ٥١٠ هـ

واشار ابن (خلكان) الى انه من ائمة الادب واللغة والف كتب منها كتاب «الاقوال» اجود من كتاب (ابن القوطية) وان كان (ابن القوطية) سابقا متقدما ، وهذا كله لا علاقة له بالحديث عن الشاعر الطرابلسي الوداني انما يهمنا ما اشار اليه بعد .. وله كتاب (الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة) .. صقلية وكتاب (لمح الملح) جمع فيه شعر شعراء اندلسيين وقد رحل (ابن القطاع) عن صقلية لما اشرف على انتزاعها الافرنج وخرجت من ايدي العرب ووصل الى مصر في حدود سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م وقد رحب به اهل مصر .. وبالغوا في تكريمه

وماذا يهمنا من هذا ايضا ؟ ... واين الحديث عن الشاعر الوداني ؟ وقد اطيننا في الاشارة عن (ابن القطاع) نريد ان نأخذ من الحديث ما يدلنا على الوداني

فابن القطاع اول من اورد شعرا للوداني ولولاه ما حفظ لنا التاريخ الادبي شيئا عن (الوداني) فقد الف (الدرة الخطيرة) واورد في الدرة مختارات لئمة وسبعين شاعرا من شعراء «صقلية» ومنهم بل على راسهم صاحب الديوان والاديب الشاعر ابو الحسن علي بن اسحاق الوداني ومنها قصائد مطولات واييات موجزات والاييات الثلاث اليتيمة التي اتكأ عليها كل من اشار الى بلدة (ودان) والشاعر الوداني ، بقي علينا ان نبحث عن كتاب (الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ...) وحتى حاجي خليفة صاحب كشف الظنون لم نجد عنده هذا الكتاب .. فهل ضاع منذ زمن طويل لعله منزويا في ركن من مكاتب اهل الاستشراق من الباحثين او التهمته نكبات الحضارة العربية ؟ ... لعله ضاع ... ولعله يرجع ... لست ادري . ولا المنجم يدري سوى ان (ابن القطاع) اورد قصائد عديدة للشاعر الوداني ويهمنا اثبات

هذا لعل المستقبل يكشف لنا شيئا ولعل (الدرة) تخرج من محيطها او تخرج من مدقنها وتندرج رابعها

وقد يكتبون « ابن القطاع » معاصرا للوداني وقد يكون شاعرنا سابقا بزمان غير طويل والمهم ان الوداني كان موجودا في القرن الرابع الهجري وما قبل سنة ٥٠٠ هـ ١١٠٩ م ومن المعروف ان صقلية دامت في يد العرب ما ينيف عن قرنين ، وقد فتحها المسلمون في ايام ابراهيم بن احمد بن الاغلب في يوم ٢٣ شعبان سنة ٢٨٩ هـ الموافق اول اغسطس سنة ٩٠٢ م ومن هذا تدرك ان الوداني الشاعر كان في القرن الرابع الهجري او ما يقارب ذلك ومن العسير جدا تحديد السنة التي ولد فيها والسنة التي توفي فيها وان كان من الثابت انه كان رئيس الديوان في صقلية رئيس الكتاب ومن المقربين للحاكم الاسلامي في صقلية المزدهرة ... ولكن من هو هذا الحاكم ؟ الجواب عنده المصادق المنذر وبين الاطلال الصامتة ... ولعل من المفيد هنا ان نذكر ان كتاب ابن القطاع « الدرة الخطيرة » اشار اليه اكثر من مرجع واعتمد عليه اكثر من مرجع وقد ألف « ابن شهبه » تاريخا ذيل به تاريخ (الذهبى) في ستة مجلدات حتى وصل « ابن شهبه » الى سنة ٥٩٠ هـ ١١٩٤ م وقد اشار في تاريخه الى كتاب « الدرة » وانه من تاليف ابن القطاع وفيه ترجمات لشعراء من صقلية ولا يبعد ان يعرج « الذهبى » على ترجمة « الوداني » كما ترجم لغيره وهذا نوع من الاستنتاج يعوزه التاكيد والاستقصاء ولعل القارئ قد اشتاق الى الابيات القيمة بعد كل هذا التقديم الطويل العريض الذى الجأنا اليه ضرورة البحث ... ولعله يزعم اننا لجأنا الى طرق الكتابة الصحافية والى طريق الاعلان والحرب من الدراسة الترجيحية .. لك ان تزعم ما تشاء .. ولنا ان نكتب كما نريد .. واليك ابیات الشاعر الطرابلسى الوداني .. ابو الحسن على بن

اسحاق ... ولو كان عندي مداد من الذهب لكتبتها على رقاع من الورد .
وقد يسوءك هذا التشبيه القديم ولكن اين مداد الذهب ؟ وورق الورد ؟
من يشتري منى النهار بليلة
دارت على فلك الزمان ونحن قد
لا فرق بين نجومها وصحباي
دنا على فلك من الاداب
واتنى الصباح ولا اتى وكأنه
شيب اطل على سواد شبابي
.. شاعر يريد ان يبيع نهاره ويستبدله بليله مع اصحابه تدور بينهم
كؤوس الاداب ... صحاب هم نجوم المجلس فى هذا الليل ، ليل الصحراء
فى ودان او ليل الشاطيء فى صقلية من يشتري ؟ دلال فى سوق الزمان ...
ولكن هل الايام تباع ؟ وهل الليالى تشتري ؟! يا ليت .. كنا ننادى
مع الشاعر يا بشرى ! ... عندنا نهارات فهل عنده كم ليالى للبيع ؟
اننا مشتررون وبائعون ... هذا شعر لا يفوح عبقه الا من كبد مشوق .. ؟
تصوير فيه لوعة الفراق ... لوعة الذكريات ... ولوعة الامسيات .. امسيات
شاعر ... احرقته لوافح الهجران ولوافح البعد .. من يشتري منى النهار بليلة
صرخة شاعرية ! ... ما اظن شاعرا من اهل الاندلس او من بنى العباس او فى اى
عصر مزدهر آخر ... نادى وهتف .. بهذه الشطرة .. وصرخ بمثل هذه اللوعة ..
من يشتري منى النهار بليلة ! .. فهو من عشاق الليل ولا يعيش الليل الا
شعراء ومحبون ولعلنا نجد اطياف الماضى تتراءى فى مخيلة الشاعر فيتمنى
عودة لياليه مع رفاقه وصحابه ... ولكن مما يزيد فى الحسرة . ان الليالى
لا تعود وان امسيات الامس لا ترجع .. مهما نادى مدلا .. من يشتري ؟
لا فرق بين نجوم الليل .. طبعا فتجوم الليل فى صحراء ودان ظاهرة صافية
وقد تكون نجومها على شاطيء صقلية من يدري ... فليلة الشاعر التى يريد
والتى يود استرجاعها قد تكون صحراوية « ودانية » وقد تكون « صقلية »

شاطئية ... هى نجوم فى السماء صافية .. وفى المجلس مشعة ... ولكن ...
من يشتري .. ؟!

وهو شاعر مهذب اديب .. اديب العبارة واديب الخلق .. فهو
مجلس وهم صحاب .. ونجوم وآداب ولكن لا يدور بينهم كاس صهباء
ومراشف من عنقايد حمراء انما كؤوسهم اشبه ما تكون بالكؤوس فى مجالس
التصوف ... اشبه ما تكون بكؤوس (فارضية) رحم الله ابن الفارض وانصاره
فما كان كاس الودانى فى مجلسه وسماره ... الا من نوع الادب والفكر

وفى (درنسا على فلك من الاداب) ليس فيه عريضة ... وان كان
اكثرهم يعربدون فى شعرهم وليل الادياء قصير مهما طال ويمضى السمر
آخذا فى تنوعه .. اليسوا صحابا فى مجلس ادب وشعر ؟ صفاء جو .. وصفاء
بال و حال و طمانينة .. وهل كانت جنة الشعراء الا من الصفاء والاطمئنان ..؟!
واتى الصباح ... ولا بد من اتيانه ... جاء ... وهل يدوم الليل .. وخاصة
ليل السمار ..؟ اتى ... وبشر به الفجر ... وما اروع الودانى فى تشبيهاته
وفى تصويراته .. صباح جاء يسعى فى عنق الليل ... مثل . شيب يطل
على السواد فى الشباب .. تصوير فيه ابداع وبه جده .. الم تكن جده
الفكرة فجدة العرض والابانة والاسلوب والموضع ...

هذه الابيات لا اصيل بشرحها والتعليق عليها . فان الشعر الجيد لا
يحتاج الى اطالة وشرح ... والشعر الصادق الحساس المرفف ... يفسده
الشرح والتعليق كما تفسد المساحيق والاصباغ الاصطناعية وجه الحسنة
وجه الجميل المليح تفسده الاطلية والاعطية ... فلندع هذه الابيات سافرة ..
مكشوفة تظهر حسناتها بنفسها وتدللك على نفسية شاعرنا واديبنا المغمور
ابى الحسن على الودانى ولكن سنترك التعليق والشرح ... ولا بد لنا من اثبات

أشياء أخرى من أجل التاريخ الأدبي فقد اشتهرت هذه الأبيات وسارت بذكرها الركبان ، كما يقولون ، وكانت مثار حركات فكرية في طرابلس وفي غـ... طرابلس وشطرت هذه الأبيات بعد وفاة الشاعر بعدة قرون ... بعد ما يزيد على ألف عام والشعر الخالد يرسل شذاه من وراء الأمس والاكلام . وعاشت أبيات الودان... وخلدت وظلت درة « خطيرة » وسـ...ت في مجالس ادباء طرابلس بل رددت في أمسيات « استامبول » والاسكندرية والقاهرة والحجاز وسوريا ، اعجب بها الادباء والشعراء ولا يدري اكثر الناس لمن هي .. سوى انها رائعة وايبات « حية » يجد فيها الراوى والمترنم بها صدى لما يجيش في نفسه .. ومقياس الشعر « الحي » ان يكون صدى ، ومقياس الاحساس الادبي « التجاوب » فانت تعجب بالابيات بل بالشرطة احيانا لانها مرآة ترى فيها ملامح من صورتك وجانبها من جوانبك النفسية . وقد تقرا ألف بيت فلا تهز من نفسك ولا تحرك من ساكنك .. ومن أجل التجاوب الروحي والصدى النفسى احدثت هذه الابيات الثلاثة حركة أدبية في طرابلس .. وقد كانت في أيام الحركة الوطنية وطلقات البارود وميدان الكفاح يفتح ولكن هذا لا يمنع من ايجاد سمر أدبي وندوات علمية ومسابقات والشعر احساس وترويح .. والاحساس قد يشب والترويح يكون الزم في اوقات الكرب والحروب لهذا لاتعجب من ان تحدث ابيات « الوداني » الثلاثة موسما ادبيا في طرابلس في أيام الجهاد الوطنى .. فالادب قد يزداد وقد يروج في أيام الشدائد والازمات لقد اقتدح احد الادباء الافاضل تشيطن هذه الابيات ووجد الاقتراح ترحيبا من جريدة وطنية كانت تصدر أيام الكفاح الوطنى .. والجريدة « اللواء الطرابلسي » وصاحبها الصحفي « عثمان القيزاني » وكان اقتراح التشيطن ونشره في سنة ١٩٢٠ م . وتسايق

شباب ذلك الجيل الى التشطير . ومن المعروف ان التشطير فن ساهم فيه بنصيب كل الشعراء فى كل العصور وخاصة المتأخرة .. ويشطر الشعر الرائع ويضمن المعانى الطريفة وأحيانا يفوق التشطير الاصل وان كان هذا فى النادر القليل وناهيك بتسابق الشعراء تحذو « بردة » البوصيرى وتشطيرها وقد بلغت مئات التشطيرات ومن شعراء طرابلس المشهورين بالتشطير أحمد البهلـول ويقال ان « ديوانه » كان تشطيرا لاحدى القصائد .. ونعود الى تشطير شباب طرابلس لآيات الودانى ونعرض لك الوانها منها ولا أزعم انها فاقت الاصل كلا .. انما كان التشطير دالا على تقديرهم للشاعر ومدي اعجابهم بشعره وكان من أوائل المتسابقين للتشطير الشاب الشاعر « الشاطر » احمد الفقيه حسن فـشـطـرها مرتين ولهذا ملاحظة نسوقها بعد التشطير الاول

« من يشتري منى النهار بليلة »	جمعت لنا شملا من الاحباب
حسنت وحسنت الحياة لانها	« لافرق بين نجومها وصحابي »
« دارت على فلك السماء ونحن قد »	ملنا لصقـل حرائر الالباب
وكانـها لما تالف جمعنا	« درنا على فلك من الاداب »
« واتى الصباح ولا أتى وكانـه »	برق تالـق تحت ظل سحاب
وكانـه لما تبسـم ضـوءه	« شيب اطل على سواد شباب »

ونشر فى « اللواء الطرابلسي » التشطير وفرح به الشاعر ولكن لاحظ عليه والده وفرحات الزاوى رحمهما الله ملاحظة دقيقة جعلته يعدل عنه الى تشطير اخر أدق وأجمل وقد أبانا له ان الشطرة « برق تالـق تحت ظل سحاب » لامعنى لها وتصوير لا فائدة فيه .. البـرق تحت السحاب لا يعطى تصوير الشيب فى رأس الشباب .. اين هو من الابيض فى الاسود .. ؟ وهى ملاحظة تدل على

دقة احساس الرحومين.. وكانت سببا في ان يشطر الشاعر احمد الفقيه حسن هذا التشطير الثانى ولم ينشر ولكن تكرم فناولنى اياه من مجموعة شعره ووريقاته المبعثرة

«من يشتري منى النهار بليدة»

قد الفت بينى وبين رباب

هي ليلة العمر التى بصفائها

«دارت على فلك السماء ونحن قد»

«واتى الصبح ولا أرى وكأنه»

«كان، ضوء الصبح فى أثر الدجى

ولا شك ان تصوير «طيف الرقيب سرى الى الاحباب» فيه روعة لاتجدها فى

التشطير الاول .. والحق ان اروع ما عثرنا عليه من تشطيرات ادباء طرابلس

هو هذا الذى عرضناه ولكن لسنافى ميزان النقد الادبى انما نحن فى معرض

التاريخ الادبى ونحاول اثبات الرائع وغيره لئلا تضيع حتى التشطيرات

بعد ان ضاع شعر الودانى وديوانه واثاره فعلى الاقل نحتفظ ببلون من

الاعجاب بشعره ونعرض مجهود المساهمين فى التشطير من «الشطار» فهذا فتى

من زليطن فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٠م ينشر مساهمته فى هذا المجال هو

عبد الله بن موسى ابو حجر

«من يشتري منى النهار بليدة»

تزهو بحسن جمالها اترابى

«لأفرك بين نجومها وصحابى»

«دارت على فلك الزمان ونحن قد»

دام الوصال بها لنا صرفا كما

«واتى الصبح ولا أرى وكأنه»

بعداء له من مزيج فكانه

«شيب اطل على سواد شباب»

... وقد مد الله ابو حجر في تشطيره نراه طربا بصفو الشراب مع ج
الوداني كان شرابه من كؤوس الاداب ولكن يظهر ان المشطر يرسم صورة
مائلة اسامه ولعله من الذين لا يطبقون روية الكاس .. ثم نلاحظ (هزات)
لا شعرية انما « هزات » فيها خلل وخضخضة تكاد تسمع لها (قرعة) عند
شطرته دام الوصال . بها لنا صرفا كما - هذه الالفات هذه المدودات كأنها
اعمدة في الخلق .. او شعرات واقفات في العين .. وليست لاثقة بايديات
الوداني ذات الرقة والرنين الذهبي وخير ما في شطرات (ابو حجر) تشبيه
الصباح الاتي بـ (واش اتى يسعى بسوء عتايي « هذان شاعران احدهما ساهم
مرتين في التشطير والآخر اكتفى بواحدة ولم نثر له على اثر آخر وعثرنا
على مساهم ثالث ادلى بدلوه . ورمى بسهمه ولكنه اثر ان يكون مطوى
الاسم مجهولا وابى الافصح عن نفسه الا في تشطيراته التي نسوقها اليك ..
ونوصيك بالصبر .. ان الله مع الصابرين . وقد بدأ صنيعة صارخا

نادى مناد في عكاظ اجله	يروى صدها معنعا عن خولة
« من يشتري منى النهار بليلة	فتخلخلت منا عرى الاعصاب
وتلت على السقف المحيط ودره	لا فرق بين نجومها وصحابي
(دارت على فلك السماء ونحن قد	هنا نظوف على ديار ربـاب
فـراجعت البـابنا فاذا بنا	درنا على فلك من الاداب
(واتى الصباح ولا اتى وكأنه)	موج تكافحه جذود عـباب
صاح الشباب على الشباب بحسرة	كتحسـر اللفان الغى مرة
هذا عدوى فاقتلـوه بشجرة	شيب اطل على سواد شباب

وبعد ان تقرأ ارجو ان تسمح العرق المتصبب من اثرها فهي ابيات
جامدة ، وتشطيرات متكلفة ، تدل على ان مشطرها احسن باستتار اسمه ..

وعدم الافصح عنه ، والا رجموه وهذا الشطر يصدق عليه ما قاله احد النقاد عن احد الشعراء المتكلمين بعد ان اسمع الناس مثل هذا الصنيع ... يا فلان لقد رحمت نفسك فلو لم تتلفظ بها لاصابك شيء خطير في جسديك .. انها غصة ... لابد من القائها وهكذا كان هذا الذي امسك شفرة واخذ يعبث بايبيات الوداني ... انه مثل من يمسك ديوان الشاعر ويقصصه بالمقص جزازات عبث هذا التشطير ولولا اني اثبت هذا المقال والتشطيرات لاجل التاريخ الادبي لما ازعجت القارئ بسردها .. والقائها ... والتاريخ الادبي مثل التاريخ القومي ... والتاريخ الدولي ... فيه الغث والثمين ... والصالح والطالح والمشرق والمظلم .. ومثل هذا التشطير الجامد يدل على (تطور) الشعر في هذا البلد فاثبتوه ولو كانت (نماذج جامدة) وكلمات (محنة) وهذا الشطر المجهول رمانا بايبياته الصخرية عندما بدأ شطرته بالفاظ (معنعا) هذه الالفاظ مثل تضارب عربات السكة الحديد عند تزاممها وتراجعها وتصادمها فجأة .. ثم في الشطرة الثانية لا يرحمنا فيقول (فتخلخلت منا عرى الاعصاب) اهذا شعر ؟ انه يفوح منه رائحة البعر ... خلخلت . واعصاب .. ارحم اعصابنا يا مجهول ... ثم هو سريخ (نطوف على ديار رباب) ثم هو يرجع لنا البابنا التي طارت من شعره وسرده (« فتراجعت البابنا » ومن قال ان لبه رجع اليه ...؟ بل من قال ان عنده لب عندما سطر هذه التشطيرات يظهر انه كان في يده (ساطور) لا قلم شاعر ثم اتيان الصباح بماذا يصوره ...؟ (كموج تكافحه جنود عباب) وعليك ان تجلس على الشاطئ وترى موج البحر المتلاطم وتقارن بينه وبين الصباح عندما ياتي في الافق بعد ليل .. اين هذا من ذاك ..؟ بل اين البابنا يا مجهول الاسم ؟ ثم هو يبدأ بالمداة كانه (يباع) (ربايكيا) وينتهي

بالصباح المزيج (صاح الشباب على الشباب بحسرة) نداب .. لطام .. ثم مثلي
 اى شىء هذا الصباح عند مجهول الاسم المتشاعر؟ كتحرير اللهفان الفين من
 من المرات .. اللهم احفظنا وباعد عنا الشر... وماذا يقول صاحب الفين
 حسرة وندامة (هذا عدوى فاقتلوه بشفرة) يدل على الجبن اولا لانه يريد من
 الناس ان تقتل عدوه ولا يقتله هو ... ضعف وجبن ... وخور ... ثم القتل
 بشفرة ... لابد ان الناظم ... جزار او حلاق ... فعندهم الشفرات الحادة ...
 اكثر حوادث الجزايرين والحلاقين بالشفرات .. وخيال الناظم السقيم
 سمح له بهذا لان الشيب يزال بالحلاقة والشفرة .. ولكن هل يجدى ان
 تخلق الشيب او ان تصبغ الشيب ان حلاقة الشيب وصبغه لا يعيد القوة
 ولا يبعث الحياة كما ان هذه التشظيرات .. لا فائدة منها وكادت ان تسمخ
 الشعر الرائع البديع .. تكاد ان تخلق ابيات الوداني عندها « اطبقت »
 عليها واحاطت بها وهناك تشظيرات اخرى ساهم بها ضعاف الخيال وضعاف
 الشعور لا اثقل على القارىء كثيرا بسردها ويكفى هذا النموذج فاننى
 شعرت باننا فى جو خانق فى شهر يوليو.. ولكن لا بأس من ان نخرج على
 شاعر رابع ساهم فى المسابقة هو عبد الرحمن حمودة وقد نشر تشظيره فى يوم

٢٣ سبتمبر ١٩٢٠ م

(من يشتري منى النهار بلبلة) فيها نلذ بمطعم وشراب

وصفا لنا الدهر الخؤون لانهم (لا فرق بين نجومها وصحاب

دارت على فلك السماء ونحن قد) ملنا لانس الخيل والاحباب

وكانهم لما احتفوا وكانهم (درنا على فلك من اداب

(واتى الصباح ولا اتى وكأنه) بدر كسى بغمامة وسحاب

وكانه لما على الافق انجلى (شيب اطل على سواد شباب

ويظهر انه كان جائعا او كان صاحب بطنة ... فهو يلبذ بالطعام
والشراب وتشبهاته ضعيفة ولكن لا تصل الى درك السابق مجهول
الاسم وهى بالنسبة لغيره متوسطة وان كانت لا تصل الى جودة
تشطيرات السيد احمد الفقى حسن المتقدمة .

بقى ان نشير الى ان ابيات الودانى الثلاثة لا بد ان تكون قطعة من
قصيدة ولا بد ان يكون تراثه متناثرا هناك وهناك ولكن هذا ما عثرنا
عليه وهذا كل ما امكننا ان نحصل من شعره الرائع وعسانا بهذه الكلمة
الموجزة العاجلة قد وضعتنا اشارة ونبهنا على شاعر واديب جدير
بالدراسة والعناية والبحث .

ابن معمر الهواری

۵۶۰۹ - ۱۲۱۲ م - ۵۶۸۳ - ۱۲۸۴ م

العالم المغامر ، والشيخ الاديب

∫

ابن مَعمر الرِّهَوَازِيّ

الحدث في هذه الصفحة عن شاب طرابلسي كان مغامرا في الحياة العلمية والحياة الاجتماعية اوتى قوة من الذكاء وطلاقة في اللسان وتوسع في العلم فاخذ يضرب في شعاب الحياة ، وشق طريقه بين العلماء حتى تصدروا بين اصحاب الراى حتى سمع واحترم . ذلك هو الفقيه ابو الحسن بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسي ، من اعلام القرن السابع الهجرى .

وكان الى جانب التطلع في الفقه وما يتصل به من علوم الدين ، اديبا له شعور الشاعر ، ولديه آفاق الخيال . يخلق ولكنه لا يصل ويسير ولكنه يصطدم ، ويطمح ولكنه يحارب ، ويتكلم ولكنه يؤذى ، ويسجن ويطلق ولكنه يتحمل ويصبر ، ويترك وطنه طرابلس ، ويفارق الاهل والخلان ، ولكنه لا يذوب في الغربة ولا تقضى عليه الفرقة بل يظهر اسمه وتتكون شخصيته رغم الصعاب وما يعانيه من تقلبات الاحوال .

رجل حياته كلها عذاب واضطراب ، ولكنها جديرة بالاعجاب ، يتشوق ويتحرق ولكنه مغمور مغمور في حاجة الى كشف وابانة . وكفى في تاريخ المغرب الاسلامي ، وخاصة هذه البلاد ، من بحوث في حاجة الى اكتشافات وكتابات ... انه تاريخ حافل ، ولكن اين من يبحث فيه ويدلنا على التراث المجهول ؟ ولد بن معمر في مدينة طرابلس الغرب سنة ٦٠٩ هـ ، - ١٢١٢ م وجلس كم يجلس اقرانه وتلامذة اهل زمانه الى فقيه يعلمهم القرآن والكتابة ومبادئ العلوم . وبعد ان يقوى عوده ويشهد ساعده يلمس في نفسه طموحا يدفعه

الى مجال اكبر، انه يتطلع الى عالم اكثر، والى حياة اعظم وكانت نهضة
لعلوم الاسلامية وسوق الفقه والحديث رائجة فى بلاد المغرب فى مساجد
تونس، وحلقات المهدية، ويسمع بهذه النهضة ويجتمع مع رجالات التفقه
الذين يرحلون من بلادهم فيمرون بطرابلس قاصدين المشرق فيجد عندهم
شيئا كثيرا يبحث عنه ويتشوق اليه، ثم ياخذ ابن معمر يده ويضعها فى
يد اخيه ابي موسى ويتوجهان الى تونس - الى المهدية - ويجلس الاخوان الى فقيه
زمانه وعلامة اوانه (ابي زكريا البرقى) ويظهر ذكاء طرابلس لما على جبين هذين
الشابين وتظهر الفطنة فى الحفظ المتواصل والانتقان المتزايد والتعطش الغريب .
ويهمس ابو موسى فى اذن اخيه ابي الحسن : - اريد العودة الى طرابلس
ولكن ابا الحسن ما زال متطلعا متعطشا راغبا متشوقا ملازما لشيخه (ابي
زكريا البرقى) يسطر ما يسمع ويناقش ما يقال ويعارض ما يقرر
ويعود ابو موسى الى طرابلس ليتولى القضاء والافتاء اما صاحبنا فيبقى فى
تونس فى المهدية يلزم شيخه ملازمة الظل، يصاحبه فى الغدوات والروحات
ولا تفوته حلقة من الحلقات او كلمة من الكلمات .
ولكن الظروف تتبدل والاحوال السياسية تتغير ويكفر الجو ويتبدل
فى البلاد التونسية وتقع، فتنة ابي الحمراء بالمهدية، وليس الحديث عن
الفتنة السياسية او الفتنة الدينية واسبابها مما يهمنا هنا حتى نبسط فيها
القول ونتعرض لها بالتوسع : انما المهم هنا ان الشيخ ابا زكريا البرقى
اطهد مر الاضطهاد، وقتل فى تلك الزوبعة السياسية او الدينية (ابو الحمراء)
وحمل الشيخ البرقى على حمار وسبق الى الامير، وكان معه خواص اصحابه
والمخلصون من تلامذته وبطيعة الحال كان ابن معمر الطرابلسى يصحب
شيخه ويشاركه الالم والاضطهاد .

ولكن الشفقة تتسرب الى قلب الامير فيطلق سراح الشيخ البرقى ويعيده الى موطنه آمنًا سالما ترك الشيخ البرقى تلميذه ابن معمر فى العاصمة التونسية وهنا تبدأ مرحلة جديدة وصفحة جديدة فى حياة الشيخ الطرابلسى ويخطو الى الحياة الحرة الرحيبه خطوة قد تكون واسعة حينئذ وقد تكون ضيقة مؤلمة احيانا ، وهكذا حينئذ من يصل الى مجالسة العظماء حالة لا تستقر وصاحبها دائما .

خوف لا يدرك ما الامر ، وما المقرر فقد اصبح ابن معمر فى حياته الجديدة يناظر الفقهاء ويحاج العلماء ويجلس مع العظماء والامراء . وتفتحت تلك المواهب فى الاجواء المضطربة الجديدة .

وكان ابن معمر صاحب لسان طليق ذليق ، خطيبا موهوبا ومحدثا لبقا وعالما متوسعا ومناظرا بليغا ، ياخذ باعناق الحجة او ياخذ باعناق خصمه ، فاذا ما تحدث سمع ، واذا ما ناظر غلب ، واذا ما تكلم وجد الناس فى كلامه ما لا يجدونه فى كلام الغير من اهل العلم والحديث ، وهذه صفات تجتمع فكونت منه شخصية لفتت اليها الانظار وتجمع حولها المعجبون والانصار ، ولكنها هى الطبيعة وقانون الحياة ... الصفو ولا كدار والنسيم والاعصار ، والاقبال والادبار ... تقلبات وتطورات انسجت الحياة لابن معمر ، فولى القضاء وسار او قفز بخطوات سريعة فى سلم المجد . وفى دولة الخليفة (المستنصر) ينقل ويتدرج فى سلك القضاء فى البلاد الافريقية بساجه وبياجه الشيخ

ولى خطبة العلامة الكبرى والاشراف على خزانة الكتب ، فاشرف ابن معمر على الخزانة العلمية ، وهذه مرتبة سامية ومنزلة عالية لا يستطيع القيام بهــا والنهــوض باعبائـها الا عالم كثير الاطـلاع واديب

عظيم الباع ، وباحت ذو اضطلاع . والاشراف على خزانة الكتب يعطينا صورة من حياته العلمية والاجتماعية ، ومثل هذه الوظيفة شغلها ابن مسكويه الفيلسوف الاسلامي ، وقد اشرف على خزانه آل بويه في المشرق . واخذ ابن معمر يرتب خزانة الكتب ، او بالتعبير الحديث (دار الكتب) ينظمها ويسد فراغها ويملا وفوقها ، وكانت تبلغ الثلاثين الف مجلد .

ولكن العاصفة تجتاح هذه الحياة الهادئة فتبديل الاحوال ، وتتطور فبعد ان استقر ابن معمر بعض الاستقرار ، حاول ان ينظم حياته كما نظم دار الكتب فهو يبحث عن الطمانينة ولكنها تفر منه ، ويبحث عن الهدوء ولكنه لا يواتيه . فبعد هذا الاستقرار المؤقت في القضاء والاشراف على خزانة الكتب ، اذ به مغضوب عليه ، ينتقم منه الخليفة (المستنصر) ويسلط عليه شواظ غضبه وقوارص قوله ---- . وويل للعلماء من غضب الامراء ، وويل اهل الفكر من اولي الامر ... ويامر الخليفة بنفي ابن معمر الى المهديّة ... وخرج يوم السبت ١٨ ذى القعدة سنة ٦٦٧ هـ ١٢٨٦ م ناكس الراس حائرا مغضوبا عليه . وظل في منفاه عاما كاملا ، يعاني الم الغربة والم الفرقة والوحدة والم النفى وغضب السلطان صاحب الحكم والشان . وفي هذه الجفوة قدم صديق له ، وما استطاع ابن معمر ان يزور هذا الصديق ولا ان يجلس اليه فيبثه شكواه ولواعج نفسه ودقائق حسه فازداد الم وتكاثرت شجنه ، فتحركت شاعريته المتألدة وكأنما كان قدوم الصديق الى البلد نفخا لجمر يتاجج في نفسه ، فارسل ابن معمر الى الصديق سرا بطاقة تحتوي شكوى على الشوق الجريح

كتبت ولولا الحكم كنت اليكم
من الشوق في متن الرياح اثير
وما في صميم القلب من خالص الوفا
فسيان فيه غيبة وحضور

وظل ابن معمر منفيا في المهديّة ينتظر الفرج ويرسل الشعر بينه وبين نفسه
وقد يرسله الى اصدقاء تباعدوا ، واخلاء فرقته عنهم حوادث الزمان .
واخيرا رضى عنه الخليفة (المستنصر) وامر بالافراج عنه فى ايام عيد الاضحى
سنة ٦٦٨ هـ ١٢٦٩ م

وعاد الى دنيا الطلاقة والحرية ، وبدأ الشيخ الطرابلسى يخطو من جديد
نحو آماله فى الحياة الاجتماعية والعلمية - ولكنه ، والحق يقال ، كان
سليط اللسان شديد التعرض للناس ، كثير النقد الجارح ، يلذع الناس
بنقده ، وينشر معائبهم ، ويشير الى مساوئهم ونواقصهم . وهذه خصال
دائما تدفع صاحبها الى الهاوية ، وتزج به فى المازق الجرجة ، وتسلب عليه
الحكام . وتغضب عليه اولياء الامور . واللسان السليط سوط يجلد صاحبه
وهكذا كانت قوارص القول ولذعات الكلام سببا فى ملء الصدور غيظا
على ابن معمر الطرابلسى . وبعد اطلاق سراح ابن معمر بسبع سنوات
مات الخليفة (المستنصر) وولى بعده ولده الواثق .

وهنا تبدأ صفحة اخرى وخطوة جديدة فى حياة صاحبنا ، وفى يوم
السبت التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٦٧٥ هـ ١٢٧٦ م امر الخليفة الجديد ان
يعود ابن معمر الى خزنة الكتب ، وينظرفيها ويسوى من امرها ويصلح
ما فسد ، فهو بعلمه واطلاعه وخبرته وتجاربه جدير كل الجدارة بهذه المرتبة
ويقف ابن معمر امام خزانه الكتب بعد غيبة طويلة وسنين غير قليلة ،
فهاهنا الامر لقد وجدها مبعثرة ، مهلهلة ، ناقصة سهمة موزعة ، ممزقة ، مشوهة ،
واطرق العالم اسفا لهذه الفوضى التى عبثت بالمكتبة القيمة .

ويسال بعض العلماء والادباء ابن معمر عن امر هذه المكتبة وما مر عليها من اعاصير ، فيذكر
لم انها كانت ثلاثين الف مجلدهم أبعد عنها ، ثم اعيد اليها فوجدها عشرين الفا واختبرها

وفحصها في عودته الاخيرة فوجدها تنقص عن ستة آلاف مجلد ويسأل ابن معمر عن سبب هذا النقص فيقول : المطر وأيدي البشر .
وعاد ابن معمر يصدخ من امر المكتبة ، وصفها الجوّ قليلا ، واراد ان يرتب حياته ويهدأ باله ، ولكن عاصفة اخرى تبدو في الافق ثم تجتاح فسرعان ما تغير عليه رئيس الدولة ابو الحسن ابن ابي مروان من اجل بعض القضايا التي كان ابن معمر يصدر حكمه فيها . وامر رئيس الدولة باعتقال الشيخ ابن معمر ، وان يشد وثاقه في دار الاشراف .. وهنا نجد صفحة اخرى في حياة صاحبنا الشيخ ... حياة المعتقل .. حياة العزلة ... حياة الشعر والشكوى حياة الالم المزدوج ، والغربة المملئة بالحرقه ... هذه الغضبات المتواليات ، وهذا السجن والنفي والاعتقال والاضطهاد ، كل هذا طبع احاسيسه بطابع الشكوى والتذمر والتخسر والتلهف والائين والحنين ، تلمس هذا في اشعاره القليلة التي وصلت الينا وقد يكون هناك شعر كثير ضاع في خضم الزمان ولعبت به رياح الحدثان .

وجلس ابن معمر مع زمرة من الادباء فانشد صديق منهم بيتين لابن الوليد سليمان ابن خلف الباجي .

مضى زمن المكارم والكرام سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول فصار البر نطقا بالكلام
ويسمع ابن معمر هذه النعمة التي تحمل طابع التأسف والحسرة فيراها ناقصة ويجب ان يتم هذه النعمة ... فيرسل آهة اطول ، وتأسفا على الزمان ، ويبالغ ابن معمر في تصويره اكثر من ابن خلف الباجي، فيرتجل قائلا :
وزال النطق حتى ليس تلقى فتى يسخو بمر جوع السلام
وراد الامر حتى ليس الا سخى بالاذية والسلام

فهو بهذا يعبر اصدق تعبير عما وجد في دنياه ، ولقى في حياته من
الاذى والنفسى والاعتقال والغربة .

واعتقل مع ابن معمر أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضلى ، وتوطدت بينهما
صداقة مثينة ، وافرغ عن صاحبنا قبل اطلاق سراح الفضلى ، فارسل الفضلى
يهنئه فرد عليه صاحبنا ببيتين فيهما طابع الصداقة الخالصة والشعور الصادق
(لئن سرتي فلك الأسارى من الحبس لقد ساءنى فقدى لما فيه من انس
ولو انى خيـرت فيما اريدـه لاثرت تقديمى سراحك عن نفسى)
وله اشعار متناثرة في بعض الاوراق مطوية في صفحات الاهمال ضمها
النسيان ومضى بها الزمان ، وله قصيدة على نمط المنفرجة الشهيرة يقول
في اولها - ولعله نظمها ايام سجنه واعتقاله او بعد سراحه :-

الله انعم بعد الياس بالفرج يا ازمة الدهر بعد الشدة انفرجى
وقد اثبتتها الرحالة التيجانى في رحلته :

ورغم ما لقيه ابن معمر من زعزعات وهزات وهموم وغموم فانه كان
ظريفا رقيقا يحب الفكاهة والملح . ويحكى عنه ابن «الاباز» في بعض
كتبه قال انشدنى القاضى ابن معمر فى ابى المجد الصوفى المهدي ، وكان يريد
مداعبته بتزويجه العجائز :

أبا المجد كم يغرى بحب العجائز وذلك فى شرع النبى غير جـائز
كلفت باطلال محـا الدهر رسمها فاصبحت تبغى الفوز بين الفاوـز
رحم الله ابن معمر لقد قضى عمره فى غربة ، وكفاح ، وكربة . وكان
علما من اعلام الفقه والقضاء ، جرفته تيارات السياسة ، واهدته طرـابـاس
الغرب الى تونس فكان خير هدية ونعم العطية . توفى فى تونس سنة ٦٨٣هـ - ١٢٨٤م
وله من العمر ٧٤ سنة . وقد لاحظت ان النائب المؤرخ الطرابلسى لم

يشير اليه في تاريخه مع انه اشار الى القاضي ابو موسى المواري ، ابن اخيه
 ومع انه اشار ، واحيانا افاض عن كثير ممن لا يستحقون الاشارة والكتابة
 ويلاحظ ايضا ان «هواره» باب من ابواب طرابلس الغرب، وهو الان عند «سوق المشير»
 بالقرب من مسجد احمد باشا نسبة الى قبيلة كبيرة ويوجد كثير من ابناء هذه القبيلة في مصر
 وخاصة في الصعيد، ويرى بعض المؤرخين انهم عرب حضروا من الجزيرة وقطنوا المغرب.
 مات ابن معمر وفي فمه ابيات يرددها انشودة حزينه ونعمة كليمه منها
 وارحمتهاه لقلبي كم اجشمه
 وكم يعانى ملهمات بايسرها
 وكم يلجأـجـج فى افكاره لجج
 امرا يذيب من الاصلادما صلبا
 يهون الامر من دنياه ماصعبا
 سود تاجـجـج فى احشائها لهبا

محمد بن أبي الدنيا

حديث الاعلام الذين نشروا العلم ورفعوا اسم طرابلس في العالم الاسلامي حديث حلو وبحث شائق ولكنه صعب عسير.. تكتنفه المشاكل المتعددة واولها واطورها .. قلة المراجع وعدم الاهتمام من الذين يجب عليهم ان يهتموا بهذه الناحية في تاريخ الاعيان والاعلام الذين كان لهم في عالم الفكر حدثا .. وفي التاريخ الاسلامي حديثا ... وسيكون الحديث هنا عن رجل عرفه العلماء المحدثون .. رجل عرفه المتصوفة ، وتتلذذ عليه العلماء ، واكرمته الامراء وسارت اليه الرسائل ووفدت اليه الوفود ، وملا عطره وذكره الدنيا ذلك هو محمد بن ابي الدنيا ، من اعلام القرن السابع الهجري .

في بيت من البيوتات العريقة في طرابلس ولد ثم درج وتربى ونشأ بين المدارس والمساجد .. يحفظ كتاب الله ويردد آياته .. ويتلقى العلوم على منهج القدامى يتسلق صخور المتون ، نزهته في كتاب يقرأه ، وحديث يردده ، ثم جولات الشاطيء الطرابلسي الجميل ، والمسجد الكريم والبساتين البانعة والحدائق المزهرة والصمت الرائع ، والمدرسة الدينية يسمع الاحاديث مسلسلة ومزعنة فيروى ويحدث .. ويجد كتاب الله يرنو اليه ، فيقبل الفتى الطرابلسي عليه يتلوه في الفجر وفي وقت الصفاء والضجر ، وخاصة عندما تهجع العيون وتستسلم الجنوب للمضاجع يقوم ابن ابي الدنيا وقد خلا بنفسه فيردد الايات ويقبل قلبه على عالم آخر يجد فيه الانس والصفاء والمحبة والجلاء

وهكذا فى مدرسة الليل بصمته وصفائه ، والنهار بتحريكه ونشاطه
وفى محراب التقديس والظهارة نشأ (ابو الدنيا) صوفيا صادقا هذبته
تعاليم السماء ، فيتكلم وكأنه يهيمس ، ويمشى وكأنه يحذر ويهزج
ولكنه يتحفظ... ويرتاض ويلهو ولكنه يفكر ويقدر...

ليس هذا ما نلاحظه فى تكوين الفتى الطرابلسى .. بل هو يذهب الى
الاثار القديمة بقية الاغريق والرومان يجدها عند الشاطئ بارزة
ظاهرة صامتة متكلمة ، ولكنه يعجب بصمتها ، ولا يفهم كنه حديثها
وهو الباحث الدؤوب والطالب الرغوب يجد فى آثار الاقدمين واطلال
الغابرين مراحا وموطنا يسرح فيها ناظره وخاطره ، كيف بنيت ؟ كيف
اسست ؟ متى ؟ ولماذا ؟ ومن ؟؟؟ هذه اسئلة تجول فى خاطره فلا يجد لها حلا
ويتطلع الى الاسطر المكتوبة والحروف المرقومة ، فلا يجد عندها جوابا ... ولا
تزيل حجابها .

وهكذا نشأ محمد بن ابي الدنيا ... صالحا وباحثا فى ملكوت الارض
والسماء ، وفى آثار الخالق والمخلوق وقد ورث العلم والفضيلة من بيت
كريم وان كانت وراثته العلم والفضيلة كوراثته البطولة والرجولة شيء
نادر فى عالم الوراثة ومحيط الاسرات .

وبعد ان اشتد عوده وقوى ساعده ، واتم القرآن حفظا واكثر من
الحديث المحدثى رواية ولفظا وملأ شاطئ طرابلس سيرا وحسن سيرة .
اذ به يهيم وجهه شطر المشرق الى الازهر المعمور ينبوع العلم والعلماء
ومناب الامل والرجاء الازهر ، الازهر قد ملأ هذا الاسم سمع ابن ابي
الدنيا فاخذ يهرول اليه وكله طموح فى ان يملأ قلبه علما كما ملأ صلاحا
وتقى .. وكما ملأ هذا الرأس فكرا وبحثا ويضع اقدامه عند باب الازهر ويسمع فيه

دويا كدوى النحل .. ويدخله باسم الله حذرا ملائمة رهبة المكان وقديسية العلم ، وخشوع التبتلين فيرى الحلقات المتزامنة ، والكتب والاوراق والازياء المختلفة ، واللهجات المتعددة ... ، وينتحي ابن ابى الدنيا ناحية فيجد جماعة من ابناء طرابلس فيقبل اليهم ويتحدث معهم ... ، ويضع عصا تسياره ويدور الحديث عن طرابلس وما بها وما فيها وكلهم يستزيد ويحدث ويفيض ... ولكن ما لفتنا القادم قلقلا لا يستقر؟ بالامس هذه شوق الى مصر وازهرها لينهل من ينابيع العلم ويغترف من بحاره .. ، ثم بعد ان يصل لا يستقر بل نراه قلقلا يريد وجهة اخرى ... انه صوت يناديه صوت مقدس صوت له هيبة ورهبة انه صوت الحج انه الاذان المسموع ... ، تهرع اليه من كل صوب الجموع ! .. ويسرع ابن ابى الدنيا ليلبيه ويذهب الى بيت الله ، ثم يعود الشاب الطرابلسي الى مصر الى الازهر . ويلقى رحله ليملا هذا القلب المتعطش والفكر المتطلع ويجد الاستاذين علامتى زمنهما . الريغن ، والصفراوي ، صاحب التقريرات المشهورة ، وفى ذلك الزمان يتلذذ عليهما ويظهر نبوغه فى العلوم التى كانت مدروسة والتى لم يكن هناك سواها فى سوائف الايام ... فالتصوف كان فنا يدرس كما يدرس اليوم المستشرقون والمستغربون استغفـر الله بل كان التصوف يدرس علما وعملا فكان التصوف رياضة روحية ورياضة فكرية ورياضة بدنية ، فوجد هذا الفن فى قلب ابن ابى الدنيا مجالا كما تجد المياه الصافية فى الارض الخصبة قابلية واثرا وتأثيرا فنهـل من موارد القوم .. واخذ من اورادهم .. ، وردد الحانهم .. ، فى جدود لا ينكرها الشرع . كان التصوف على حقيقته والتشريع صنوان وواجهتان لحقيقة الحقيقة وطريق الحق الى الصراط المستقيم . ودرس ابن ابى الدنيا (اصول الفقه) او فلسفة الفقه واتخذ من العقل آلة ومن (الاستنباط) و (القياس) طريقا .

ولهذا كان فى احكامه ودراسته يستبدل ويبدل ولا يرمى القول على عواهنه ..، وعندما جلس الشيخ الطرابلسى للتأليف سطر رسالة (حل الالتباس فى الرد على نفاة القياس) وهذه الرسالة تدل من عنوانها على ان شيخنا المحدث منذ ما يزيد عن سبعة قرون كان يدافع عن طريق العقل ويجعل للاجتهاد مكانه ..، ويفكر فى التفكير المنهجى السليم ..، الذى يبحث عنه احرار العلماء ويتطلبه المعتزون بالتراث الاسلامى العزيز ..، اذا كان ابن ابى الدنيا حر الفكر يرجع للاقيسة والاستنباطات ورسالته تدل على انه كان يدافع عن وجه نظره فقد تصدى له ولغيره قوم آخرون متمسكون بالنصوص قاعدون على الحروف فانبرى لهم ابن ابى الدنيا فرد عليهم فى بحثه ونقد اولئك الذين ينفون (القياس) ولا يريدونه ..، اشهد الله ان هذه نقطة خطيرة تدل على روح التحرر والتجديد ...، والفكر الطليق من شيخ طرابلسى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى . ثم كانت معانى البطولة والدفاع المقدس تختلج فى صدر ابن ابى الدنيا ولهذا جلس مرة اخرى وستر رسالة فى (الخص على الجهاد) ومعنى هذا ان ابواب الفقه المحفوظة المطروقة من نواقض الوضوء وانواع المياه والخلافات اللفظية والمعارك الهامشية لم يعرها الشاب الطرابلسى أى اهتمام عندما اخذ يولف بل كتب عن الجهاد ..، هذا الباب الذى كان علماء الدين يدرسونه باعتناء ثم جاءت فترة انكس فيها هذا الباب واصبحت الدراسة الفقهية صورا والفاظا معادة محفوظة وخلافات على مسائل بسيطة ويظهر ان ابن ابى الدنيا الف رسالة القياس ورسالة (الجهاد) فى مصر .

ثم عاد الى بلاد المغرب ..، عالما محدثا راوية ، وعلوم الحديث المحدث قد تبخر فيها علماء اجلاء برهناوا على سعة الافق والمقدرة على تفهيم رسالة الدين ورسالة الخير ...، وقد ضرب ابن ابى الدنيا يسهم وافر فى علوم الحديث

وما يتصل به ، فذاع صيته بل ان سمعته وصلت بلاده وما وراء بلاده قبل ان يعود الى طرابلس .. ، ولهذا ما كاد يرجع الى طرابلس ويستقر بها اياما حتى رحل الى تونس وتعرف بعلمائها وجالس كبراءها ، وافاد طلابها .. ، وكان ابن ابي الدنيا سفير طرابلس العلمى الى تونس الشقيقة المحبوبة... ، وكان حلقة ارتباط وهمزة اتصال... ، وكان بعلمه ومكانته وكثرة افادته دليلا مدسوسا على عوامل الامتزاج بين اقطار المغرب .. ، وخاصة تونس الحارة ، وعلى ذكر هذا لاحظ ان رحلة الشيخ ابن ابي الدنيا الى تونس ثم مكوثه بها اعواما طويلة جعل بعض اخواننا الادباء والباحثين من ابناء تونس يحتضن هذه الشخصية ويتبنون الرجل ، مع انه طرابلسى مولدا ونشأة واصلا وفرعا ... ، كما ان بعض الباحثين من مصر يريدون ان يضموا اليهم (ابن منظور) صاحب لسان العرب مع انه ايضا طرابلسى نشأة واصلا وفرعا ومتنا . فلماذا يتوزع ابناء طرابلس ويضيع اعلامها من رجال الفكر واللغة والدين بين تونس ومصر ؟؟ مع ان طرابلس فى تاريخها الادبى احوج الى ابنائها ورجالها من غيرها واهل مصر وتونس اغنياء جدا بالشخصيات العلمية والادبية ----- فهو طرابلسى غاية الامر انه جلس للافادة والتدريس فى تونس فهل يقال ان جمال الدين الافغانى مثلا مصرى لانه التى عصاه - حينما - فى مصر وله فيها تلامذة والتشبيه هنا له فوارقه ولواظظه طبعاً .. وعاد ابن ابي الدنيا الى طرابلس منبت الاسرة ومسقط الراس عاد بعد ان عرفته عالما واستاذاً ومدرسا . وما مكث فى طرابلس قليلا حتى شعر الامير (ابو زكريا بن حفص) بالحاجة اليه وعظم فائدته لتونس فاستدعاه الامير لان يكون قاضيا وقضياء الجماعة كان مركزا عظيما ومنصبها خطيرا ، وكان له دخل فى تصريف الامور وسياسة البلاد ، ومركز القضاء فى سالف الايام وهاتيكه

الا عصر ما كان يكبره شيء من المناصب الا الخلافة والامارة وبجانب القضاء
ولى ابن ابى الدنيا الخطابة فى الجامع الاعظم جامع الزيتونة فقد كان ابن ابى
الدنيا خطيبا لسندا وفصيحا مؤثرا ومتكلما متدفقا ، وذهب صاحبنا الشيخ
الى تونس ليستقبل هذه الحياة الجديدة ، .

وفى طرابلس اجتمع طلابه وتلامذته فى المدرسة التى اسسها يودعون
امتازهم المحدث والخطيب والمربى ..، فقد كانت مدرسة ابن ابى الدنيا من مفاخر
طرابلس واثرا من الاثار الاسلامية تلك المدرسة التى اعجب بها الادباء وتحدث
عنها كثرة من الرحالين وكان يطلق على المدرسة التى اسسها (المدرسة المتصيرية)
تحدث عنها التجانى فاعجب واظن ويذهب الى هذه المدرسة الاديب
«ابو الحسن على بن موسى ابن سعيد» ويجلس فى حديقة المدرسة التى سخرته وبهرته
وتأخذ حاسة الشم رونقها من العبق الفواح ، وحاسة البصر من الالوان الزاهية
هذا الربيع الدائم الضاحك فى حوش المدرسة فيتذكر الشاعر الغريب حدائق
تونس وامسيات شاعرية واوقات صافية فيترنم بهذه الابيات ، واعلموا انها من شعر
القرن السابع الهجرى ولكل زمان طابع واسلوب

ياحبذا نسمة هبت لنا شقها	غب الكرا سحرا من روضة الحب
حسبتها عندما هبت وقد نشقت	ببلدة من نداها روح منتشق
قرنفل الهند قد وافى التجار بها	محافظين على نشر له عبق
فعندما فضه الراوى ذكرنى	بطيبه طيب عيش مولى انق
بتونس انس الرحمن ساحتها	وسقيت ايدا بالعارض الغرق
ولا اموت الى ان التقى قمه را	للحسن مطلبة من ذلك الافق

ويتحدث الرحالة التجانى فى رحلته عن موضع المدرسة التى اسسها ودرس
فيها ابن ابى الدنيا فيقول (وبين هذه المدرسة وباب البحر مبان من المباني

القديمية العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى ، ولا تستطيع المثة على نقل القطعة الواحدة منه قامت مربعة ، فلما وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب منيع ، وهى مصورة بانواع التصاوير العجيبة نقشا على الحجر ، وقد بنى عليها الان مسجد يصلى فيه الشيخ ... اذا كانت مدرسة صاحبنا بالقرب من مخزن الرخام اى قوس (ماركوس اريليوس)

وقد قلت فى اول المقال ان الشاب ابن ابى الدنيا كانت له جولات عند لشاطيء طرابلسى واشرنا الى انه كان يذهب الى الاثار القديمة ويبحث عنها ويتأمل فيها ، وليس هذا الكلام ضربا من الانشاء والاسترسال بل يشير اليه بعض المؤرخين والباحثين

ان هذه القبة الاثرية سال عنها وبحث عنها محمد بن ابى الدنيا ويتحدث ابو البركات الفقيه ابو محمد ابن ابى الدنيا .. ان والده الفقيه ابا محمد لا لم يزل معتنى بالبحث عمن يحسن ترجمة هذه الاسطر وانه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط ويفك ذلك الرمز فذكر له نصها الخ ... وهذا الكلام من ابن الشيخ دليل على حب ابن ابى الدنيا للآثار وخطوطها وترجمتها ... ويقول التجانى ... وبين القصبة وهذه المدرسة يعنى المدرسة المنتصرية مدرسة ابن ابى الدنيا - هو جامع طرابلس الاعظم الذى بناه ابو عبيد وهو جامع متسع على عمدة مرتفعة . ان مقالى هذا لمحات خاطفة عن هذه الشخصية الفذة ، التى تشير اليها المراجع الاسلامية والبحوث العربية بالأطناب فى الوصف ولكنها مع الاسف تقتضب كل الاقتضاب فيما يهم فى عناصر البحث وفى الجوانب التى تكمل بها الصورة الذاتية عن هؤلاء الاعلام . هذا عيب من عيوب المراجع القديمة واسلوب من اساليب المتقدمين عندما يتكلمون

او يؤرخون لشخية فذة وعلم كبير ، واستاذ خطير ، يتولون عالم علامة
بحر فهامة خاتمة المحققين صاحب دراية ورواية الخ .. ولكنها تقتضى فيها
هو اهم واجدى واجدر وتوفى سنة ٦٨٤ هـ . ١٢٨٥ م ..
ولم اعثر على كتاب للاستاذ الشيخ ولا على شىء من شعره سوى هذه الابيات
التي نشم منها رائحة التصوف والمهدوء .

طرق السلامة والفلاح قناعة	ولزوم بيت فالتوحش مونس
يكفيه انسا ان يكون انيسه	آى الكتاب ونوره فى الهندس
واذا رات عيناه انما اتى	لينفرون نفور ضببى المكس
ولقدما ينفك صاحب مقول	من عثرة او زلة فى المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل	حتى يراها فى مقام الفيلس

ولى على هذه الابيات ثلاث ملاحظات

١ - ان هذا نظم فاض به على طريقة الوعظ واسلوب التصوف
ولكنه لم يطبقه على نفسه حرفيا بدليل انه لم يكن عزليا .. بل كان اجتماعيا
سافروا وحل وشرق وغرب وقربه الامراء والحكام . ولم يكن فى بيت بالتوحش
مونس كما اشار فى نظمه

٢ - ثم البيت الثالث فيه ما يدل على لهجته الطرابلسية اذ انه نطق
(الضاء) (ضاء) وهى لهجة موجودة بطرابلس ... فينفرون نفور ضببى مكس .
وهذه اللهجة كانت فى ادلتنا على طرابلسية (ابن منطور) وساقدم لكم بحثا
عنه ان شاء الله .

٣ - والبيت الاخير او الشطرة الاخيرة منه فيها اقتباس وتأثر بالحديث الشريف
الذى قال فيه الرسول لأصحابه اتدرون من هو الفيلس الحديث ولهذا صور
النفوس حتى يراها فى مقام الفيلس والله اعلم .

أبو فارس عبد العزيز بن عيسى

كان مولد هذا الشيخ الحافظ والاستاذ الذى تجمعت حوله حلقات الطلاب من ابناء المغرب والمشرق ... فى مدينة طرابلس عام تسعة وثلاثين وستائه هـ. فهو من ابناء القرن السابع الموافق ١٢٤٠م وقد كان قرنا ازدهرت فيه الحركة العلمية واتصلت فيه طرابلس بتونس بل بالشمال الافريقى اتصلا وثيقا تبودلت فيه حركات القضاء والتدريس .. وكثرت رحلات العلماء وموكب الحجاج حتى ان قاضى تونس كان من ابناء طرابلس وهو استاذ صاحبنا ابي فارس عبد العزيز بن عبيد واعنى به الامام ابا موسى بن عمران الهوارى الذى ولى قضاء طرابلس نيفا وثلاثين عاما ٧٠٣ هـ الموافق ١٣٠٣م حتى استدعاه الخليفة الحفصى فولاه قضاء تونس نيفا وعشرين عاما ، وتوفى الهوارى هناك سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٦م

وقد افردنا ترجمة خاصة عن ابن عمه «ابن معمر الهوارى» نشرتها مجلة فى شرق الاردن (القلم الجديد) والذى نود الوصول اليه هنا من هذا الحديث أن قاضى طرابلس كان من ابناء المغرب وهو ابو العباس احمد بن عيسى الغمارى وان عبد العزيز ابا فارس، كان من اخلص التلاميذ لابي موسى الهوارى وكان ملازما له مستفيدا منه مستوعبا لدرره وفوائده، ويذكر لنا ابن غلبون فى التذكار ان مولد ابي فارس كان سنة ١٢٣٨ هـ ويذكر لنا التجانى فى رحلته ان مولده كان سنة ٦٣٩ هـ ١٢٤١م

وان كان هذا الخلاف الطفيف فى الترجمة لا يقدم ولا يؤخر كثيرا ولا يترتب عليه كثير اهمية الا اننا نؤثر نقل الرحالة المغربى على المؤرخ الطرابلسى لأن الرحالة كان معاصرا للاستاذ المترجم له ولانه نقل خبر الميلاد مشافهة عنه من عبد العزيز نفسه ولانه جلس لقيد كثير من المعلومات الخاصة عنه وفى الحديث عن حياته كان يقول (اخبرنى) فهو بهذا اصدق حديثا واصح رواية ونقلا .. كما اننا وجدنا فى مخطوطة الرحالة نسبة الى (بن عبيدة) ويثبت التاء وعند ياقوت الحموى فى معجم البلدان والبستانى فى دائرة المعارف يسمونه (ابن عبيد) ورواية ياقوت اصح ولعل نسخة المخطوطة عليها تاء زائدة وبنو (عبيد) عرفوا فى تاريخ هذا الجزء وفى تلك الفترات ولم نعرف نسبة بالهاء المضافة .

عرف بالامام الحافظ لانه كان من الذين نالوا درجة الحفظ فى فن الحديث وما يتصل به من العلوم والفنون وهو بهذا ينال مرتبة الحفاظ الاخرين فى الشرق مثل الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى والامام الحافظ جلال الدين السيوطى ولم تكن درجة الحافظ بالشىء الهين السهل بل له شروطه المنصوص عليها فى (مصطلح الحديث) وناهيك بمن يحفظ بالسند والرواية عشرات الالاف من الحديث ويعرف الصحيح من المعتبر والموضوع من الحسن والرجال الرواة ودرجة القبول والرفض والطعن .

وكما ان النحو خرج به علماءه عن القواعد الى شىء اشبه ما يكون بالفلسفة من التخريج والتعليل والصرف والتاويل والتوجيه .. فلم تعد مسائل النحو قواعد فقط ولا مجرد اصطلاحات فقط .. انما العالم النحوى لابد ان تكون له حافظة قوية تفهم المذاهب وتستوعب مختلف الاراء والتجريات اللغوية والاقيسة العامة والخاصة والمتعارف والشاذ من الابنية

كذلك عالمة الفقه ..، لم يغد قاصرا على قواعد ومسائل ..، بل لابد للعالم الفقهى من حافظة قوية وذاكرة صافية واعية ..، ومعلومات مستقيضة غزيرة وحساسة دقيقة لأدراك دقائق التأويلات الفقهية والاقيسة الاصولية واستيعاب النادر من مسائل التشريع والاحكام ..، بل ان عالم الفقه اكثر حيطة واشد حذرا من عالم النحولما يترتب على الفقه من الخطورة لانها مسائل تتعلق بالدين وتتصل بالشرع وانها أمور مقدسة وللفقه جلال وتقدير عند الخاصة والعامّة ولان مسائل الفقه مرتبطة اصلا بالكتاب والسنة . واجتهاد اهل الفكر من رجال الفقه الاسلامى .. لهذا كله لم يكن الفقيه فى عصور ازدهار الفقه قاصرا على حفظ الفرائض والسنن ومعرفة المندوبات والمكروهات والمحرمات فهذا شىء يمكن ان يستوعبه حتى العامة من الناس ومن لا تربطه بالعلم ادنى رابطة انما كان الرجل الفقيه فى عصور الاهتمام بالفقه هو الباحث الدارس المطلع من يستطيع ان يستوعب ويقيس ويستنبط ويؤول ويفرع ويلم بالاشتات .. ويعرف كيف يخرج من شائك الاراء وعويص المشاكل وقد كان الحافظ الدارس شيخ طرابلس فى وقته واستاذ او انه عبد العزيز ابو فارس ، فارس ميدانه فى عالم الفقه او فلسفة الفقه فهو يجمع بين المنقول والمعقول بين الفقه والاصول يعرف المسائل من اصلها وما تفرع منها وابنئى عليها .. فهو (اصولى) من فطاحل ذلك العلم الذى يكون لدارس الشريعة النبراس والاساس الهادى له فى دياجى - الخلافات ... وليس هذا التقديم من الكلام من باب التهرب من الترجمة او من المبالغة على الشخصية الطرابلسية والتحيز كى تضفى على فقيه البلاد ديباجة مزركشة وتلبسه ثوبا حرييا فضفاضا .. كلا .. بل ان هذا الضرب من الحديث لابد من سوقه والاشارة اليه كى تظهر ملامحه واضحة من ناحية ومن جهة

اخرى فان هذا ما شهد به معاصروه واعترف به مشاهدوه... من رجال طرابلس
ومن رجال المغرب ومن الطلاب الذين التفوا حوله وانصتوا له وتخرجوا
من بين يديه..، وخاصة من اخرجتهم جامعة القرويين فى ايام ازدهار الفقه
الاسلامى فقد كانت جامعة القرويين حافظة لمذهب مالك ومن اروقته
وعرصاتها نبع العلم ونبع العلماء.. وكان لهم فى المذهب مؤلفات
وتحريجات شان فلاسفة النحو والباحثين عن الشوارد والمشواهد والقواعد
فى لغة العرب..، وكان ابو فارس بن عبد العزيز فى طرابلس يحفظ آراء (القرويين)
وينقلها بامانة ودقة ويعلق عليها وينشرها بين طلابه فى مساجد طرابلس
وكان واسطة النقل وكان بمثابة الاثير او جهاز الارسل غير ان الجهاز
لا يتصرف فيما ينقل ولكن الشيخ عبد العزيز بما له من الفطنة الزائدة والعلم
الغزير والملكة المستنيرة المشرقة كان ينقل ويعنى بكلام القرويين نقل
الفاهم وعناية الدارس والمعلم المستوعب والاستاذ المتفهم الذى يحسن
النقل ويحسن المحافظة ويحسن الاخذ ويحسن العطاء.. ومن المشرق
كانت تنبعث نهضة فكرية اخرى فى التصوف والفلسفة الاسلامية وكان ابو
حامد الغزالي من اعمدة تلك النهضة وسارت آراؤه وكتبه هنا وهناك..،
واذا كان ابو حامد الغزالي لم تتح له فرصة لزيارة الشمال الافريقى
ولم تتشرف طرابلس بدروس الغزالي وحرمت من زيارته ولم تحرم من زيارته
القاهرة والاسكندرية فقد وقف على حدود ليبيا من بعيد وعاد من الاسكندرية
عندما سمع بنكبة ابن رشد وكان ابو حامد الغزالي يود زيارة الشمال الافريقى
لما سمعه عن يوسف بن «تاشفين» وعنايته بمذهب اهل السنة وكرهيته
للمبتدعة والفلاسفة..، الا ان ابا حامد الغزالي برغم هذا كله كان له فى طرابلس
الغرب تلميذ حفظ آراءه وحافظ على دراسة كتبه وعنى بتراثه الفكرى وتناج

قريبته ...، تلميذ طرابلسي وان لم يجلس الى حلقة وان لم يجمعهما زمان ومكان ... الا ان كتب الغزالي وبحوث الغزالي لقيت كل اهتمام من ابي فارس عبد العزيز بن عبيد في طرابلس وخاصة الاحياء .. والمستشفى .. وليس بدعا هذا من الاستاذ عبد العزيز فان احد اجداده قد اغرم بكتب الغزالي وشارك في المحافظة عليها وحفظها ومدحها ولعل عبد العزيز وجد كتب الغزالي في مكتبة جده ذاك فعكف عليها ايضا واغرم بهـا وكان ذلك الجـد معاصرا للغزالي وهو عمر بن عبد العزيز ابن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي وقد كان في بغداد وتوفي سنة ٥١٠ هـ - ١١١٦ م فهو من علماء القرن السادس الهجري وقد مدح كتب الغزالي بقوله

هذب المهذب حبر احسن الله خلاصه

بسيط ووسيد بسيط ووجيد ز وخلاصه

ولقيه الامام السلفي واثنى عليه وقد اشار ياقوت الحموي في معجم البلدان والبستاني في دائرة المعارف الى هذا الطرابلسي الذي مدح كتب الغزالي .

وكما ان الرحالين في العصور الحديثة تستهويهم في البلد الذي يزورونه الاثار والمتاحف ويتطعمون الى غرائب المعارض ونماذج البناء والهندسة وان كان منهم رحالون يعنون بالعلم ومسايله ومدارسه والجامعات وقاعاتها والمؤسسات الاجتماعية والمحاضرات ...، وواجه النشاط الادبي والفكري ...، فان رحالة المسلمين في العصور السالفة كان اهم شيء يلفت نظرهم ويستحوذ انتباههم حلقات الدرس ...، ومدارس الاساتذة والشيخ ...، والانصات لعلماء البلد الذي يزورونه ...، ولهذا نجد كل مار من رحالة المسلمين على طرابلس الغرب يتحدثنا عن حركة العلم وحلقات المساجد ومن هذه المشاهدات والملاحظات

نأخذ صورة عن الحركة العلمية ...، في تلك الأعصر وهاتيك الأزمن ونجد من هذا القبيل الرحالة (التيجاني) الذي مكث في مدينة طرابلس عاما ونصف عام يحدثنا عن عالم طرابلس والقائم برسم العلم فيها واستاذها المجمع على امتادته اى ابي فارس عبد العزيز بن عبيد ...، ويحضر درسه في الجامع الملاصق لبيته فيقول بالحرف الواحد (رايت رجلا متضلعا من العلم، ذاكرا بالمذاهب، لا يجاريه فيه احد، ولا تكاد مسألة تشذ عنه حسن العبارة مشاركا في علوم جملة) وهذه شهادة من رجل مشاهد زائر فلو شاهد غير ما يتكلم به لما رحمه ولما ترك نقده وملاحظته فالكاتب ليس من ابناء البلد حتى نقول انه حباه او اراد بالحديث عنه ضربا من المبالغة .. بل هي شهادة رجل زائر ... بل شهادة رجل له عناية بالغة بعلوم الاوائل ... بل شهادة رجل شاهد كثيرا من حلقات العلم في الشمال الافريقي ويستطيع بهذا ان يقارن ويوازن وان يحكم على عبد العزيز حكما فيه الصواب والاصابة .

وشيء آخر يجب ان يلاحظ في ترجمة ابي فارس عبد العزيز ...، ذلك انه تصدر وتبحر ولم يخرج من طرابلس المدينة الا مرة واحدة ..، ولم يرحل الا رحلة الحج التي كانت في سنة ٧٠٣ هـ ١٣٠٣ م في اواخر عمره وكانت سنة قد بلغت الرابعة والسبعين ٦٤ عاما ...، فطوال عمره كان في طرابلس بين اسوارها الا انه فاضت معلوماته ونقل عن علماء المشرق والمغرب وهم بدورهم فيما بعد نقلوا عنه في الشريعة والحقيقة وعلوم اللسان وعلوم القرآن .. وهذه الملاحظة تشير الى ملاحظة اهم فهي بجانب دلالتها على ذكاء الشيخ وقوة باعه وسعة افقه فانها تدل ايضا على ازدهار الحركة العلمية ورواج سوقها في طرابلس في تلك الاونة وخاصة في القرن السابع والثامن الهجري رغم اضطراب الاحوال السياسية وقد يزدهر العلم في عصور الاضطراب السياسي والاضطراب

الدولى ولا يفوتنا ان نذكر ان عبد العزيز بن فارس عندما توجه للحج كان معه رفيق كريم ابن استاذہ الذى اجلته طرابلس وعظمتہ الشيخ الصالح «عبد الوهاب القيسى» الذى كان من رجال التصوف والتزهد وذهب ابن الشيخ وكان يحمل خير الاسماء (محمد) وكم كانت رحلة شائقة مع عبد العزيز بن عبيد... ومحمد ابن عبد الوهاب القيسى... غير ان هذا الزميل الاخير فاضت روحه وعاد عبد العزيز ابو فارس من غير زميل ولا زال يذكر الرفقة وما شاهد من معالم الطريق ومعالم الناس ولعله كتب شيئا عن هذا فقد وجدنا تنقلا من الاحاديث تدل على اهتمامه بهذه الرحلة الوحيدة واهتمامه ايضا بصاحبه الذى توفى فى طواف الافاضة...، نضع هذه الاشارات لعل المستقبل يكشف لنا اكثر من حياة عبد العزيز ابى فارس بن عبيد.. وما كان هذا الاستاذ الضليع يكتفى بالقاء درسه فى المساجد والمحاريب...، بل كان اكثر نشاطا وافاضة فقد كان بيته مفتوحا لطلاب العلم وطلاب البحث وكانت داره مثل الندوات العلمية والصالونات الادبية فى العصر الحديث بل كان لا يقتصر على المسجد وبيته بل كان ينتقل بنفسه الى فنادق الناس وبيوتهم ليعقد فيها حلقات الدرس وينصب خيام العلم.

ولست هنا بباخل عليك باعطاء صورة وصفية ونقل حقيقة واقعية من هذا اللون الذى يدل على حب عبد العزيز للعلم والمدارس والمباحثة كان ذلك سنة ٥٧٠ هـ - ١٣٠٦ م والشيخ عبد العزيز فى سن متقدمة وعمره ٦٧ عاما عندما قدم الى طرابلس ركب حجاج المغاربة واستدعى الشيخ الطرابلسى الى مسكن الحجاج ومكان اناختهم ليلقى عليهم در علمه فما بخل وما اعتذر ولا تهرب بل اسرع اليهم ورأى فى اسماع العلم تكريما للبلد وتشريفا له وخاصة (حديث رسول الله) وهو يعلم ان فى الركب علماء وحفاظ وفقهاء ولغويين وشعراء

ولكن في صدر الشيخ عبد العزيز ما يستطيع ان يعطى الجميع ويرضى الجميع وجلس اليهم ... ودهش علماء المغاربة من بحر طغت لائمه على امواجه .. كما تحركت سواكنه وجدوا عندها جديدا ، فوائده جمة ، انه يشرح حديث الرسول شرحا يدل على سعة وعمق واطلاع وتكاثر زيارته لهؤلاء الحجاج من العلماء . وسرى النبا الى اعيان البلاد والمهتمين بمدرسة العلم ان شيخهم عبد العزيز ابا فارس بن عبيد يذهب الى ركب المغاربة ويدرس لهم .. واسرعوا يتهايمسون لا يريد ان يحرم من تلك الشروح التي يغدق بها على علماء المغرب وحجابه ... سمعناه في المسجد وسمعناه في بيته ... ونود الا نحرم من الاستماع اليه في هذه الدروس الخاصة ... وكيف تكون دروسا خاصة؟ والشيخ عبد العزيز ابو فارس يكره ان يكون العلم وقفا على طائفة من الناس دون طائفة وجماعه من القوم دون جماعة ... وهرع اليه الاعيان وكبار الطلاب منتهزين هذه الفرصة وكان درسا فيه روعة العلم وقدمية الحديث .. ولو اتيج لك ان ترى تلك المصاييح الطيبة المتلألئة والشيخ عبد العزيز قد وضع متن (مسلم) امامه واخذ يشرح وعلماء المغرب واعيان البلاد وكبار الطلاب كلهم انصات واعجاب لرأيت صورة خالدة من الصور التي سجلها تاريخ الفكر الاسلامي في طرابلس ولكن طواها في كفه الواسع ...

واقترح احد الحجاج المغاربة على الاستاذ عبد العزيز ان يدرس ايضا شيئا من صحيح البخارى كما درس لهم في (فندقهم) شيئا من صحيح مسلم .. ولبي الدعوة .. واجاب الطلب ليكون الربط بين الكتابين والجمع بين الصحيحين اوضح واكثر فائدة وعائدة ، ولم يكنف حجاج المغاربة واعيان الطلاب بالاستماع الى عبد العزيز في درسه وتعليقه بل اخرجوا اقلامهم وكواغدهم

ومحاربهم واخذوا يسطرون غرائب التقييدات .. وفرائد الفوائد من شرح عالم طرابلس شيخها الدارس عبد العزيز ابى فارس .

... قيد طلابه شيئا غير يسير من شواهد وشوارد فوائده ... ثم كانت مجالات اخرى للاستماع والافادة ... تلك هى (المناظرة) التى كانت تدور بين العلماء وتحثك فيها الاراء وتظهر فيها ملكات الحفظ والاجادة والافادة ... فقد كان من المتألف المعروف ان يقوم الجدل والنقاش حول مسألة من مسائل الفقه او اللغة والادب فيتناظرون ويتناقشون على ملأ من الناس ... كل يدلى برأيه ويلقى بحجته عن غير خصومة شخصية او اغراض فردية ...، انما يكون الجدل والمناظرة والنقاش من اجل العلم وحده واحقاق الحق وحده وكانت (المناظرة) بين الفقهاء والعلماء تميز الطيب من الخبيث والصحيح من العليل من الاراء والافكار ---.

وتتطلب (المناظرة) فنا وخبرة واسلوبا خاصا ومنهاجا حريبا فانه ميدان اشد مزلقة من التدريس والتأليف وانه يتطلب سعة الحيلة بجانب الافاضة فى المادة والفصاحة فى النطق والبلاغة فى التعبير وحسن الالتقاء والأدلاء ...، وهذه اسلحة كانت متوفرة عند الاستاذ ابى فارس عبد العزيز بن عبيد فقد كان له من سعة المادة وفصاحة القول وبلاغة التعبير وحبيب الافصاح عن المكنون من الحقائق كان له من هذا كله ما يدفعه الى ميدان (المناظرة) ورحاب - المجادلة - ثم زد على هذا تلك الوفود التى وفد من الغرب مشرقة او من الشرق مغربة فهى بدورها تدعو الى (المناظرة) واحتكاك الاراء وتلاحم الافكار هذه الاسباب وتلك السببات كلها جعلت من عبد العزيز ابى فارس (مناظرا) من الطراز الاول وشهدت حلقات طرابلس ومساجد طرابلس لونا من الوان المناظرات العلمية والجدال

اللغوى والفقهى يدير دفته عالم البلد وشيخها ابو فارس عبد العزيز ...
 وقد شهد له المشاهدون بالبراعة والبلاغة فى المناظرة والتفوق فى المخاصمة
 ..، المناظرة العلمية والمخاصمة والمعارك العقلية اللسانية الفكرية ... ولعل
 فصاحة عبد العزيز مرجعها الى انه من اقحاح العرب وخلصائها، فرغم امواج
 الفتوحات وتكاثر الرحلات وحوادث الايام من مد وجزر واتساع وانكماش
 مما يدعو الى خلط الانساب وامتزاج الدماء وتصاهر الاسر الا ان هناك
 قبائل وعائلات ظلت محتفظة بطابعها العربى الصميم ونسبها الخالص
 الذى لم تشبه شوائب المد والجذر وحوادث الكر والفر والاختلاط
 والامتزاج ..، وكانت اسرة عبد العزيز ابى فارس من هذا النوع ..، فهو عربى
 قحطانى من ولد سبأ بن يعرب بن قحطان ..، عربى من اصلا ب اعراب وكما عنى
 الاستاذ بالتدريس فاجاد وبالمناظرة فافاد ..، فانه ايضا عنى بناحية هامة قد
 تخفى على كثير من الدارسين والباحثين فى فن دراسة التراجم وتطور الحياة
 الفكرية فى هذا البلد واعنى بها كتابة (الاجازة) وليست بالطبع (اجازة)
 الصيغ التى يتلهمف عليها المدرسون والطلاب ولا اجازة الايام والاعباد
 التى يتلهمف عليها الموظفون انما هى (اجازة) العلم التى تثبت اسماء
 العلماء الذين تلقى عنهم واخذ منهم .. والسند فى الحديث تثبت اسماء
 علماء السلف شيثان همان قد يسيل منهما القارىء العادى ولكن من وراء
 (السند) فى الحديث ومن وراء (الاجازة) فى الترجمة والتاريخ تثبت
 الحقائق وتنكشف امور وامور ... فالاجازة كالسند تميز الصحيح من الزائف
 وتغربل الحقائق وتلقى الاضواء الكاشفة ، وهى بمثابة « الشهادات » فى هذا
 العصر الحديث ..، غير انها اشد عسرا واجهدا فاما كانت (الاجازة) تعطى
 الا بعد ملازمة الشيوخ ملازمة فيها نوع من التخصص والعكوف العلمى وقد

يلتزم الطالب استاذ السنين الطوال ويدرس معه الفن الواحد او الكتاب الواحد عشرات المرات كى يحوز (اجازة) يثبت فيها براءة علمية وتفويضا للانساب عنه فى هذا الفن او ذلك الفرع او الكتاب وبين يدينا الان (اجازة) اعطاها عبد العزيز ابو فارس لاحد المستمعين له الدارسين عليه وقد وجدنا فيما املاه عبد العزيز اضواء ترينا فيما املاه مقصدار حرص الاستاذ على تلقى العلم والافادة من اساتذة المشرق والمغرب عندما حلوا بمدينة طرابلس الغرب ... هذه (الاجازة) او ذلك الثبت العلمى الذى كتبه عبد العزيز وسمى فيه اساتذته هى عمادنا فى هذه الترجمة التى تقدمها بعد وفاة الشيخ بقرون طوال ارايت ؟ ان (الاجازة) وتسمية الشيوخ تفيد الترجمة الادبية ... فهى تلقى اضواء على الحركة العلمية ... ولولا هذه الاجازة التى خطها قلم عبد العزيز ابى فارس ما استطعنا ان نعرف شيئا عن حياته وهوطالب .. ولا اسماء الاساتذة الذين تلقى عليهم علوم العقل والنقل وما يتصل بها

.... ونعرف من هذه الاجازة او ذلك السند التاريخى والوثيقة الادبية ان «ابا موسى بن عمران الهوارى» كان له فى طرابلس وتونس تلامذة منه افادوا .. وبه اقتدوا .. وكان من اوائل هولاء الطلاب ، صاحبنا عبد العزيز الذى لازم ابن عمران ملازمة طويلة حتى جاء (الامر) بتولية (ابن عمران) قضاء تونس سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م وقد مكث ابن (عمران) قاضيا لطرابلس ، كما سبقت الاشارة ، ما يزيد عن ثلاثين عاما وقد قرأ عليه فى طرابلس كتاب (التقرير) لابن الجلاب ، وكتاب التهذيب ، وعندما سافر (ابن عمران) الى منصبه الجديد بتونس ظل ابو فارس ينفصل من موارد العلم على يد الاستاذ (ابى محمد عبد الوهاب المنزوتى) وكان معيدا لدرس (ابن عمران الهوارى) عند ما كان يدرس بطرابلس وعندما رحل استلم درسه وجلس مكانه

وافاد منه ابو فارس انبغ الطلاب واحرصهم على تتبع درسه والغوص في بحثه.. وكما لازم ابن عمران أبو فارس فاحسن الملازمة فانه ايضا يستمر في ملازمته للاستاذ (المعيد) .

عبد الوهاب الهنزوتى .. ومن هذا الثبت تطلع على شىء من نظم الدراسة فى هاتيك الازمان فى طرابلس الغرب ... فقد كان نظام - المعيد - معروفا وكان كبار الطلاب القاطعين مراحل ينوبون عن اساتذتهم فى التدريس واللقاء كما صنع - الهنزوتى - عند غيبة استاذة ، - ابن عمران الهوارى - وابو فارس درس على هذا الاستاذ - المعيد جملة من كتاب - المحصول - لابن المعز ... وجملة من كتاب (المستصفى) للغزالى ... وكان ابو فارس مغرما بكتب الغزالى يقرأها مرارا وتكرارا حتى كاد يحفظها عن ظهر قلب ، وظل ابو فارس ملازما لابی عبد الوهاب الهنزوتى حوالى ست سنوات حتى توفى الاستاذ - المعيد - لسنة ٦٦٣ هـ . ١٢٦٤ م وايضا نجد من اساتذة ابى فارس شيخ الجميع ، واستاذ عصره .. المحدث ابا محمد عبد الحميد ابن ابى الدنيا وقد سبق ان قدمنا ترجمة عن هذا الاستاذ المحدث الذى تفخر به طرابلس فى تاريخها الادبى والعلمى ... درس عليه ابو فارس كتاب (الارشاد) لابی العالى ... وهذا كتاب يعتمد عليه ، ويعتمد به فى فن (الاصول) ودقائق التشريع وايضا يدرس عليه مكررا ومعيدا المستصفى للإمام الغزالى ويسمع ابو فارس باستاذ يمر بطرابلس عائدا من الحج وذاها نحو الاندلس وبلاد المغرب ويسمع بان عنده علما وفيرا ولديه ذخائر من الثقافة الاسلامية ، فيسرع اليه ، ويجلس ليتلمذ عليه ... ذلك هو الاستاذ الاديب الفقيه ،، (ابو الحسين محمد ابراهيم الاندلسى البسطى) وكان الاستاذ البسطى قد ألف كتابا فى (العربية) وفنونها ، وله فى الشعر والادب نفثات .. ولقطات وليس قراءة الكتاب

وسماع القصيدة .. من بعيد مثل قراءة الكتاب وسماع القصيدة من المؤلف نفسه والشاعر نفسه .. طبعاً يكون النقل اصح ، والسماع احكم وهكذا يظهر شعف عبد العزيز بن عبيد جليلاً واضحاً عندما ينتهز فرصة مرور (ابي الحسين البسطى) المؤلف الشاعر فينقل منه ، ويروى عنه ، كما ينقل ويروى عن شيوخ بلده ... بل لا يكتفى بكتاب العربية للبسطى وسماع شعره ، بل يروى عنه (المذهب) (لابي المناصف) وفى هذا الدقة فى البحث والالتزان فى النقل وكلمة اجتاز طـرابلس عالم او فقيه او شاعر واديب ، وجدها ابو فارس عبد العزيز فرصة للتلمذة والتطلع نحو علم اوسع وثقافة اكثر غزارة ... وكما افاد من مرور البسطى الاندلسى عندما عاد من المشرق فانه ايضا سمع بفقيه محدث آخر يجتاز طـرابلس قادماً من المغرب قاصدا المشرق ... الفقيه (ابو محمد بن عبد الكريم الغمارى) وقد طالبت اقامته بطرابلس فوجدها عبد العزيز من سوانح الفرص فدرس عليه فن (الفرائض) وخاصة ما فيه (الغمارى) نفسه وما كتبه العالم الطرابلسى (ابو الحسن بن المنسر) الذى سبق ان ترجمنا له ثم كتاب (الحصار) الذى فيه فى (الحساب) وكان مرور ابي محمد الغمارى على مدينة طرابلس سنة ٤٦٥ هـ ١٠٧٦ م ومعنى ذلك ان عبد العزيز عند دراسته على العالم كان شاباً فى اوائل شبابه وسنه لا تعدو الخامسة عشر ربيعاً ... وكانت هناك ما تستطيع ان تطلق عليها (حركة تنقل) او (مبادلة فكرية) وادارية فى الشمال الافريقى ينقل من بلد الى بلد القاضى والعالم والمدرس والخطيب ، ويعين مكانه آخر وهكذا وجد فى تلك الفترة نقل العلماء والفقهاء ما بين طرابلس الغرب وتونس ، فقد استدعى الفقيه ابن عمران الهوارى الطرابلسى ليكون قاضياً لتونس بعد ان مكث فى قضاء بلده طرابلس ما ينيف عن ثلاثين عاماً ، ثم عين بـدله قاضياً لـطرابلس شيخ

تونسى جليل القدر والعلم هو الفقيه ابو (العباس احمد بن عيسى الغمارى)
وقد استلم قضاء طرابلس بعد الاستاذ ابن عمران .. فوجد صاحبنا عبد العزيز ابو
فارس فى هذا القاضى التونسى الجديد ... علما .. وادبا ودراسة .. فجلس
اليه كما جلس الى سابقه ، ودرس عليه كتاب (المعالم) الذى الفه
(ابن الخطيب) ومن هذا ندرك عدة اشياء .

١ - شدة الشغف بالدراسة

٢ - والتعلق بكل استاذ يقدم من هنا او هناك مادامت عنده
معلومات ولديه افادات .

٣ - ثم قد يدرس عبد العزيز ابو فارس الكتاب الواحد مثنى وثلاث

٤ - ثم قد يدرس الكتاب على استاذ من المشرق ثم يدرسه على استاذ من
أهل البلد ، ثم يدرسه مرة ثالثة على استاذ يقدم من الغرب .. وكل هذه الملاحظات
تفسر لنا الحرص كل الحرص والدقة والتمعن وحب التمكن فى الدراسة وحب
المقابلة والمقارنة ... وكما سبقت الاشارة ... وايضا الى حبه للمناظرة وبراعته فى سوقها
... فاننا نجدده وهو طالب يحضر مناظرات كانت تدور بين استاذ

- عيسى الغمارى وبعض الاستاذة الباحثين وقد كان كتاب (التهذيب) محور
محاورات ومدار مناظرات وقد شهدت مدارس ومساجد طرابلس لونا منها ، واستفاد
عبد العزيز ابو فارس الشيء الكثير من حضوره ومشاهداته تلك المجالس
العلمية والمناظرات الدراسية .. ، وهذا ايضا استاذ جليل يقدم من بلاد المشرق
سنة ١٢٦٣ هـ ١٨٤٣ م ويقصد بلاد المغرب وعندما يعرج على مدينة طرابلس يمكث
بها زمنا غير يسير وشان الدارس العالم يحمل علمه معه فيرسل منه وياخذ
ويعطى ويفيد ويستفيد ويستمتع اليه عبد العزيز ابو فارس فيأخذ منه وينقل
عنه وقد كان الطالب الظمان قد بلغ سن الشباب وقد بلغ عمره آنذاك ثلاثة

وعشرين عاما ، اما ذلك الاستاذ فهو الراحل الفقيه (ابو العباس الاعرجي) - ودرس عليه (المعالم) لابن الخطيب .. وهذا قاض جديد يكون حظمه في القضاء مدينة طرابلس المعالم (ابو عبد الله بن ابراهيم ابى مسلم القابسي) - وعندهما يصل المدينة بالطبع لا يقصر على شئون القضاء بل يمتد نشاطه الى مدارس العلوم وفنونها في مدارس ومساجد طرابلس فيهرع اليه شيوخها وشبابها ليقبضوا من علم «القابسي» اقتباسا متنوعا وكان من جملة هؤلاء بل في طليعتهم عبد العزيز ابو فارس فيضيف الى سجل اساتذته استاذا جديدا جليلا وخاصة ان الاستاذ ابا عبد الله القابسي قد سبقته سمعته العلمية الى طرابلس قبل مجيئه فوق ذلك قد سمع صاحبنا عبد العزيز ان القابسي زيادة على علمه ودرسه فهو جواب آفاق ... رحالة شرق وغرب.. وشاهد كثيرا من العجائب والغرائب واحوال البلدان والناس وقبل ان تلقى المقدير بالاستاذ القابسي قاضيا لمدينة طرابلس فقد وصل في رحلته الى العراق ... ومكث ردها من الزمن في مدينة بغداد .. وهذه الاخبار وتلك الاحوال جعلت عبد العزيز يفرح كل الفرح بمقدم الرحالة الدارس الذي عنده جديد من المشاهدات والدراسات فاقبل عليه وتلمذ له وايضا قرأ عليه زيادة على كتاب (المعالم) فن الحديث بسنده وفنونه ومنتبه وما يتصل به من اصطلاحات ومقومات ... درس عليه - نصف صحيح البخاري ... وطبعنا ليست هذه المرة الاولى التي يدرس فيها عبد العزيز «البخاري» ولكن كما سبقنا الاشارة منذ قليل كان عبد العزيز ابو فارس مغرما بتلقي العلوم على يد اكثر من استاذ ... وكان ايضا من طبعه دراسة الكتاب اكثر من مرة ليكون ادق فهما واعمق درسا واصوب حكما واغزر مادة .. وهذا تحريروا معناه الدقة والاتقان ، وبعد هذه النظرة العاجلة في (اجازة) عبد العزيز ابى فارس وبعد ان عرفنا بعضا من شيوخه

واساتذته وبعد ان القينا لفتة مسرعة على انواع دراسته ودروسه .. نكتفى بهذا
 القدر وان كان بجانبه ضئيلا وبهذه اللفتة وان كانت غير كافية ولا وافية
 ولا بالترجمة الضافية ولكن .. مع هذا كله نستطيع ان ندرك من هذه اللفتة
 والنظرة مقدار حرصه على الدراسة وشغفه بالتطلع والاطلاع .. وحرصه
 البالغ على احترام شيوخ المغرب وشيوخ المشرق الوافدين على طرابلس ومدى
 حرصه على استغلال فرصة وجودهم في البلد فيسطر منهم وينقل عنهم ويتلمذ
 عليهم .. ويستمتع لمناظراتهم ومجاوراتهم وكأنه بهذا قد استفاد ما عوذه عن
 الرحيل والرحلات والتغرب والاسفار فرغم بقائه في طرابلس فهو قد اخذ
 عن شيوخ من المغرب وشيوخ من المشرق يشهد بهذا حديثه لطلابه وتشهد
 به هذه (الاجازة) التى حفظها لنا التاريخ والتى كتبها لاحد تلامذته
 وسمى فيها اساتذته .. وليتنا عثرنا على اسماء تلامذته او بعض منهم لتكون
 الصورة الدراسية اكمل واوفى .. وايضا استطعنا من هذه النقطة والنظرة فى ثبت
 شيوخه ان نعرف شيئا عن التدريس والتقنيات الفكرية والادارية والمبادلات
 الثقافية بين طرابلس والبلاد الاسلامية .. فى فترة تكاد تكون مجهولة
 او غامضة مبهمة التفاصيل على كثير من الناس حتى المثقفين منهم بل
 والمتعرضين لتاريخ هذا البلد ، وهناك شىء نحب الاشارة اليه قبل ان
 نترك هذه الترجمة فقد كان عبد العزيز مع تعمقه فى الدراسات الشرعية
 والفلسفة الاسلامية والحديث وفنونه يميل الى التاريخ وخاصة بلده طرابلس
 وما يتصل بها من احاديث واحداث وفترات قلقه وحركات مضطربة التى يثبتها تاريخ
 وتطورات هذه البلاد .. عنى بحفظ وثائق التاريخ ومواده الخام التى تكون
 مصادر ومساند فيما بعد وعندما كانت قلائل عهد قراقوش وحركات الموحدين
 وابن (نافرجين) وغير هؤلاء كانت بالطبع تصدر منهم اوامر وما يشبه فى

عصرنا الحديث (منشورات) (وبلاغات) واوامر ومحظورات .. وكانت همة عبد العزيز منصرفة الى جمع مثل تلك الوثائق التاريخية في مكتبته بجانب كتب العلم والادب واللغة والحديث لانها تتصل بتاريخ بلاده وقد كان من جملة ما شاهد معاصروه عند عبد العزيز رسالة كان قد كتبها - ابو محمد عبد البر بن فرسان - على لسان نائب الموحدين موجهة لاهل طرابلس وشوهدت هذه الرسالة محفوظة في دار عبد العزيز ابي فارس بخطه ومعنى هذا انه حافظ عليها ونقلها ..، لا انه املاها ..، وهذا يعطينا فكرة عن جمعه لاخبار بلده ومحافظة على الوثائق والمصادر ..، شان العالم الدارس والباحث منوع البحوث ..، هذا خبر قد تمر عليه سريعا ولكن من ورائه (هوايات) ودراسات ..، وفي سطور وكلمات جملة كان ابو فارس متأثرا في دراسته ببعض المدارس والمذاهب فمثلا في الفلسفة الاسلامية كان متأثرا ودارسا للاسام ابي حامد الغزالي ... وفي (الأصول) .. كان دارسا ومتأثرا (بابي المعالي) ... وفي الفقه المالكي كان تأثيره واضحا بمدرسة (القرويين) ومن هذه الخطوط والتأثيرات تظهر لنا جوانب من شخصيته العلمية وان كانت تختفي جوانب اخرى في حاجة الى دراسة اوسع وبحث اطول .

أبو إسحاق الأجدابي

اللغوي الفذ والأديب المؤلف

∫

أبو إسحاق الأصبهاني

سأحدث في هذه الصفحة عن علم من اعلام المسلمين وشيخ من شيوخ اللغة الباحثين ولد بطرابلس ونشأ بها وجالس علمائها وناظر ادبائها ووهب نفسه للعلم ووقفها على اللغة واولادها والادب وطرائقه ولم يذهب علمه في صدره ولم يول ادبه في قبره بل الف وحبر وسطر وكتب واشتهر اسمه وعلى ذكره وتسارع الناس الى كتبه والى ما يخطه قلمه فقد اخرجت طرابلس هذا الباحث الاعجوبة والمدقق المتفطن ذلك هو ابو اسحاق ابراهيم اللواتي الاجدابى .

وقبل ان نتحدث عنه ونتعرض لشخصيته الفذة يحق لنا ان نعرف شيئاً قليلاً عن هذه النسبة وذلك النسب وانما كعادتي رجل فضفاض في الحديث متشعب في الكلام سواء كان هذا في الخطابة او الكتابة او الحديث والمحاضرة ومعذرة مكررة فهكذا طبعت وعلى هذا نشأ قلمي ولساني ... لقد كانت طرابلس الاسلامية او بتعبير اوسع ليبييا مزدهرة الحضارة عظمة البنيان رائجة الاسواق كثيرة العلم وكانت مدنها عامرة ومن تلك المدن التي ذكرها التاريخ الاسلامي ، اجدابية ولاحظت ان ابناء البلاد ينطقونها بالكسر مع ان المعاجم اللغوية تشير الى انها اجدابية بفتح الالف وكانت اجدابية مدينة في الصحراء وبينها وبين طرابلس ما يقرب من خمسة عشر مرحلة من

مراحل الابل او ما يقرب بلغة العصر الحديث من ٩٠٠ كيلو متر ..
وباجداية آثار وابنية عظيمة وقصور للرومان والاغريق ونجد كثيرا من الرحالين المسلمين
يعرج عليها عندما يذهب الى المشرق او عندما ياتي الى المغرب فالرحالة (البكري)
يقول عن اجدابية :

« وارضها حجرية وبها عين عذبة ونخل وبساتين وينبت بها شجر الاراك دون
باقي الاشجار ومن ملاحظات البكري ذلك المسجد الاثرى ذى المنارة المرتفعة المثمنة الاشكال
وهذا طراز غريب فى الهندسة الاسلامية وقد كان اهل اجدابية اصحاب يسار
وثراء وفيها بيوتات فضل واهل علم... وكانت (اجداية) موقعا عسكريا لجنود المسلمين
وقبل ذلك كانت مسعكر الجنود الاغريق والرومان وكان بها ميناء تعرف بـ (المحور) تبعد
من المدينة ثمانية عشر ميلا وكانت باجدابية ثلاثة قلاع عسكرية والرياح كانت تشتد
بهذه المدينة فاتخذ اصحاب البلاد لمنازلهم سقوبا على هيئة قباب من الطوب .. ويمر
على اجدابية الرحالة (ابوسالم العياشى) ويذكر آثارها وعمرانها ومسجد اجدابية يرجع
بناؤه الى عام ثلاثمئة من هجرة سيدنا محمد عليه السلام وفى مسجد
اجداية كانت حلقات العلم مزدهرة بدراسة الفقه واصول التشريع وبها درس
الامام المجتهد الشهير (سحنون) المالكي عام ١٩١ هـ وانت اذا قرأت (الحلل
السندسية) - تجد ان (حمديس بن القطان) يحدثك انه سمع من سحنون
ابن سعيد) يقول سمع منى العلم سنة احد وتسعين! ومئة اهل
اجداية... ولا اريد هنا ان اكثرا الحديث عن اجدابية وتاريخها ومكانتها العلمية فهذا
له موضع آخر واسال الله العون لقلبي والصحة لنفسى انما
اريد ان اتحدث عن شيخ يلقب بالاجداي والحديث يجرجر بعضا
نشا الاجداي فى مدينة طرابلس ولم ينتقل منها او يرحل عنها
فكان طرابلسي المولد والنشأة والوفاة وكان شديد الذكاء كثير البحث

عظيم الفحص عميق الغوص يتلوهف على مسائل اللغة فليتقطها كما يلتقط الطائر الجائع الحب ، وإذا ذكرنا الاجدابی فاول ما يتبادر الى ذهن السامع والقارئ كتابه الشهير (كفاية المتحفظ) وهذا الكتاب رغم صغر حجمه يدل على غزارة المادة وسعة الافق وقد كان مصدرا من المصادر التي اعتمد عليها اهل اللغة من ابناء المشاركة مثل (احمد الفيومي) صاحب كتاب (مختار الصحاح) وكمال الدين الدميرى صاحب كتاب (حياة الحيوان) وقد كان كتاب الاجدابی هذا فتحا في اللغة ومعاجمها مع انه مختصر ولكنه سهل العبارة واضح الاسلوب بين الغاية لم تكنفه جلاسد الالفاظ ومقايير الكلمات وقفز كتابه الى مصاف المراجع واخذ الصدارة بجوار المصباح وتهذيب ابن سيده والمجمل والخصائص وغير ذلك من كتب المتقدمين من ائمة اللغة وكفاية المتحفظ الذى سطره الاجدابی الطرابلسى وجد كثيرا من عناية الباحثين واعتماد الدارسين ثم تناوله العلماء والادباء بصورة اخرى شرحوه وعلقوا عليه بل ونظموه فى قالب من الشعر او ما يشبه الشعر ليسهل حفظه وتعلق بالذاكرة ابياته وكلماته نجد مثلا قاضى الحرم الاديب محمد بن عبد الله بن ابي بكر الطبرى ينظمه فى الفية لا بل فى اكثر من الفية فقد كانت منظومة الطبرى لكتاب الاجدابی تبلغ الف وثلاثمائة بيت ورغم ان الاديب ابا بكر الطبرى تكبد عناء ومشقة فى نظم كتاب الاجدابی الا انه خلط حينها وغلط احيانا ولكن مهما يكن من امره ومجهود مشكور ماثور ... وكفاية المتحفظ من كتب اللغة المتداولة كثيرا وحاز شهرة فاقت «الالفاظ الكتابية» للهمدانى وما يشبه هذه البحوث وقد كانت عنده طبعات مختلفة طبع القاهرة وطبع بيروت ، وقد كتب على احدى النسخ ما قاله جمال الدين ابن العدوى معجبا به مقدرا له مثليا عليه .

من كان يطلـب من الغـريب وسيلة من شـاعر او كاتـب متلفظ
 او كان يبغى فى الكـلام بلاغة فليحفظـن كفاية المتحفظ
 ان ابا اسحاق الاجداى الف كثيرا من الكتب وعديدا من الرسائل
 والبحوث وخدم لغة القرآن وشريعة محمد ولكن اين كتبه وابحاثه ؟ الف
 فى العروض او فى علم الحليل بن احمد كتابين صغير وكبير وفى فن التجويد
 ذلك الفن الجميل الذى تظهر فيه موسيقى القرآن ويبدو حسن الالحان
 وتظهر اجادة القراءة والترتيل ذلك الفن الجميل السامى يؤلف فيه
 الاجداى رسالة جليلة القدر عظيمة الفائدة ، وفى رسالة الاجداى هذه
 نقد وحرية رأى وسعة علم وطول باع فقد رد على القرّة الامام «ابى حنـص»
 فى تثقيب اللسان وكما كان الاجداى ذو حساسية فنية واذن ذات حساسية
 موسيقية يتبع موازين التجويد فى القرآن الكريم وموازين الشعر فى
 العروض فهو ايضا يتبع ويدرس موازين اللفاظ فى الصرف وهكذا كان
 اللغوى الطرابلسى دقيق الاحساس شديد الملاحظة لطيف التاليف
 غريب البحث ... والاسم الذى آخره ياء مثل على وثرى وغبى وسرى
 ونبى تكون ياءه معتلة ولهذا النوع من الاسماء حكم فى الميزان الصرفى
 يشرحه الاجداى ، ويؤلف رسالة (شرح ما آخره ياء من الاسماء المعتلة) ثم
 تغلب عليه روح البحث وضراعة التثقيب والمقايسة فلا يكتفى الاجداى بمجرد
 السرد وذكر الاسماء بل يشرح ويعلل السبب الذى من اجله اعتلت
 هذه الياء ثم يبين الاجداى حكم اللغة فى حالة التصغير على وثرى وفى حالة
 التكسير وغير ذلك من حالات التغير وطوارىء التبديل . ولا يكتفى الباحث
 الطرابلسى فى رسالته بهذا بل تراه يقرأ القرآن لا قراءة بركة وسرد وحفظ بل
 بجانب هذا ومع هذا يقرأ القرآن قراءة باحث لغوى ومدقق محقق فيجد فى

سورة مريم مقاطع بليغة وآيات كريمات ، تشمل على عديد من احكام الصـرف واللغة قال تعالى (قال انى عبد الله ، اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت ، واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) صدق الله العظيم . يشرح الاجدايى هذه الايات وتلك المقاطع من سورة مريم ويطبق عليها او يستنبط منها قواعد التصريف ودقائق اللغة ، وبحثه هذا وتطبيقه دل على روح التحقيق وحاسية العلم ودقة الادراك .

وكان الشيخ الطرابلسى له مقدرة وخبرة بعلم الانساب وتسلسل القبائل وتفرع الفروع وهذا الفن كانت له مكانة فى هاتيك الايام والعصور الخوالى ويظهر ان الاجدايى ما كان يميل الى التويل ولا يحب الاطناب فلهذا يؤلف فى علم الانساب رسالة مختصرة موجزة ، ثم يذهب ابو اسحاق الى كتاب (نسب قريش) فيقرأه ويدرسه ويهضمه ثم يختصره بأسلوبه ويقدمه بمجهودا نافعا الى المكتبة الاسلامية وكان كتاب (نسب قريش) بقلم ابى عبد الله بن الزبير بن العوام .

وابو اسحاق لا يكون نظره قاصرا على الانساب وموازين الصرف ودقائق العروض والشوارد والاوايد من اللغة بل يكون ادق نظرا واوسع افقا واطول باعا واعمق بحثا فينظر فى هاتيك الاجواء وتلك الجوزاء ويعلم منازل الانواء ومواقيت الرياح وما يتصل بهذا الفن من معرفة الزوابع ودراسة الامطار يدرس حالة الطقس ويطبق النظريات ولقد كان للعرب فى هذا الفن دراسة مستقيضة ولهم به روايات ودرايات ويؤلف الاجدايى كتابا فى (الانواء على مذهب العرب) وايضا كعادة الباحث الطرابلسى فى مؤلفاته يكون بحثه عظيما مفيدا ولكنه مختصر موجز

قد يسأل البعض ما فائدة ذكر هذه الكتب واسماء الرسائل ونحن لا نجد بين ايدينا شيئا منها اللهم الا كفاية المتحفظ ؟ ما الفائدة فى سرد الاسماء وعناوين الكتب والبحوث ؟ . وقد سألت هذا السؤال عندما كنت طالبا ادرس الفلسفة بكلية اصول الدين وثرى فى وجه الدكتور محمد البهى مساهمة الله بالخير ما فائدة ذكر الكتب وسرد العناوين ونحن ندرس الاعلام والشخصيات الفلسفية ثم لا نجد لهذه الكتب والرسائل اثرا فى الخارج فهل المسألة سرد وفهارس ؟ فلفظ الدكتور من حدتى واجاب جوابا معناه ... ان هذه الاسماء وتلك العنوانين لها فائدة فهى تدل على مكانة الشخصية والقيمة العلمية ثم لعل الايام فى المستقبل تسمح بوجود شىء من هذه المؤلفات ، ونحن ايها القراء الكرام عندما نذكر الاجدادى ونذكر اسماء كتبه ولا نجد بين ايدينا منها الا كتابا واحدا انما نريد بهذا تقديم صورة عقلية ونموذج علمى حتى تكون صورته الذاتية مكتملة النواحي مضاعفة الجوانب ثم لعل المستقبل يبرز لنا شيئا من هذا التراث العظيم الذى تفخر به طرابلس فى ميدان الفكر الاسلامى والثقافة العربية .

كان ابو اسحاق الاجدادى من صدر المئة السابعة للهجرة وقد اعجب بكتبه كثير من مفكرى الاسلام وخاصة كتابه فى الانساب قد مدح هذا الكتاب الشيخ ابو الحسن بن مغيث فقال (هو كتاب عجب لا كتاب نسب) ومرجع هذا على ما يظهر ان الاجدادى عندما اختصر الكتاب لم يكتفى بالاختصار بل له فيه زيادات وتعليقات اظهرت شخصيته فى البحث حتى استحق الثناء العاظم من بن مغيث وغيره من اجلة الباحثين .. وقد اعتنوا المترجمون بصاحبنا اللغوى فالشيخ محمد لطيفى الشرقى يولف كتابا يسميه (تجريد الرواية فى تحقيق الكفاية) يشرح

فيه كتاب الاجدابی ويترجم له ويبين لنا مكانته وايضا (المجد اللغوى)
اثنى عليه الثناء الذى يشرف العقيدة الناضجة و جلال الدين السيوطى
يعقد فصلا فى كتاب (بغية النواة فى طبقات النحاة) يتكلم فيه عن
الشيخ الاجدابی ومكانته العلمية ومقدرته اللغوية .

ومن ابرز ما يذكر عن ابى اسحاق جودة خطه وحسن اعتنائه به واقبال
الكبراء عليه وهذا غريب فى الشمال الافريقى فان جودة الخط نادرة عند
ابناء المغرب وكان الشيخ يكتب الكتب المطولة وينقلها وكان للسلطين
والامراء غرام باقتناء خطه وامتلاك مؤلفاته .

وحدثنا الرحالة التيجانى فى رحلته عندما تحدث عنه « واكثر تأليفه
ملكته بخطه وكان رحمه الله احسن الناس خطا »

وكان الامير ابو بكر زكرياء الافريقى شديد البحث عن خط الاجدابی
وسمع الاميران كتاب الفصيح يبع بخطه فى طرابلس فارسى البريد يبحث
عنه فوجده عند الوارقين الطرابلسيين وسمع الامير ابو زكرياء ايضا ان فى
طرابلس كتاب امثلة الغريب لابی الحسن الهنائى ، المعروف بالكراع وكان
بخط الاجدابی ويملكه بعض بنى (النقاد) وكان هولاء من اعيان طرابلس
فوجه الامير الى هولاء الاعيان يريد الكتاب فوجه اليه ، راي الرحالة التيجانى
كتاب (النقاد) بوصول الكتاب الى الامير والشكر له

طبعا لم تتدرج فى البحث على طريقة الترتيب والتبويب وستحدث
عن ملاحظه بعد كل هذا الكلام الطويل .

كان ابو اسحاق كريما طلق الوجه طلق اليد طلق اللسان ما ان يسمع
بزائر او عالم او اديب يقدم مدينة طرابلس حتى يسرع اليه ويغدق
عليه ويحسن وفادته وضيافته .

وكان له عناية بكبار القوم والوجهاء واصحاب المكانة المرموقة وهذا يدل على ثراء وثروة اذ لو كان معدما فقيرا لما استطاع ان يستضيف الاغنياء والكبراء والادباء والعلماء وكانت لابي اسحاق دار في وسط مدينة طرابلس بمقربة من الجامع الاعظم (مسجد احمد باشا الان) وكان الاجدابی احوال .

ولعل من الطريف ان نذكر هذا الحادث : حضر الاجدابی يوما بطرابلس مجلسا عند قاضيهامحمد بن هانئ الطرابلسي فحكم القاضي حكما رد عليه ابو اسحاق الاجدابی فقال القاضي .. اسكت يا احوال فما استدعيت .. ولا استبقيت فاثرت هذه الكلمة في نفس الاديب الفقيه الباحث ، وغضب غضبة العلم انها كلمة جارحة يا احوال ، وذهب لفرجه عاصرا ذهنه مستحضرا ذاكرته جامعا للشوارد والشواهد والنوادر وكتب رسالة عن (الحول) فيها من غضبة اهدت للمكتبة الاسلامية بحثا طريفا ويذكرني هذا بما صنعه احد ادباء مصر عندما اغضب لاحدياداب به فكتب المصري رسالة عن (الحذب) وتقوس الظهور ولكن رسالة الشيخ الطرابلسي عن الحول فاقت رسالة الاديب المصري عن (الحذب) وكانت ولاية (ابن هانئ) الذي اغضب الاجدابی عام ٧٤٤ هـ وذلك بعد ان فر منها القاضي محمد بن فاضل البكري الافريقي وقد فر خوفا من اهل مدينة طرابلس وظل ابن (هانئ) واليا على طرابلس الى عام ٧٧٧ هـ وكانت ولايته ٣٢ سنة

واهم شئ . يسترعى انتباهنا ان الاجدابی بلغ ما بلغ من العلم والادب واقتبس منه المشاركة واستفاد منه المغاربة وبحث عن كتبه الملوك والامراء ومع هذا لم تكن له رحلة عن طرابلس ولا تكبد مشاق السفر والغربة كما رحل وسافر العلماء الآخرون ولم يخرج الاجدابی من طرابلس المدينة ايدا .

وعدم رحلته وسفره يدل على شيئين (١) كثرة العلم وازدهاره في طرابلس

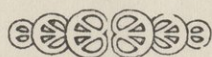
فى تلك الاونة (٢) علو همته وعظيم عصاميته حيث استطاع ان يكون شخصية علمية وهو لم يخرج من ابواب طرابلس وهذا عجيب يدعو للتساؤل وقد سئل فعلا .. يا ابا اسحاق انى لك هذا العلم ولم ترحل ؟ فقال ابو اسحاق ... اكتسبته من بابى (هوارة) (وزناته) .. هذان بابان من ابواب مدينة طرابلس نسبة الى من نزل بهما فى الزمن القديم .. ويريد الاجدابى انه اكتسب ما استقاده من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرق والمغرب ...

وطبعا دفن الاجدابى فى طرابلس ووجدت فى احد المخطوطات مكتوبا (ودفن فيها قرب باب البحر) ثم وجدت التيجانى فى رحلته يقول عندما ذكر طرابلس (وزرت هنالك ايضا قبر الفقيه الاسام ابى اسحاق الاجدابى وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده)

وقد بحثت طويلا عنه وسالت الكثير ولكن ما استطعت العثور عليه ونرجوان لا يضيع قبره كما ضاع فى القاهرة قبر المؤرخ ابن خلدون وقد قامت بعثة من المستشرقين الالمان منذ سنوات للبحث عن قبر ابن خلدون وكم من قبور عظماء ضاعت مثل عمرو ابن العاص وقبر (موزار) الموسيقى العظيم وارجو من علماء البلد وشبابها ان يعنوا بالبحث عن قبر العلامة اللغوى ابى اسحاق الاجدابى وعن رسائله ومؤلفاته فانها أهم .

عبد السلام بن عبد الغالب المصراتي

الفقيه الفاحص



عبد السلام بن عبد الغالب المصراي

من رجال القرن السابع الهجري ، له تأليف ودراسات وأحدث اثرا في محيطه الذي عاش فيه وتدرج في سلم التعليم حتى أصبح استاذا في فنون عصره وعلوم زمنه وخاصة في الفقه وفروعه والفلسفة الاسلامية والتصوف النظري والعملی ..، ذلك هو ابو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المصراي وهو من اسرة ابن عبد الغالب التي لها اصول وفروع في طرابلس في بلدة مصراتة ...، وقد هاجر كثير من ابنائها الى تونس وبلاد المغرب .. فكانت أسرة ترابط وواسطة تصاهر حتى انصهر كثير من ابناء اسرة عبد الغالب في تونس ...، وتصدروا ونبغوا في مجالات الدرس والتحصيل وكم كان جميلا رائعا من هذا الطرابلسي ان يجلس في مساجد تونس ومدارسها كما كان جميلا ان يجلس في مساجد طرابلس ومدارسها اساتذة من تونس والمغرب تشابك محبوب وتنقلات كريمة ..، وقد كان عبد السلام هذا من الذين تتلمذوا على يد الاستاذ (ابي يوسف الدهماني) وشيخ زمنه (ابي زكريا محمد البرقي) ودرس على الاخير فن القراءات السبع ، والحديث والفقه ، وقد الف فيما بعد في كل هذه الفنون التي درسها على اساتذته الاجلاء وعلى يده تخرج كثير من الذين اصبحوا شيوخا اساتذة ومؤلفين مثل (ابو زيد عبد الرحمن الانصاري) وبجانب علمه في الدراسة الشرعية فقد كان حسن الترتيل جيد التجويد

يعرف ضوابط القراءات ومختلف التلاوات ..، وفي التصوف ألف رسائل تناقلها معاصروه ووجدوا فيها نبعاً طاهراً، .. وصفاء ظاهراً وحقائق واضحة ..، ولا تلمه أن ألف في (التصوف) فهو صوفي فقيه وهكذا علماء زمانه ولكل عصر رجال ولكل ميدان فرسان وابطال ...، أكثر تأليفه وبحوثه كانت في الفقه المالكي ..، هذا العلم الذي كتب فيه آلاف المجلدات منذ أجيال وأجيال ولا يزال في عصرنا في حاجة ماسة إلى تسمير السواعد وتحريك الهمم فإن الفقه هو روح الشريعة وعماد الدين ومحور العبادات والمعاملات وصلة العبد بربه وصلة الناس بعضهم ببعض لهذا ألف عبد السلام ابن عبد الغالب كتاباً جمع فيه خلاصة الفقه وأساسه ودعائمه وأوجز فيه وأسماه (الوجيز) على طريقة السلف في تسمية (المطول) « المختصر » (الموجز) المحيط (الجامع) (والكاامل) على طريقة (المغنى) (جمع الجوامع) وكلها تدل على التطويل أو الاختصار أو الاتساع والاقتضاب فأثر أن يكون تأليفه في الفقه موجزاً مختصراً لا يخل ولا يمل .. وأخذ كتابه طريقه إلى المكتبة الفقهية وتقبله الدارسون بقبول حسن واعتمدوا عليه ، واستندوا إليه ، حتى أننا نجد في العصور المتأخرة (الشيخ خليل) في شرحه على « ابن الحاجب » ينقل من (الوجيز) الذي ألفه ابن عبد الغالب المصراتي ، و خليل عند فقهاء المالكية يعتمد بنقله ، ويعتمد على قوله ، ولم يخلو ابن عبد السلام و كتابه من نقد النافذين وهجوم المهاجمين ...، شأن كل من درس وألف ، فإن شيخاً من شيوخ المالكية رأى في كتاب صاحبنا ضعفاً ولم يعتمد عليه بل نقده وضعف كل من نقل عنه ذلك هو (ابن عرفة الورغمي) ومرجع رأى ابن عرفة في كتاب (الوجيز) أن عبد السلام المصراتي يحيل إراءه على ما كتبه الإمام (سحنون) ثم يذهب ابن عرفة الورغمي إلى كتاب سحنون فلا يجد ما أشار إليه المصراتي وهنا

يرمى بالكتاب ويتهم الكاتب بالاختلاق ..، والضعف فى النقل ، ويراہ غیر جدید بالاعتماد عليه ..، والاقتباس منه ، وانصافا للحق ووضع كل شىء فى مكانه ، ومن اجل المقياس النقدي ..، نؤكد ان «ابن عرفة» قد تحامل على ابن عبد الغالب وكتابه حملة بالغة اولاً - ان مؤلف الوجيز لم يحل القارئ على كتاب سحنون للامام «سحنون» فمن الجائز ان ابن عرفة لم يجد رأى فى كتاب سحنون وقد يجده فى كتاب آخر له - ثانياً - من الجائز ان المسألة التى لم يجدها مسطرة فى كتاب سحنون تكون سقطت من الناسخين وكم جر اهمال الناسخين من مشاكل .

ثالثاً - ان مسألة واحدة لا تضعف المؤلف ولا تدعو الى اهمال الكتاب دفعة واحدة وكثيرا ما يسهل اهمال النقل ومهما يكن من امر فان كتاب الوجيز قد استفاد منه كثير من المدرسين والمؤلفين فى الفقه وفلسفة التشريع وفى غير الفقه الف عبد السلام المصراتى كتابه (شرح اسماء الله الحسنى) اى انه بحث فى (الميتافيزيقية) ومعنى كثير من الصفات والاسماء التى قد تبدو مكررة وبمعنى واحد ومن هذا يتطرق الى التوحيد والى مقدار استخدام العقل فى مثل هذه الشائكات ..، وطبعاً كان اعتماده على النقل والمأثورات اكثر من اى شىء آخر ولكنه مجهود علمى يدل على مقدرة ساعدته على الخوض فى مسائل يحار العقل فيها ، وقد كانت اسماء الله مبحث دراسة لكثير من رجالات الفكر الاسلامى من معتزلة وظاهرية وباطنية ومتصوفة وفلاسفة وأشاعرة وفى كل عصر ولكل فريق مؤلفات فى هذا الناحية وخاصة الامام «ابى حامد الغزالى» فقد اتحفنا برسالة لها قيمة فى هذه الموضوع وان كانت رسالة عبد السلام المصراتى لا تصل الى درجة ما كتبه الغزالى الا انها تدل كما سبق على دراسة ومواصلة وحسب للبحث

والتأليف ..، وكتب بجانب هذا (الزهر الانيق) فى قصة يوسف
 الصديق ، تعرض فيها لشرح هذه القصة التى هى من رائعات الايات الكريمة
 قصة النبى الذى تعتبر قصته نموذجا انسانيا ساميا ..، قصة الشاب المضطهد
 والشاب السجين ،... قصة الشاب الذى تعرضت له المرأة فى اوج جمالها ودلالها
 فخشى ربه ..، واثر العفة والفضيلة ..، وهنا يتطرق ابن عبد الغالب الى حديث
 يشوبه كلام رقيق وتعابير حسنة ويمزج التفسير بالتصوف والادب بالعلم
 ولولا اطلاعه على دقائق التفاسير لما تعرض لتفسير هذه السورة والتعرض
 لتلك القصة ، التى تصور النبى فى جميع مراحل حياته ، وهكذا يكتب الشيخ
 الطرابلسى الذى هاجر الى تونس فى التوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والتصوف
 والادب الاسلامى وليت الزمان جاد بكل مؤلفاته لندرى منها صورة اكمل
 واوفى ، عمر طويلا وتوفى بالقيروان وقد جاوز السبعين باشهر قليلة ،
 وآبى روحه الى ربها يوم الخميس ٢٨ صفر سنة ٦٤٦ هـ وبعد صلاة الجمعة
 سار به الموكب الى المقر الاخير وتنازع طلابه وعامة الناس على حمل جنازته
 فكل يريد ان يستأثر بحمله او يشارك فى توديعه ورقد بجوار (ابي الحسن
 القلابسى)

وكان للاستاذ اخ شارك فى العلم والتصوف «ابو العباس احمد بن
 عبد الغالب»..، فيه صلاح وتقى وفيه ظرف ولطافة ..، وطالما ردد المقاطع
 التى تعجبه امثال

اننت غافل وقلبك ناسى	ذهب العمر والذنوب كما هى
لم تبادر بتوبة منك حتى	صرت شيخا وحبك اليوم واهى

إبراهيم بن عبد الغالب المصراي

حلقة من حلقات الاتصال الثقافي بين طرابلس والمغرب . . . شيخ استفاد منه اهل تونس والقيروان . عرف بالتواضع ، ومديد المعونة للفقراء وامتياز بطريقته المحببة في الوعظ والارشاد، وحفظ غريب اللغة ، وغريب الحديث، وحسن التاويل فكان له في اللغة العربية باع طويل واطلاع غزير ، شان علماء تلك الازمان يحفظون الغريب النادر ، والصعب الشارد مما يبدل على قوة الحافظة وكثرة الاطلاع وغزارة المادة . . . ومن صفات الواعظ المتصل بالعامية والخاصة ان يكون اداة خير دالا عليه ، امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . سمح الجانب وقور السيرة

وكان ابراهيم بن عبد الغالب صاحب فصاحة وطلاقة وصوت مجلجل مدو . مما اهلـه لان يصبـح خطيبـا المسجد القيروان والخطابة في القيروان لم تكن بالامر السهل فلا يقدر عليها ، ولا يرشح لها، ولا يقوم باعبائها الا العالم المتصلع ، والفقهاء المقتدر والخطيب المصقل او كما يعبرون ، المصقع ، فقد كانت مدينة القروان مزدحمة برجال الفقه والشرعية وفيها مدارس ومساجد ازدهرت بالحركة العلمية والثقافية وبرز فيها فطاحل من شيوخ الدين ... رحم الله الصحابي الجليل (عقبة ابن نافع) لقد اختط مدينة القروان فاهدى للعالم الاسلامي مدينة دفعت السهم وافرا في خدمة الحضارة والفكر وازدهار العمران.

درس ابن عبد الغالب المصراي في مدينة القيروان فاحسن في درسه
ووعظ فارشد في وعظه وخطب فاهلب العواطف بخطبه . . . وعلا شأنه
وذاع صيته واصبح في القيروان سرموق الجانب مكرما محترما واطمأن به
الحال وهذا له البال .

ولكن ابراهيم بن عبد الغالب لا يستمر به الحال على وتيرة واحدة ،
فهاهي ذى وشايات تدبر وشائعات تذاع ومكائيد تصنع فقد تعرض لالسنة
حداد تنقل عنه ما لا يعجب ، ها هي ذى السنة اهل القيروان تلمز وتغمز
ولعل مرجع هذا الى مبلغ الصدارة العلمية التي وصل اليها بجده وكفاءته . . .
والي المركز الادبي الذي تبواه بمقدرته وجدارته ، فحسد على ذلك . وكل
ذى نعمة محسود . . . لقي الاستاذ الخطيب في طريقه اشواكا تلقى ، وقتلادا
يرمى ، وما اكثر ما يكيده اهل العلم بعضهم لبعض . . . وتنافس اهل الفكر قد
يودى الى المكر والدس احيانا ، والحسد يدفع الى توليد الشائعات ويصنع
الاقاويل ، تعرض ابراهيم بن عبد الغالب المصراي لسهام الرائشين والسنة
الحاسدين ولما ادرك ما يدبر له وما يحكون له وما يشيعون عنه غضب
غضبة العلماء وثار ثورة الكرماء . . . وحزم امره وكره ان يبقى في (القيروان)
بعد ان اخلص لرسالته وادى واجبه فترك البلد وذهب مغاضبا ذهاب
يونس ابن متى وتلمسه اصحابه ومريدوه فما عادوا ويجدون الدرس النافع ،
والوعظ الشافي والخطابة المفيدة ، واسفوا لفقده لقد كان في القيروان
هاديا لطلاب العلم ولعمامة الناس فقد تاب على يده كثير من عصاة خرجوا عن
الطريق السوى وزلقوا عن الصراط المستقيم . . .

وادركته الوفود خارج البلد وامسكت بزمام راحلته املين العودة اليهم
ولكنه خرج خروج الاديب العالم (عبد الوهاب المالكي) من بغداد وان

كان ذلك لم يجد من اهل بغداد رغيفا غير ان ابراهيم المصراتى وجد من اهل القيروان الرغيف والوظيف ولكنه وجد معه الكيد والمكر من الخصوم فأثر ان يبتعد بنفسه عما يدبر له ويحاك . . . ورأى انه سيجد فى اى بلد اسلامى يحل به اهلا وصحابا وطلابا، ما دام رائده العلم وغايته الخير والهداية ، وقدم الشيخ الى تونس العاصمة وحط بها رحله اتخذها دارا وبدا فى الدرس والوعظ والخطابة واکرمه اهل البلد وانصتوا اليه وتجمعوا حوله واخذ يصلح ما بين الخصوم ويرشد الثائى . وندم اهل القيروان على خروج هذا المصلح المرشد وتمنوا ان يعود اليهم ولكنه آثر تونس على القيروان . . . وامتد به العمر حتى غدا علما من اعلام القرن السابع الهجرى . . . وكان ابراهيم بن عبد الغالب المصراتى لا يرحم نفسه من السهر والاجتهاد ومواصلة الاجتهاد . على كبر فى السن وعمل فى الجسد ومن كثرة اجتهاده لنفسه والعكوف على التحصيل ومواصلة الدراسة والخطابة اصيب بامراض واعراض كان اشدها واعنفها (المبلغم) واحس منه بضيق واحتباس فى حلقه . . . فعطل كلامه ، وثقل لسانه ، واقبل الاطباء يتفنون فى علاجه . ولكن المرض يشتد وبهجة الصوت تذهب رويدا رويدا والفصاحة تغيض عنه وما عاد يقدر على اعتلاء المنبر ، ولا الجلوس للدرس ولا يستطيع الخروج للعامة . . . واقبل طبيب حاذق مهر الطب فنصح ابراهيم بن عبد الغالب ان علاجه سيكون ميسورا سهلا فى مناخ (القيروان) فهناك اجواء تصلح له وهناك فى القيروان برؤه وشفاءؤه ونصح الطبيب الشيخ ان بقائه فى تونس يزيد صحته تفاقماء وشفاءه تباطؤا ولكن ابراهيم ابن عبد الغالب تذكر ماقيه من بعض الوشاة الحاسدين فى القيروان . . . فهو يابى العودة اليها، وامتنع عن الذهاب ولو من اجل العلاج . . . فهو حاد الطبع ، غضوب لكرامته ، ثائر لعزته . . .

ولكن طلابه والمعجبون به يلحون عليه ، ويحرضونه بكل وسيلة على الذهاب للقيروان من اجل الشفاء والعلاج وظل في اصراره ...

وتطرق الخبر الى حاكم تونس ... فهالاه الامر اذ للشيخ ابراهيم بن عبد الغالب مكانة وهو اثير لديه وبه معجب وله مقدر ... فامر الحاكم بان يتوجه ابراهيم بن عبد الغالب (الى القيروان) وان امتنع يرغم على الذهاب فان الناس على مختلف طبقاتهم يودون سماع خطابه والاستئذانه بدراسته ... وصحته ليست وقفا عليه وحده بل اصبحت شيئا تهتم به البلاد كلها ... وازاء هذا رضى اخيرا ... وذهب مع طلاب خالصاء ورجال اوفياء يصحبون ركب الاستاذ الخطيب العالم ...

وعند باب مدينة القيروان كانت هناك وفود اهل البلد تنتظر مقدم ابراهيم ابن عبد الغالب المصراتي ودخل البلد دخول الفاتحين في موكب مهول وجمع غفير ... وانكمش الخصوم وتلاشى الحساد وتبخر كيدهم عند ما شاهدوا هذا الرجل وقد اقبلت اليه ... وتقاطرت عليه .. جماهير البلد تحتفى به وتستبشر برجوعه وان كان مريضا فقد كان العطف اكثر والحب اوفى واكبر ... وظل في القيروان مدة علاجه في عناية واحاطة ... وشفى من مرضه وانطلق اللسان ... وتهدر الصوت المجلجل وعاد الى المنبر والدرس من جديد واستمعت القيروان الى فصاحة ممثلة بالعلم وارشاد سمزوج بالفضل ... وبعد شفائه عاد الى تونس العاصمة ... الى حلقاته وطلابه الى محاضرة الكبراء يفيدهم والى العامة يعظهم حتى استأثرت به رحمة الله في شهر رمضان من العشر الاواخر ... في الرابع والعشرين عام ٧٠٤ هـ - الموافق ١٣٠٤ م ودفن بباب تونس في موكب دل على محبة الناس له ، واعجابهم به ... فقد اخلص لعلمه فاخلص للناس له .

الخطاب

الخطاب شخصية تعتز بها طرابلس في ميدان العلم والبحث واللغة ،
وكم في طرابلس الاسلامية من اعلام وشخصيات خدموا الثقافة الاسلامية
وبحثوا الابحاث المفيدة وقدموا نأج اقلامهم ثروة طيبة الى المكتبة الاسلامية
الشيخ محمد الخطاب من اعلام القرن العاشر الهجرى ينحدر من اصل اندلسى ...
اتخذ اباؤه طرابلس موطناً وبدا وكان والده من شيوخ المسلمين اشتهر
بالصلاح وعرف بالتقوى فاتخذ لابنه احب الاسماء - محمد - وكان مولده
فى أمسيات رمضان وأهل طرابلس يحتفلون ويستعدون للسحور فى الثامن عشر
من الشهر عام ١٠٩٠ هـ ١٤٩٦ م ونشا محمد بن محمد الخطاب فى بيت علم وبيئة
فضل وقوم لهم من التصوف نصيب وافر ... وحفظ كتاب الله وتلقى الفقه
على والده الخطاب وعلى اعلام زمانه ونشا محمد شغوفا بالعلم مقبلاً عليه
نهما ويطفىء بالاطلاع ظمائه الذى لا ينطفىء .. وكان شعله لا يهدأ ولا
يمل من الاطلاع والحفظ والبحث وبجانب هذا كله كان الخطاب رجلاً
فكر واستنباط واستقصاء ... يشغل فكره ويبحث بعقله ويميل الى البراهين
والادلة ولا يكتفى كالشيوخ الغفل بالنقل والرواية والحفظ والسماع وفى

كل علم للشيخ الخطاب باع - وعلى كل شاطئ له شراع ... والعلوم الاسلامية كلسلسلة مترابطة متلاحقة متلاصقة متداعية فلا يمكن ان يكون هناك فقيه جاهل بالحديث او محدث جاهل باللغة او لغوى يجهل البلاغة وهكذا ... غير ان درجة التفاوت تختلف بين الاتقان والاطلاع العام ومن هنا تظهر الشخصية العلمية ويتكون النبوغ والتفوق .. وقد كان الشيخ الخطاب طرابلسي من تلك الشخصيات الفذة التي لم تكثف بالاطلاع المجرد والثقافة العامة بل كان متفوقا نابغا ذا طابع خاص وشخصية لها ميزاتها .

ونجده يؤلف فيكثر التأليف ويبحث فيطيل البحث ولكنه لا يؤلف في الفقه فقط ولا يقف عند مسائل التصوف فحسب بل نراه يبحث في النحو ومشاكله والاصول واستنباطه، والفلك وابراجه والحديث ورجاله واللغة وشواردها .. واصولها وشواهدا . وهكذا كان الخطاب بحق عالما علامة بحرا فهامه بلغة الواقع والحقيقة لا بلغة المتأخرين ولهجة أهل المناقب المبالغين - فقد كان علامة طرابلس نقادة بحائه ومما يدل على روح البحث والتقصي انه كان ينظر في كثير من المسائل الدينية فلا يجد فيها نصا ولا يدور حولها كلام من الفقهاء فيقف الخطاب امام هذه المسائل وقفة المتأمل الناظر ثم يجمعها في كتاب ظريف .. لم يسبق اليه الخطاب - واذا كان باحثو الفلسفة يعتمدون كل الاعتماد على كتاب ارسطو وباحثو اللغة العربية يعتمدون على كتاب سيبويه وباحثو التصوف يعتمدون على كتاب الابريز فان باحثي الفقه المالكي في العصور المتأخرة يعتمدون كل الاعتماد على كتاب الشيخ خليل . فهو مرجعهم وعمدتهم يعتمدون عليه وياخذون مسائله قضية مسلمة ويحفظونه ويشرحونه وينظمونه ويختصرونه وكان اكثر الناس عناية به ابناء المغرب وخاصة أهل طرابلس . . . ولكن الشيخ الخطـاب

عندما يقرأ خليل قراءة درس وتمعن وفحص فيجده قد قصّر في بعض المسائل وغلط وخطأ في بعض النقط. فيحرك الخطاب قامه ويتناول قراطيسه ويستحضر مسائل الفقه ثم يكتب رسالة يستدرك فيها على خليل ويستدرك على شرح خليل وشرح «ابن عرفة» «وابن الحاجب» الاصولي المعروف واستدراك العلامة الطرابلسي يدل على عقلية ناضجة لا تقلد ولا تكـرر كما يصنع كثير ممن قرأ «خليل» وتعبد بكلام خليل ويراه عمدة الفقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والخطاب المدقق والنحوى الباحث يتصفح كتب اللغة فيجد كثيرا من اصحاب المعاجم والقواميس يفسر اللفظ بلفظ اخر مرادف له فيكون هذا التفسير وهذا الشرح غير مفيد ولا مبين فمثلا الجوهرى في صحاحه احيانا يفسر اللفظة بمعنى ويدل على معنى هو بعينه المعنى الاول . . الايغال هو التعمق والتعمق هو الايغال - فالخطاب يلاحظ هذا ويؤلف فى اواخر أيامه رسالة لطيفة من الالفاظ العربية التى فسرهما صاحب الصحاح بالترادف وايضا الفيروزبادى صاحب القاموس لا يسلم من ملاحظات الخطاب وقدم الخطاب فينتبعه بروح الناقد ويتصفح القاموس بروح الباحث المدقق ويلاحظ عليه كما لاحظ على الجوهرى فى صحاحه ثم يخرج لنا هذه الملاحظات وتلك التعليقات كتابا كله فوائد وطرائف ولا يكتفى الخطاب بهذا ولا يسكت عن الفيروز بادى بل يتتبعه مرة اخرى بادق وأعمق ويلاحظ تلك الاغلاط التى وقع فيها وكم " فى القاموس من اغلاط وهذا البحث الدقيق الذى كتبه علامة طرابلس يذكّرنا بما كتبه علامة مصر المرحوم «أحمد تيمور» وما كتبه صاحب «الجاسوس على القاموس» مفتخرة لبنان احمد الشدياق غير ان علامة طرابلس سبق المصرى واللبنانى فى بحثه ونقده بما يزيد على ثلاثة قرون.

ويكتب رسالة فى الالتزامات ... وهو أن الرجل قد يلزم نفسه معروفا.. وهذا بحث دقيق يحتاج اليه أهل الافتاء من رجال الفقه المالكي وقد ادرج هذا البحث الشيخ «عليش» فى فتاويه المشهورة وايضالم يسبق الخطاب بهذا البحث ولا يكتفى بالعلوم النظرية وبعلوم الحفظ والنقل بل يشارك فى علوم الفلك وهذا علم خطير قد ضرب فيه علماء الاسلام بسهم صائب وما زالت نظريات المسلمين فى الفلك مبحث دراسة عند علماء أوروبا .

والخطاب ينظر فى الفلك ويهدرس ويؤلف بحثا قيما فى كيفية اخراج مواقيت الصلاة بلا آلة كالساعة والمزولة والاصطرلاب .. وهذا بحث غريب وطريف فى آن واحد لم يسبق اليه الخطاب ايضا وهكذا كان سابقا فى البحث وغريبا فى التأليف والجدير بالملاحظة ونحن نتكلم عن علامة طرابلس انه كان يستعمل عقله ويقيس بالمنطق ويستعمل أصول الفقه . ذلك العلم الجليل الذى صعب على علماء وفقهاء اليوم فاهملوه وتركوه ودرسوا الامور السهلة التى يعرفها الاطفال والبنات والنساء مثل نواقض الوضوء وموجبات الغسل وترك هؤلاء الكسالى اصول الفقه وفلسفة الفقه والاستنباط والقياس والشيخ احمد بابا التنبكتى يقول فى كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» عن الخطاب «كان يقيس المنصوص على غيره» ويذهب الخطاب للحج ويظهر هناك علمه وفضله فيتولى رئاسة المذهب المالكي بالحجاز ورئاسة المذهب مركزى يدل على مكانته فى العلم وطول باعه فى البحث وشهرته الفائقة وكان الشيخ الخطاب الطرابلسى اخر ائمة المالكية بالحجاز طبعا لان المذهب الحنفى ثم الحنبلى انتشرا فى تلك البقاع ومرجع هذا الى الاتراك الذين نشروا المذهب فى الشام ومصر والعراق والحجاز وبقي المغاربة والشمال الافريقى محافظين على مذهب الامام مالك لهذا نجد اكثر المجتهدين والكاتبين والشرح والمؤلفين فى مذهب مالك

من ابناء تونس والجزائر ومراكش وطرابلس الغرب .. لقد شاركت طرابلس في حفظ مذهب مالك بن أنس ودرس علماؤها في الازهر ومساجد الشام بل نرى من ابناء طرابلس من يتولى رئاسة المذهب المالكي في الحجاز وكان الخطاب لا يقل في ارائه مكانة في الفقه وفلسفة الفقه عن اعلام المذهب مثل «سحنون» وابن عرفة وابن عبد السلام وخليـل .

كتب في اللغة والفقه والاصول والتصوف الاسلامي ولا شك ان التصوف هو اقرب الفنون الى الفقه لهذا نجد الخطاب يدرسه ويتطلع على فنونه ورسائله ويجمع بين رسالتي عبد الرحمن السيوطي وابن حجر في «تفريج القلوب» وكتاب الغزالي «الاحياء» مرجع المراجع عند المتصوفة ورجال الاخلاق ونجد الخطاب يشرحه ويعنى به ... ومصطلح الحديث هو الميعار والميزان لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ونجد الخطاب يصول قلمه ويجول في ميدانه ويبين بعض الاحاديث ويفرد لها رسائل وكان الخطاب احيانا لا يشرح الكتاب كله بل يتخير موضوعا منه ويبتغي ناحية ويدرسه ويعلق عليه كما أخذ باب الحج من «خليل» واخذ باب السفر من «الاحياء» وحرر بحثا مستقلا ... وفي النحو يختصر اعراب خالد الازهرى لا لفية ابن مالك ويعلق على «التوضيح» ويعلق على قطر ابن هشام. وهل يترك الخطاب التفسير بدون ان يكتب فيه ؟ كلا رغم مرضه وكبر سنه واستلقائه على فراش المرض ما زال يجبر ويسطر ويكتب في التفسير ويعلق على «البيضاوي» ثم يشرع في تفسير القرآن كله ولكن لا يتمه بل يصل فيه الى سورة الاعراف وفي فن القراءات والتجويد يشارك برسالة تدل على احاطه واضطلاع وفي فلسفة الفقه شرح كتاب امام الحرمين «قرة العين» وعاد الشيخ الخطاب الى طرابلس بعد ان مكث في مصر طالبا وعالما وفي الحجاز رئيسا للمذهب وظل يكتب ويدرس ويبحث ،

وفى ليلة التاسع من ربيع الثانى عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٤٧ م كان الشيخ يسلم روحه وما تجاوز الثانية والخمسين من عمره وبجانبه اوراق ومحابر واقلام وتفسير لم يتم وخرجت طرابلس تودع علامتها الخالد محمد الحطاب واما ابناؤه ورسائله فعلى العلماء والشباب ان يبحثوا عنها .



أحمد البهلول

صلاتك ربى والسلام على النبى
على المصطفى المختار خير البرية
طلما رددت هذا اللحن الجميل --- مع والدى واختى فى صباى على شاطئ
الاسكندرية وفى وسط القاهرة ونرى الشموع تضاء ويطلق البخور
ونردد الاناشيد ثم يعلو صوت القراء ويمتزج ونردد معهم فى لهجة
حلوة موسيقية لها ايقاع جميل فى النفس، وتأخذ بمجامع الحس وبعد
فصل من القصائد تكرر النعمة ونردد البيت

صلاتك ربى والسلام على النبى،
على المصطفى المختار خير البرية،
او نقرأ بيتا اخر حسب القاينة

صلاتك ربى والسلام على الذى
يصول على الاعداء بالفتح والنصر
نردد تلك النعمات وتتلوها تيك القصائد فى موسم كريم ايام ميلاد محمد الرسول
صلوات الله عليه.

ومجموعة القصائد الحلوة هى ديوان للشيخ الصوفى الشاعر احمد البهلول الطرابلسى
فقد كان البهلول من الشيوخ الذين تفخر بهم طرابلس ومن اعيان القرن
الثانى عشر للهجرة

وكانت وفاة البهلول فى مدينة طرابلس يوم السبت ثانى رجب سنة ١١١٣ هـ
١٧٠١ م. ويذكرون فى نسبه انه ابن حسين بن احمد بن محمد بن على بن

حمد بن قائد بن احمد بن سيد الناس.. ونشأ البهلول طالبا للعلم باحثا عنه حتى اذا ترعرع عوده ونضج فكره واشتد ساعده اخذ راحلته «ومزوده» وملاه «بالزمية» التي اشتهرت بها طرابلس وحفلات من التمر الفزاني وذهب الى الشرق الى مصر الى الجامع الازهر الى رواق المغاربة ذلك الرواق الذي كان له كبير الفضل على كثير من اعلام الفقه والشريعة والتصوف امثال الشيخ زروق والشيخ الحطاب، وكل من جد بعزم في طلب العلم وحفظ المتون وقرأ الشروح وتعمق في الحواشي على طريقة القدامى ومنهج السلف، وتعلم على كبار علماء مصر امثال الشيخ احمد البشيشي الكبير والشيخ محمد الخرشى الشهير. والعلامة عبد الباقي الزرقاني والشيخ الشرنبلالي وغير هؤلاء من اولئك الاعلام الذين حافظوا على لغة القرآن وسنة سيدنا محمد رسول الله.

وذهب حاجا الى بيت الله ومن هنا انطبعت احساسه بالطابع الديني واثرت فيه تلك المعالم المقدسة.

كان الشيخ الطرابلسي فصيحاً حلو البيان لسنا منطقياً يحب المناظرة ويقبل على المجادلة ذا نفس طويل في المناقشة وله ميل الى البلاغة والبحث عن المعاني الطريفة والاخيلة الطريفة، والاستعارات والمجازات، كان مفطوراً على الادب وحب الشعر ولكنه مع هذا كان متصوفاً زاهداً فهو من اصحاب الشخصيات المزدوجة التي تعددت ميولها وكثرت مواهبها وانصهرت عواطفها.

يخفق قلبه بالحب هذا الاكسير الخطير ولكنه حب عذري ثم تطهر الحب فاصبح حباً علوياً حباً سماوياً حب محمد بن عبد الله.. ويا له من حب مقدس واكبر به من عشق استولى على قلب احمد البهلول فجعله يترنم ويتغنى ويتالم ولكنه الم الحب الذي فاض شعراً وشعوراً، واصبح خبره في العالم منشوراً مشهوراً ومن اجل ذلك وتلك الاستغراقات العلوية والنفحات السماوية اطلق عليه الطرابلسيون

لقب «بهلول»، عندما مدحه بقصيدة مطولة منها .
يافاضلا فضله بين السورى شهرا

وعاقلا وهو بالبهلول قد شهرا
ويلاحظ هنا ان اهل طرابلس يستعملون اسماء الاضداد فالبهلول فى اللغة
هو الشجاع الصنديد ولكنهم يطلقونه على المعتوه و - السرحان - والابله .
كما ان كلمة -الباسل- فى اللغة الشجاع ولكنهم يطلقونها على الرجل غير
المستساغ - دمه ثقيل - كما ان البياض يطلقونه على الفحم الاسود - وارحمه -
على الطريقة الطرابلسية اى أضربه بلا رحمه ولا هوادة حفظنى الله من الرحمة
الطرابلسية ...، وأعود الى الشيخ البهلول الذى ملأ جوانبه حب محمد كما ملأت
جوانب كثير من رجالات التصوف ابن العربى وابن الفارض وابى العباس
المرسى وياقوت والاباصيرى وابن عطاء الله السكندرى والشيخ البغدادى .
وعلى ذكر هذا الاخير أقول والحديث ذو شجون وافنان وفنون ان كثيرا
من الناس قى هذا البلد يظن ان كتاب المدائح للبغدادى هو لاحد البهلول
فيطلقون على - سر باب الوصول فى مدح الرسول - البغدادى ... مع ان هذا خطأ
مخض وغلط متداول .

فالبغدادى صاحب كتاب القصائد الوترية فى مدح خير البرية
كان فى القرن السابع وتوفى سنة ٦٢٢ هـ . وما ابعد هذا من ذلك وما
ابعد طرابلس عن بغداد .

والبهلول له تخميسة العياضية فى مدح خير البرية والتخميس فن من فنون
الشعر العربى وضرب من انماطه تظهر فيه البلاغة وروعة التصوير ودقة التعبير
والتلاعب بالالفاظ والعواطف وسرعة الخواطر وحلاوة البديهة وسعة اللغة وقوة
الذاكرة مالم يكن فى التخميس التكلف والتعثر والتنميق فان التكلف فى كل

شيء يضرب وخاصة في عالم الادب وديننا الشعراء .
والبردة طالما خمسها الناس وغيرها من مجامع الشعر الاسلامي والبهلول له رسالة
في الادب على طريقة القدامى في القصة سماها - المقامة الوترية - وقد كانت المقامات
في كثير من الفترات فناله مكانة ومكان من يوم ان وضعها بديع الزمان
الهمداني وابدع فيها الحريري الى ان قضى عليها بالتكلف الثقيل .

وأختصر البهلول - العزبة - ولكنه أختصرها نظما وجعلها سهلة الحفظ ظاهرة
المعنى قوية المبنى وفي التوحيد ينظم البهلول سبعين بيتا ويسمى قصيدته - درة
القصائد - وكانت بحق درة يقدمها الشيخ الطرابلسي الى رفوف المكتبة الاسلامية
ويلاحظ ان شيخنا كان حنفى المذهب ومذهب ابي حنيفة له اتباع قلائل في
طرابلس ، وطبعا الف في مذهب النعمان منظومة اطلق عليها - المعينة - تشبه
الى حد كبير منظومة ابن عاشر في المذهب المالكي مذهب الغالبية العظمى
في طرابلس وعلى ذكر هذا والحديث دوما عندي متشعب متفرع يظهر لي ان
البهلول هذا ينحدر من سلامة العلامة احمد البهلول الانباري الذي ولي قضاء بغداد عشرين
عاما وكان من اعيان القرن الرابع الهجري وقد تكلم عن الانباري ابو بكر الخطيب
فقال «كان عظيم القدر تام المروءة يذهب بمذهب اهل العراق في اقياس وابي حنيفة» .
ومنذ عامين اعطاني احد الناس مقطوعة في التصوف وزعم انها لاحمد البهلول
وهكذا كتب عليها وطبعت على انها لصاحبنا البهلول وهي بلهجة طرابلسية
فيها حكم ومواعظ .

ننا مالى قىاس

أى شى عىلىا منى

اقلق من رزقى لىش

والخالىق يرفؤننى

قَالَوا لى بعض الناس

أَتَعَقُّبُ يَابَهُ-----وَل

واتـركـك الوسـواس

واعلم من ان انت تقول

وابدئ الحيط على الاساس

ان رباطلك محلول الخ الخ

ولكنى بعد بحث وفحص ايقنت انها ليست لاحد البهلول صاحب الديوان المشهور - سر باب الوصول فى مدح الرسول - لان صاحب الحكم والمواعظ يسمى يحيى الشرفى البهلول ولم اجد هذا الاسم. فى سلسلة سيدى احمد البهلول . ولكن فهمت ان المنظومة تدل على ان صاحبنا متصوف طرابلسى وما اكثر بها ليل طرابلس ويشبه كلامه كلام ابن عروس وفى طرابلس أوجد البهلول حركة علمية ونشاطا ادبيا بدروسه التى يلتقيها فى مساجد طرابلس ولم تكن فارغة مثل هذه الايام التى نسى فيها علماؤنا رسالة العلم ورسالة الدين .

فقد درس البهلول الشفا للقاضي عياض وهذا من اهم المراجع فى شمائل رسولنا
محمد صلوات الله عليه ونبع من منابع سيرته .

ودرس صحيح البخارى وكان يحفظه مشافهة وناهيك برجل يحفظ البخارى
ويدرس الشمايل ويقرض الشعر ويدرس التفسير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
ويؤدى واجب العلم فى الذود عن الحق ومحاربة الابطال ومحاربة الجهل .
وليس ما أقوله نوعا من البسط فى الترجمة والاطناب بل اليك ما يسدل على
هذا من القصيدة التى مدحه بها احد تلامذته .

يا عالما بتقارير «الشفاء» شفا

امراض قلب الذى فى درسه حضرا

وصح لما روى عنه مشافهة

صحيح متن « البخارى » وارتوى دررا الخ

وعندما كان حفيده مهاجرا فى مصر طالبا فى الازهر حركه الشوق وهزه
الحنين الى بلاده طرابلس فنظم قصائد وصلتنا منها قصيدة مشهورة حفظناها ونحن
تلاميذ صغار بالمهجرواشار فى آخرها الى جده البهلـول .

طرابلس الغـرا تـراالى عـودة

اليك وهل يدنو الذى كان قد ذهب

سقى الجانب الغربى منك سحابة

ولا زال فيك من رياح الصبا يهب الخ

أريد ان أتحدث عن البهلـول الشاعر الطرابلسى كثيرا واشبع فيه الكلام
والبحث ولكن وويل من لكن يصعب على هذا لقللة المراجع وعدم وجود
المصادر وليس لدى الان من نتائج فكره سوى الديوان الذى طبع فى استانبول
وفى القاهرة بمطبعة الخشاب متوسطة وطبعة محمد صبيح رديئة شأن كل الكتب
التي قام بطبعها هذا الرجل احسن الله اليه فطبعته كلها اغاليط وطبع ثلاث
طبعات او أربع هذا الديوان المبارك الذى يقرأه ابناء طرابلس فى هذه الايام
المباركة فكنت احفظه مع أختى الصغيرة رهمها الله ولا شك ان ديـوان
الشاعر هو أعظم مرجع له فيه يظهر شعوره وفيه تحس احساسه كما ان
نفسية الكاتب تظهر من خلال سطره وادراكات الفنان من تموجات نعماته
والحانه والرسام من الوانه ولوحاته والعالم من ابحاثه ودراساته كذلك شيخنا
احمد البهلـول قلت مراجعه وتعذرت مصادره نسيه قوم وجهله اقـوام وقـرأ
ولا تعجل فان العجلة هنا تفسد الادراك ،،،

عساكم تجودوا أو ترقوا لخالتي

وما كان بعدى عنكم من ارادتي

اكابد احزاني وفطر صبابتي

ولم ترهموا ذلى وطول بكائي

الليل والنجوم وحرقة الفؤاد المكسوم ودموع العين والذل والاسار
والشوق والانتظار يصوره البهلول

نزحت دموعى من بكاي عليكم

ولم تنظروا حالى وذلى لديكم

واسر فؤادى بالهوى فى يديكم

اراعى نجوم الليل شوقا اليكم

وذاك لرغبتى فى الهوى وشقائى

والبهلول يكثر من ذكر المنعرجات ومستط اللوى والبرق وحادى السرى وغير
ذلك من الاخيصة والامكنة والظلال والرسوم التى وردت فى الشعر العربى
القديم حتى اصبحت معالم على الحب والشوق واسمع معى الى الصوفى
العاشق يناجى حادى البيد حادى القافله وهى صرخة حب صادق .
سالتك بالرحمن يا حادى السرى

أعد لاجبابى حديثى وما جرى

اراعى نجوم الليل فيكم مفكرا

بروق الحمى لاحت لعيني وقد سرى

ولله كم من ليلة قد سهرتها

ونيرانهم ليلا بعيني نظرتها

بدت عندما جس الظلام رأيته

لموع سيوف جردت لحروب

ودىوان البهلول مرتب على حسب حروف المعجم وفيه مولد الرسول ومعجزاته
وشمائله وكل هذا بأسلوب سهل

وشعر رقيق لا يتذوقه الا ذو عاطفة ووجدان ، وقد درست شعر البهلول وفي فترة من حياتي همت به ولاحظت من هنا ملاحظة هو ان الشيخ الصوفي كان محبا وقد اذاقه الغرام الوانا من السقام ويظهر ان محبوبة الشيخ قد كانت مناط وحيه وينبوع شعره ومطرقة فجرت بيانه ولست ادرى اهي من مصر القاهرة ام من هنا في طرابلس !؟ تلك التي هزت مشاعر الشيخ فاحبها ثم تغير حبه وتبدل وتطور واصبح حبه للنبي وشعره مدحا له بعد ان كان يتغزل في محبوبته ومع الاسف ضاع شعره الغزلي الاول كما ضاعت محبوبته الاولى في خضم الزمان العاتى لاغرابية في هذه النقطة وذلك التطور في الحب والغرام واستاذنا عمر بن الفارض سلطان العاشقين وامام المادحين قالوا ان غزله وغرامه كان لمحبوبة حسناء ثم انقلب زهدا وتصوفا الالهيات وقديسيات وايضا المتصوف محي الدين بن العربي احب فتاة في مكة وأثر في طبعه والشاعر الشيخ البهلول ايضا والدليل على هذا قوله في ديوانه وارجو أن تقرأ بدقة فالعجلة لا تثمر هنا تمكن في الاحشاء كل التمكن وصافيته في الود من كل ممكن ... ولكنه رغم هذا التمكن وذلك الصفاء والود والوفاء فالمحبوب غالى في صده وتعالى في دلاله فقال البهلول ولما رأيت العمر في الصد قد فنى تغزلت في شعري به غير اننى

رجعت الى مدح النبي بهمتى

ويظهر تاثر البهلول في كثير من المواطن بشاعر الالهيات والقديسيات عمر ابن الفارض على تباعد الزمان والمكان فقد كان ابن الفارض مصرياً والبهلول طرابلسياً وكان ابن الفارض في القرن السادس والبهلول في القرن الثاني عشر أما الموازنة والمقارنة بين عمر بن الفارض واحمد البهلول فعندى لها بحث آخر ساقدمه في فرصة اخرى أن شاء الله .

ابن غلبون

ايها الغطاريف الميامين ، احاطكم الله بسلامه ، شاكرا حضوركم هذا وتفضلكم بالاستماع الى ثم شاكرا لمدسة طرابلس دعوتها الى للمساهمة فى هذا الموسم الثقافى وليس ما اقدمه هنا محاضرة بالمعنى المعروف والمنهج المألوف انما هو اشبه مايكون بالمسامرة دون المحاضرة ثم ليس لدينا من المراجع ما يكفى لاعطاء ترجمة ضافية كافية وهى اشبه ما تكون بالمسامرة المرتجلة وعذرا فى هذا فهو طبيعى كما قال احد الزملاء مداعبا بالامس ... يظهر ان املك ولدتك ارتجالا .

سأتحدث فى هذه الامسية عن رجلين كان لهما اكبر الاثر فى حفظ تاريخ طرابلس وجمع اخبارها فى عصورها الاسلامية العربية .. وهما ابن غلبون والنائب الاول صاحب كتاب (التذكار فى تاريخ طرابلس الغرب) الاول شيخ وعالم ازهرى والثانى اديب ومثقف ومن وجهاء البلاد .

ابو عبد الله بن محمد بن خليل غلبون المصراتى ، وكـم اخرجت مصراة من علماء وادباء مثل ابن غالب المصراتى والشاعر ابن شتوان واخرين ولا تزال اسرة ابن غلبون تمتد فروعها وغصونها فى مصراة وانحاء ليبيا وعلى شاطئ الاسكندرية، كان علما من علماء زمنه واستاذا صريحا فيه جرأة المؤمن وغضبة الحر الكريم وله فى ميادين الاصلاح الاجتماعى جولات موفقة وخطوات

مباركة .. وليس هذا ضربا من الاسلوب الانشائي بل سنبـهـن عليهـه
بذكر بعض الحقائق وسرد جملة من الوقائع .. واحب ابن غلبون التاريخ
وخاصة تاريخ طرابلس حيا جما تملك عليه حواسه فاخذ يجمع ويضم ويبحث
عن الجذازات والقصاصات والمخطوطات ويفصل ويبوب ويلم اشقات الاخبار
عن المعالم والاعلام ويثقل ويراجع ويهش ويعلق حتى كان من نتيجة هذا
كتابه الذى يعد عمدة ومرجعا فى تاريخ هذا البلد فى عصوره
الاسلامية العربية .. ويظهر لى ان ابن غلبون يتحدر من الاندلس فاننا نجد
فى هذا اللقب صياغة اندلسية وعلامة التعظيم والتفخيم كانت عند اهل الاندلس
(ون) تضاف الى آخر اللقب واخذها الاندلسيون عن لغة الاسبان ولهذا
نجد كثيرا من القاب الادباء والشعراء والعلماء الاندلسيين على هذه الصياغة
وبذلك الشكل .

زيدون.... حمدون سرحون ... سحنون وايضا غلبون ولا
نجده فى المشرق .. وهذا من خصائص اهل الاندلس .. وقد امتاز ابن غلبون
بصراحة فى الرأى وجرأة فى الفكر وغضبه لله عندما يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر.. عاصر احمد القره مانلى موسى الاسرة القره مانلية وحاكم طرابلس فى
زمنه وكان اثيرا عنده .. مقربا اليه .. يسمع الحاكم لرايه ويقبل استشارته
ويكرم وفادته .. ويحسن منزلته ويغدق عليه من اكرامه .. وكان ايضا
ابن غلبون سقيرا وشفيعا بين العلماء وطلاب العلم وبين (احمد القره مانلى)
يعرض مطالبهم ويدفع المظالم عنهم وعندما تكاثرت الضرائب على اهل
العلم كان وسيطا لاسقاطها عنهم وازالتها عن كاهلهم .. ومن مآثره المذكورة
المشهورة .. ان الحمر كان يقطر فى بلدة مصراته ويستخرج من النخيل كما
هى العادة فى كثير من انحاء البلاد وهى عادة تضر بالناس والزرع وغضب ابن

غلبون من تقطير الخمر وفساد العقول والنخيل فما اكتفى بالنهي الشفهي والامر اللفظي بل تلمس كيسه ودفع من جيبه ثمن ما استعطر من النخيل كي يمنع هذه العادة وامر برد المال الذي اخذه المقطرون ودفعه من خالص ماله ولم يكتف بهذا بل ركب فرسه وتوجه نحو الحاكم في قصره بطرابلس وطلب منه اصدار امر وصياغة قانون بمنع تقطير الخمر من للنخل (اللاقبي) وكان يكره البدع ويحارب المستنكرات ويطرد عن الشريعة كل الشوائب والعوائب التي تشوه جوهر الشرع الخفيف.. وكان بينه وبين المبتدعة واهل الخرافات، جولات وصولات .. ومحاجات ومناظرات افحمهم والجمهم ومن مناظراته ما دار بينه وبين الشيخ النعاس في تاجوراء وقد سجل المناظرة في كتابه ... تلقى ابن غلبون دراسته في الجامع الازهر ودرس كما يقولون علوم العقل والنقل ومكث في رحاب الازهر سنين طويلا وعاصر الشيخ عبد الرزاق البشيشي وابي يحيى السوسى وبعد ان اتم الدراسة الازهرية وصقات ملكته وتغزرت مادته عاد متوجها الى بلده ومسقط راسه (مصراته) وكانت عودته كما اشار في كتابه سنة ١١١٣هـ - ١٧٠١م وفي مصراته كانت ولا تزال توجد مدارس وزوايا دينية مثل مدرسة الشيخ الفقيه هدية المغرب لطرابلس احمد زروق صاحب المؤلفات المعتمدة في مذهب مالك ومدرسة عبيد الله المحجوب وكان الاساتذة والطلاب يفدون صوب البلاد نحو هذه المدارس الدينية كما ان علماء المغرب في رحيلهم الى الحج وغيره عند ما يحيط بهم الرحال في البلد يدرسون ويتناقشون ويأخذون ويعطون وكانت حركة الدراسة العلمية لهاسوق رائج وعملة سائرة وكان لابن غلبون حلقة مثل افاذا ذلك العصر وطلاب معجبون وان كان اندلسيا كما يظهر لنا الا انه عربي قح كما اشار ابن خلدون عند الكلام على (آل سليم).. موطنهم مصراته ورئاستهم في اولاد مرزوق في المئة الثامنة لابن غلبون.

وكما ألف في التاريخ كتابه «التذكار» فقد ألف في الميراث والفرائض رسالة شرح بها (الرحبية) ولا تزال مخطوطة الى الآن ولعل له رسائل اخرى مندثرة ضائعة . ويمتاز ايضا بانه نقادة له صراحة ظاهرة في نقده وحرية في بسط فكره ويدلنا على هذا موقفه مع علماء من زملائه فعندما ألف الشيخ على بن عبد الصادق كتابه في (الفتاوى) سماء التذليل .. تصفح ابن غلبون الكتاب وعلق عليه بصراحة وقال (انه زعم انه ذيل به المعيار وجمع فيه الغث والسمين شيئا لم يسبق به) وكان يلوم صاحب (الفتاوى) على اعتماده في مؤلفاته على اقوال العامة والنقل بدون تحرر وكان دفاع على ابن عبد الصادق عن نفسه ازاء نقد ابن غلبون .. انه كان يريد حفظ مسائل العلم خوفا الضياع وهو جواب لم يرض ابن غلبون الناقد العالم وفي احدى ليالى سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م كان متوجها الى طرابلس فنزل في تاجوراء وفي مدرستها الدينية بعد العشاء اطبق عليه الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجورى بمناقشات حادة ومجادلات عنيفة فقد كان ابن غلبون يستنكر بعض تصرفات التاجورى ويراه منافية للشريعة واصول الدين والكتاب والسنة وكانت مناورة مقصودة ومازقا دبره التاجورى وتخلص منه ابن غلبون بحكمة العالم واتزان المتدبر الحكيم ولكنه لم يستسلم بل دافع عن آرائه وفند آراء الغير...، هذه الحادثة تعطينا صورة من حياة ابن غلبون وما كان يلاقيه من تعنت وجدال عنيف من اهل زمانه ومع هذا ما كان يلين الا للحق ولا تكون الصداقة حائلا بينه وبين النقد الصريح والراى الحر كما صنع مع صديقه ابن عبد الصادق الذى نقد كتابه سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م كما سبقت الاشارة اليه وشان العلماء يتربصون ببعض الشعر فله قصائد وصلت اليها منها ابيات مدح بها احمد القره مانلى ون كانت قصائده لاتصل الى درجة الشعر الجيد فما كان شاعرا اخلص للشعر وانما

كان ينظم احبائنا على طريقة زمنه وبأسلوب عصره ...

هذا ابن غلبون من عودته كرما

لدفع حادثة قد جاء يرجاكا

ابن غلبون قد اتى من بعيد

زائرا حسن ظن قد دعاه

وقد اعتمد ابن غلبون فى تاريخه على مصادر متنوعة

واعتمد ابن غلبون فى تاريخه على «البكرى» و «التيجانى» وابن «بطوطه» من الرحالين ونزهة المشتاق فى اختراق الافاق للدريسي الجغرافى و «النيسانى» فى ميادينه ، وايضا ابن عبد الحكم وابن الاثير من المؤرخين وكتاب آخر اشار اليه فى ثنايا كتابه ودثر مع الايام ذلك هو تاريخ البهلول ابن حسين بن احمد و اشار ابن غلبون الى انه نقل عن خط المؤلف وهذا اثر من الآثار الضائعة وكم من اثر ادبى ضاع فى هذا البلد الذى تكاثرت وتضافرت عليه الاحداث والحوادث ، وعلاوة على ما اشار اليه من المراجع فقد اعتمد ايضا على اخبار المشافهة والملاحظات العامة ومعلومات ووقائع وحوادث كانت تجرى فى عصره اثبتها وسطرها .. ونستطيع ان نوكد ان كتاب ابن غلبون اول كتاب يولف فى تاريخ طرابلس فى عصورها الاسلامية باللغة العربية اعنى سفرا خاصا مستقلا بهذا البلد اذا استثنينا كتاب البهلول الذى لم يكن على ما نرى كتابا خاصا بتاريخ طرابلس والذى لم يعثر عليه الى الان .

وقد تناول ابن غلبون فيه تاريخ طرابلس فى عصورها الاسلامية من اول الفتح الاسلامى من يوم ان ركز عمرو بن العاص هنا راية محمد بن عبد الله الى زمن احمد القره مانلى وحتى سنة ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م . وفى هذه السنة تقريبا انتهى المؤلف

من كتابه وطبعه تاريخه تناول التطورات والتقلبات والاحوال بصورة موجزة مختصرة ولكنه اختصار وإيجاز يفيد ولا يخل دائما .. انه يا سادة اعطانا الخيوط والفتائل وعلى الشباب والمهتمين بتاريخ بلادهم ان يكملوا الثوب نسجا .. وقد كان فى تاريخه سهلا فى السرد واضحا فى العرض وقد تلمس فيه روح الدارس العالم، فهو يغربل ويصفى ويسبك والتاريخ كصناعة وفن يحتاج الى غريبة ومقارنة وسبك واذا خلا من الروح العلمية كان ضربا من النقل الجاف والسرد الممل، ولكن هذا لا يمنع من ان نشير الى انه قد ينقل بعض الخرافات ويسطر بعض الاساطير مثل قصة دق الياقوت على الطعام وكون طرابلس خالية من «السكين» عندما غزاها الاسبان انها قصة التاجر الذى استضاف بعض البحارة الاسبان ثم كان سبب غزو البلاد، خرافة نقلها ابن غلبون ثم اخذها منه فيما بعد النائب المورخ وصدقها كثيرون.. ومرجع هذه الخرافة الى المرحوم العياشى فى رحلته فمنها اخذها المورخون مع انها ظاهرة فى وضعها وقلما يخلو التاريخ من خرافات واساطير .

وقد ترجم «ابن غلبون» لعلماء بلاده وادباؤها وبلغت الترجمات حوالى ٣٣ علما ولكنها مقتطعات واسطر مقتضبة معدودة تفيد الدارس ولكنها لا تشفى غلة الصادى وليته اطنب فى هذه الناحية الهامة التى فقدنا جوانب كثيرة منها ... وهذه الصفحات التى سطرها يراعه تدل على سعة اطلاع وغزارة مادة ولكنه احيانا يستطرد الى البحوث اللغوية والصرفية وفلسفة الالفاظ وقد يجنح به الاستطراد الى ذكر حوادث من التاريخ لا صلة لها بتاريخ طرابلس ومرجع هذا الى ان المؤلف كان شارحا لقصيدة سياتى ذكرها وشرح القصائد من طبعهم الاستطراد والافاضة فى شتى انواع الثقافة الاسلامية فهو شارح عالم لغوى ومورخ وصنع مثل ما صنع صاحب سرح العيون على رسالة ابن زيدون شرح، وتاريخ ولغة وادب، واستطراد احيانا.

وقد ظل كتاب ابن غلبون حقا من الزمن تائها معمورا ومطمورا ورحل الى هنا وهناك وتناقلته ايدى عديدة بين شرقية وغربية حتى وصل به المقام والقسى عصا التسيار .. ان صح هنا هذا التعبير - الى باريس فى احد مخازنها ، وكان المرحوم العلامة احمد تيمور ، شغوفاً بالنوادير والمخطوطات الاسلامية وشاهد هذا الكتاب الغريب فى مخزن باريس فاخذ صورة فوتوغرافية له سنة ١٣٤٤ هـ . وكان مكتوباً بخط مغربى ونقل الصورة الى مكتبته بالقاهرة .. حتى طبعت سنة ١٣٤٩ هـ . فى القاهرة ... ولولا نسخة باريس لما طبع هذا الكتاب ولضاع هذا الاثر .. وسبحان الله .. بضاعتنا ردت اليانا .. وعاد الغريب الى اهله .. وكفى من ضائع فى مخازن اوروبا وغيرها .. ولان ابن غلبون كان فى عصره ازدهار للبحرية الطرابلسية وكان للبلاد اسطول وطنى فانه يختم كتابه بفصل عن ادارة الحكم وما يلزم للحاكم . ثم بفصل عن الجهاد والرباط والمحافظة على الثغور والشواطىء وهذان الفصلان لاصلة لهما بالتاريخ او على الاقل بتاريخ البلاد فهما فصلان سرد فيهما احاديث وَايات واداب الشريعة فى هذا الميدان ولكن لهما كل صلة بالشعور الوطنى والدفاع المقدس ولم يطبع هذان الفصلان وخرج كتاب ابن غلبون مقصوص الذيل وكان بودنا ان يطبع كما هو «طبق الاصل» وهذا ما يجب ازاء المخطوطات وكل اثر علمى قديم يجب ان يخرج للناس كما وضعه المؤلف وكما حبره صاحبه .

الف ابن غلبون كتابه «التذكار ... فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار» وبناء على قصيدة وجعله شرحا لها .. فما قصة القصيدة ؟ ومن ناظمها ؟ انه الشاعر الاديب «احمد بن عبد الدائم الانصارى» ومع الاسف لم نثر على ترجمة وافية له وهو من ابناء طرابلس وقد كان غيورا على بلده وقد كان سبب انشاء القصيدة ان «العبدري» مر بطرابلس واجتمع مع قاضى البلد محمد بن عبد السيد

واستمتع الى بعض دروسه وشان علماء ذلك الزمن كانوا ينتهزون مثل هذه الفرص من الرحلات والزيارات والمقابلات فيتناقشون ويتباحثون .. ولم يكن هناك من عوامل حديثة تشغلهم وتلهيهم فلا صحافة ولا اذاعة ولا اخبار ميسية يتلهون بها .. بل كل همهم كان منصرفا للنقاش والجدال والنقل والاخذ والسرد والاجازة هذه عوامل كانت تؤثر في الحركة الفكرية وتعطينا صورة عن حياة العلماء في ذلك الزمن .. حب للعلم واستغراق في مـواده .. وغوص على الغريب والنادر .. ووجد العبدري فرصة يتناقش فيها مع قاضي طرابلس محمد بن عبد السيد ولكن النقاش صاحبه حدة وشدة ولم يوافق العبدري على اراء قاضي طرابلس بل بلغ جو النقاش حد التوتر بين الاثنين وغضب العبدري ووصف القاضي بانه «ضيق الخلق .. قصير النظر .. صاحب شكاسة .. ولا رواية له .. بل لم يكتف العبدري بهذا سامحه الله .. فوصف طرابلس الغرب باقبح النعوت .. والاوصاف .. وذمها وشنع عليها ونقص من قدرها .. فانبرى له الشاعر الاديبي عبد الدائم الانصارى ، بقصيدة طويلة تبلغ ٢٩ بيتا ذكر فيها محاسن طرابلس وفضائلها وبعضا من ادبائها وعلمائها ومنزلتها في التاريخ الاسلامى .. وكان في شعره دفاع حار يفيض من قلب مواطن غيور ومن ابياتها ارى زمنا قد جاء يقتنص المها

بلا جارج والاسد في فلواتها

رأى القيض مبيضا بمزيلة الحما

فقال كفانى انه من صفاتها

طرابلس لا تقبل الذم انها

لها حسنات جاوزت سيئاتها

ويمضى ابن عبد الدائم معددا مآثر قومه وساردا فضائل بلاده مدافعا في حرارة واخلاص.

فوارس انجساد وهم من حماه
وكان الشاعر معاصرا لاهد باشا القره مانلى وقد أثنى عليه ومدحه فى آخر القصيدة. وهناك مسألة جديرة بالتساؤل او البحث.. هل العبدرى الذى ذم طرابلس ورد عليه ابن عبد الدائم هو العبدرى الرحالة المغربى ؟.. هذا ما يذهب اليه كثير واشار اليه طابع كتاب ابن غلبون مع ان هذا خطأ وهى غلطة تاريخية فان العبدرى المغربى كانت رحلته سنة ٦٨٨ هـ. بينما كان العبدرى الذى ناقش عبد السيد القاضى والذى رد عليه الشاعر متاخرا جدا عن التاريخ ثم أن الشاعر يرد على معاصر ويوجه الخطاب الى موجود فى زمنه وكان سنة ١١٤٠ هـ. وما حوالها وقد يقول قائل يجوز ان يكون الشاعر الطرابلسى رد على العبدرى بعد قرون وهذا جائز فى لغة الادب واسلوب الشعر ولكن ماذا تقولون فى دليل اخر يؤكد ان العبدرى المردود عليه ليس هو العبدرى الرحالة المغربى ؟؟ بدليل ان عبد الدائم يوجه الخطاب الى رجل شرقى جاء من الشرق لا العبدرى المشهور وهو مغربى واسمعه يقول

فجاءتك يـيـا شرقى---سى تسعى فراعها---
فكن منصفاً ثم أجنـ من ثمراتها---
فيستخلص من هذا ان العبدى الذى تصدى له الشاعر غير العبدى المغربى وما
أكثر العبادرة فى ثنايا التواريخ والكتب..

وايضا ابن عبد الدائم فى أبيات اخرى يستنجد من الفرنسيين ولم يكن هذا فى عصر العبدرى المغربى .

ايها الغطاريف الميامين.. من الملاحظ المستغرب ان النائب المؤرخ لم يشرم بعيد ولا من قريب لا بالتلميح ولا بتصريح الى كتاب أبى غلبون مع أنه بلا شك معتد به عمدة ومصدر محترم منه أخذ واقتبس.. لماذا كان هذا الاهمال وذلك الاغفال.. أغفاله كان عفوا ام اهمال مقصود متعمد؟. وهنا تتكاثر الاحتمالات لعل النائب كان فى نفسه شىء نحو ابن غلبون مع أنه ليس معاصرا له بل ان أبى غلبون متقدم وما أكثر حسد العلماء وتنافس الادباء ولو على بعد الاجيال والسنين.. وقد قالوا مثلا فيه من الصحة نصيب ومن الواقع سهم كبير.. «صاحب صنعتك عدوك» وما أكثر حزازات اهل الفكر وطيهام لما يجب ان ينشر.. ونشرهم احيانا لما يجب ان يطوى. وايضا لعله اشار فى كتابه «شيم البارق» الى ترجمة ابن غلبون.... ولعله لم يقرأ الكتاب وهذا احتمال بعيد غريب لان أثر الاعتماد على ابن غلبون واضح فى كتابة النائب.. ثم ان مكتبة النائب كانت زاخرة بالمخطوطات عامرة بالنوادير وخاصة فيما يتعلق بفن التاريخ وخاصة ايضا فيما له صلة بتاريخ طرابلس الغرب لعل الرقابة مدت نصلها فاستاصلت طرفا فيه ترجمة لابن غلبون؟ ومن العلوم ان الرقابة صنعت غير جميل وجزت غير قليل من كتاب النائب..؟ ولعل الايام تكشف عن سر هذا الصمت وتزيح الستار عن هذا السبب مع ان النائب عندما تكلم عن برقة واجدايية أشار الى «عبد الله بن غلبون» وروى خبرا منقولاعنه وهذه الرواية او الخبر اثبتته ابن غلبون فى كتابه مما يدل على اطلاع النائب عليه ما السبب؟ الحق ان النائب قد غمط حق ابن غلبون عندما لم ينقل لنا ترجمة عن حياته مع أنه ترجم لمن هم اقل منه مقاما وادنى منزلة ومعرفة وهنا.. أتساءل.. ولا أجيب.. واشك ولا اجزم ...

فضل ابن غلبون كثير في تاريخه ومن فضائله اثباته قصيدة ابن عبد الدائم
فلولا نقلها وشرحها والاهتمام بها لضاعت كما ضاع شعر ابي اسحاق الوداني
الشاعر الطرابلسي الذي عاش عمره بين طرابلس وصقلية والقائل :
من يشتري منى النهار بليله
لا فرق بين نجومها وصحابي

ابن غلبون والنائب

موجز المحاضرة التي القيت في ختام موسم المحاضرات

بقاعة مدرسة طرابلس الثانوية مساء الاربعاء

٢٠ ابريل ١٩٥٥م

∫

النائب

أيها الغطاريف الميامين. وايضا ليس لدينا ما نقدمه عن النائب ترجمة مستكملة ودراسة مستقصاة، فليس لدينا ما يكفى من الوقت وايضا من المراجع ما يعطينا الصورة الكاملة عن هذه الشخصية الطرابلسية فقد كاد يندثر مع المندثرين ويطويه الزمن مع الغمورين ولم يبق لدينا ما يشير اليه.. ويدلنا عليه. سوى شيئين. المكتبة القيمة. والكتاب الذى أرخ به طرابلس الغرب.. السمى بالمنهل العذب.. ومكتبة أحمد النائب كانت من أكبر المكاتب فى شمال افريقيه وكانت تضاهى مكتبة الاحمدين.. أحمد تيمور.. وأحمد زكى شيخ العروبة فى مصر، ومكتبة الكتانى فى مراكش، فيها كل ثمين قيم.. ومرجع مفيد ومصادر طيبة.. ومخطوطات نادرة.. ورقاع شرقيه وغربيه وأندلسيه ولكنها مع الاسف .. لعبت بها حوادث الزمان فبعثرت وبيعت بعد وفاته فى المزاد العلنى « بالهيل والهيلمان » بالكوم والاقه وضاعت كنوز اندلسيه وراث مغربى ومؤلفات طرابلسيه وقصائد لشعراء مواطنين وامهات من الكتب.. وما بقى منها الا النزر اليسير ولكنه مع ضالته وقلته يدل على قيمة المكتبة وبالتالى على عقلية صاحبها ويعطينا جانبا من حياة النائب . وتحل المكتبة او البقية اليسيره من المكتبة ركنا فى مكتبة الاوقاف الطرابلسية

ونرجو من صديقنا الشاعر أحمد قنابه الاهتمام بها ونفض الغبار عن رفوفها وترتيبها ترتيبا لائقا. وتذكرنا هذه المكتبة الصامتة بمكاتب مهملة مبعثرة كمكتبة جامع الشيخ بالاسكندرية ومكتبة رواق المغاربة بالازهر. ايها الغطاريف الميامن.. شرع احمد النائب فى جمع تاريخه بطرابلس وهو شاب شغوف بالادب. نهمة فى الاطلاع. وكتب بعضا منه فى استامبول وطبعه برخصة من نظارة المعارف التركية فى مطبعة جمال افندى منذ ما يزيد عن ٥٧ سنة ورجع الى مراجع كثيرة ومصادر عديدة، ويدلنا الكتاب على أنه كان مولعا بتاريخ بلاده طرابلس، يبحث عن المخطوطات وينقب عن النادرآت. ويعكف على دراسة الرحلات وكتب الجغرافيا واخبار الغزوات والفتوحات.. ياخذ من هنا خبرا.. ويقتطع من هنا قطعة.. ومن هناك حديثا.. ثم يضم ذلك ويجمعه ليعطينا صورة عن تاريخ طرابلس الغرب. ويكون من هاتيك القطرات المختلفة منهلا عذبا.. وطبعا كان أكثر اعتماده على الرحلات وهى خير مرجع ومعين للمؤرخ لانها صور من المشاهدات واحاديث من الواقع. والرحالون دائما مرجع خصب وان كان كثير منهم يشطح ويبالغ وحيانا يهرف ويسرف ويسف، مثل التيجانى والعايشى فى بعض الاخبار والحكايات.. ومن اكثر الاعتمادات كانت رحلة التيجانى سنة ٧٠٦هـ. وهى اوفى مرجع عن طرابلس فى عصرها ذاك.

...واحسن المراجع التى اعتمد عليها النائب فى تاريخه رحلة التيجانى ومكت فى طرابلس ما يقرب من عامين ولم يوافقه التوفيق للحج وكأنه المعنى بقول أبى بكر ابن بلال.
رسى فرسى فى سيده ولوانه

خلى من الاوزار سار ولم يرس

سعى سعى طماح لا بعد غاية

فكانت له دار المقام طرابلس

وهي اوفى المراجع عن طرابلس المسلمة وعلمائها واثارها وما زالت مخطوطة نادرة وقد بلغنى انها طبعت في تونس طبعة علمية بمناسبة ذكرى تاريخية ثم صادرتها السلطات هناك والعايشي قد طبعت رحلته في الجزائر بخط مغربي . واخذ أيضا عن «العبدري» وطبعا يقصد العبدري الرحالة المغربي الذي لم يذم طرابلس ، ويلاحظ هنا ان النائب لم يشير أيضا الى ذم العبدري الشرقي لاهل طرابلس وهذا يوكد لنا ان العبدري الذي ذم طرابلس ورد عليه ابن عبد الدائم غير العبدري الرحالة المغربي الذي اعتمد عليه النائب في تاريخه .. واعتمد ايضا على «العايشي» وخاصة في أخبار المتصوفة والتدروشة ، ورحلة «البكري» ثم الرحلة «الظافرية» للشيخ ظافر المدني ولا زالت رحلته اسفارا عدة مخطوطة في «استامبول» ومن المراجع التي يشير اليها كتاب «معالم الايمان» في اخبار تونس والقيروان لابي يزيد الدباغ وقد طبع في تونس ، وايضا «خلاصة الاثر» والاستقصا في اخبار المغرب الاقصى .. والدارس لكتاب النائب يدهشه كثرة اطلاعه في هذه المادة وغزارة معلوماته في معرفة القبائل وهذا فن جليل كانت له عند العرب مكانة وعلماء نسابون ومؤلفات وكان له ذاتية وخاصية ورغم اعتماد فن «الانساب» على التاريخ الا انه ذا طابع وخصائص يقوم بها مستقلا كفن وعلم والفت فيه الرسائل الطوال والبحوث العميقة والمعاجم المطبوعة المدعمة وقد برهن النائب على دراسة مستفيضة للانساب والقبائل عند كلامه على دخول العرب من بني «هلال وسليم» أرض افريقية فذكر أنساب هــولاء من عهد «اسماعيل» وعهد ربعة ومضر .. وذكر بطون «عـوف» «ذـيـهـاب» وزعب حتى وصل بنا الى «الاصابعة» و «النوائل» و «المحاميد» و «الجواري» و «السوالم» واولاد هـولاء وأولئك وأطال واطنبت وتشعب واكثر .. مما يدل على عمق معرفته بانساب قطر طرابلس وما فيه من بطون وافخاذ وقبائل

وعشائر وقد استطاع ان يرجع كلا الى اصله وكل غصن الى منبته ... وعندما اراد النائب طبع كتابه وتقديمه للناس ذهب الى استاذ الشيخ «فالح الظاهري» لينظر فيه ويقدم له بمقدمة ويعلق عليه .. وكان هذا الشيخ الجليل من ابناء الحجاز وقد أقام بطرابلس وبرقة مدة في زمن شبابه وعرف اخبار البلاد الليبية واحوالها وأتصل برجالها واصبح للشيخ «فالح الظاهري» تلامذة واصدقاء كما حدث هو عن نفسه بهذه العبارة اللطيفة «من جبل نفوسة الى اسكندرية المحروسة» . وقد رحل هذا الشيخ الى طرابلس من الاراضى المقدسة سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م مع السيد السنوسى الكبير رضى الله عنه .. وقد تم التعارف مع السيد السنوسى الكبير فى المدينة المنورة سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م فاعجب به السيد واخذه معه الى ليبيا وكان من حسنات الامام السنوسى .. وكان استاذا لكثير من شباب البلاد ومنهم صاحبنا احمد النائب واطلع على كتابه «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» وعلق عليه .. وهمش له .. واصلحه .. ويظهر من تعليقاته وتهميشاته انه كان فى «الاستانة» منذ تقديم الكتاب للطبع سنة ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م. ويظهر ان الشيخ وجد فى كتاب تلميذه اختلالا فى التركيب واعتلالا فى اللغة .. وتموجا فى الاسلوب واضطرابا فى التعبير حتى ليكاد أن ينزل الى العامية وكان الكتاب فى صورته الاولى يؤذى سامع سيبويه ويضعف اضعاف الاضعى ونفوطيه ، فاصلحه الشيخ وادخله فى بوتقة النحو والصرف وقد شهد بهذا المؤلف فى تقديم كتابه وأنت اذا طالعت كتاب النائب تلاحظ حبه للعثمانيين ودفاعه عنهم الى درجة التملق مع انه كان فى محاسنه الخاصة وفى ندواته الادبية وفى (صالونه) ينتقد السلطنة العثمانية وسلاطين ذلك الزمن انتقادا مرابلا حدث معاصروه انه كان فى الاستانة يظهر الامتعاض والانتقاد ومن سلطة لسانه عين فى مجلس بلدية اسطامبول براتب قدره ٢٥ جنيتها ذهبها كما عين بعض المغضوب عليهم مثل قدارة من طرابلس وبشالة من فزان ..

أيها الغطاريف الميامين .. يعطينا النائب في كتابه صورا من مراحل التاريخ التي مرت بها هذه البلاد في العصور الاسلامية حتى ولاية (أحمد راسم) ولكن بصورة موجزة متقطعة ، وايضا يعطينا صورة خاطفة عن الشعراء الذين اشتاقوا الى طرابلس الغرب عند هجرتهم واثبت قصيدة لاديب ازهرى طرابلسي .. احمد بن حسين البهلول صور فيها مدينة طرابلس تصويرا شيقا وافرغ شوقه ببلاغة وبيان مبدع بالنسبة لاساليب ذلك العصر .. ولولا اثباته لهذه القصيدة وتلك القطعة الادبية لضاعت كما ضاع مع الاسف تراث كثير وشعر غير قليل وأدب فياض وأثر تائه وقصيدة مفيد (البهلول) تبلغ ٢٣ بيتا وأولها

طرابلس الغرا ترا لى عودة اليك

وهل يدنو الذى كان قد ذهب ؟

ومع ان النائب اثبت هذه القصيدة الا انه لم يثبت القصيدة الرائعة التي شرحها (ابن غلبون) كما انه لم يترجم لاهمدين عبد الدائم الانصارى .. اهمل شعره وترجمته مع انه من سلالته ويعتبر الشاعر من اجداد المؤرخ بل أنه نقل عنه خبرا في ترجمته سعيد الهبرى ص (٢٥٧) وهناك كتاب اخر الفه النائب (شيم البارقي في ديم المهارق) ولا تهولكم تضاريس الحروف وتلاطم السجعات فهكذا كان اسلوب عصره الذي عاش فيه .. ونقول ان (شيم البارقي) من ادب الخواطر وفيه تراجم عديدة وقد ضاع الكتاب في خضم الايام والنائب في تراجمه يبدأ بالوفاة فيقول في سنة كذا توفي فلان وهذه طريقة الاقدمين ومن هذا المنهج كان وفيات الاعيان لابن خلكان .. ولا غرابة في هذا لان الشخصية والعلم عندما تبرز للوجود يولد فردا عاديا والعباقرة وأهل العلم والفن غالبا يكونون من أهل الغمور .. لا يسأل عنهم في بدء حياتهم ولا يعنى بهم في أول وجودهم .. ولكن بعد ذلك يشار اليهم ويهتم باخبارهم

وحياتهم الخاصة والعامة فالنائب اذا لا يلام فى استهلال الترجمة بالوفاة .. لان المنهل العذب كان على نمط التواريخ ومناهج القدامى .. لا على منهج التراجم ودراسة الشخصيات بأسلوب العصر الحديث والفن المدروس. ويقع الكتاب فى ٣٩٥ صفحة .. وله جزء ثان ولكنه لم ير النور ولم يدفع الى المطبعة وكان سطورا او اوراقا ضاعت وبحثنا طويلا فلم نعثر له على اثر او بقية ... وكانت ابنة النائب فى سورية وسالها بعض الفضلاء عن بقية تراث والدها فلم يفز بطائل او جواب كاف ... والجزء الثانى المفقود مكمل لعصور واطوار طرابلس حتى سنى الاحتلال البائد البغيض .. وقد كتب النائب فى جزئه الاول الذى بين ايدينا عن الحكام والولاء وحركات التمرد والحركات الاستقلالية وترجم لما يقرب من ٧٠ عالما وأديبا وشاعرا وصوفيا ومتدروشا وقائدا وفاضلا وترجم للاسام محمد بن على السنوسى الكبير ترجمة وافية لعلها الترجمة الاولى التى كتبت عنه .

بعد هذا العرض الموجز السريع ، والصورة التى حاولنا ابراز ملامحها نجد جانبا هاما نستطيع ان نجول فيه جولة قصيرة حتى نبرز شيئا من ملامح قد تخفى على بعض الناس ، هناك مقارنات ومفارقات بين ابن غلبون والنائب هناك اوجه تشابه وأوجه تفارق ، ان صح هذا التعبير وسلمت هذه العبارة

■ ابن غلبون والنائب .. كلاهما ينحدر من اصل اندلسى .. وكلاهما من عائلة كان لها فضل وتراث فى المجتمع الذى عاشت فيه .. وان كانت عائلة ابن غلبون ما زالت سلالتها وأحفادها هنا وهناك وعائلة النائب تكاد أن تنقرض علما وأعلاما اسماء واشخاصا .. وكم من عائلات كريمات وأصول كرائم انقرضت سنة الحياة ومسوح الزمان

■ كلاهما متأثر بالسجع فى عنوان كتابه فابن غلبون يسمى شرحه على انقصيدة « التذكار » .. فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار .. والنائب .. يطلق

على كتابه لقبا فيه عذوبة « المنهل العذب » ، فى تاريخ طرابلس الغرب » .
وما هو جدير بالملاحظة على الكتابين ان كلاهما لم يطبع كما هو كامل
الصفحات وان كان ابن غلبون كتابه خرج الى الناس مطبوعا كاملا من ناحية
التاريخ واخبار البلاد فقد حذف الطابع كما اشرنا فصولا او خاتمة الكتاب تتعلق
بالرباط والثغور والجهاد والاداب السلطانية وما يلزم لادارة الحكم وحذف هذه
الخاتمة لم يجن على الكتاب من جهة التاريخ والحوادث ولكنه طبع غير كامل
السطور وموجود فى النسخة الخطية .. ومن امانة الطابع انه اشار الى حذفه ..
اما النائب فهو اسوأ حظا فى كتابه فقد استاصلت الرقابة منه ثلاثة ارباع الكتاب
وضاع المحذوف كما ضاع الجزء الثانى ... وخلاصة المقارنة ان الكتابين لم
يخرجا لنا كما سطرهما المؤلفان .

كلاهما مقصر فى عدم ترجمة الشاعر احمد عبد الدائم الانصارى وابن غلبون
اكثر تقصيرا لانه اعتمد فى كتابه على قصيدته .

وهل كان سبب التأليف الا شرح هذه القصيدة ؟ .. واهمل ترجمة الشاعر بل
حتى والاشارة اليه .

والنائب مقصر جدا فى عدم ترجمة ابن غلبون بل حتى الاشارة اليه
هناك قرابة بين الانصارى الشاعر والنائب فمؤلف « الارشاد » لمعرفة الاجداد
حفيد الشاعر وكان ايضا جدا للنائب المؤرخ

الف ابن غلبون مؤلفات ضاعت وان كانت من فن آخر وأيضا النائب لم
يطبع غير كتابه هذا

ترجم ابن غلبون لاختيه واخر من أسرته وترجم النائب لعدد من أجداده
واصول أسرته كما سبقت اليه الاشارة

كان النائب شديد الميل فى الظاهر لادارة عصره وحكام زمنه وكان ابن غلبون

شديد الميل والتحيز لآحمد باشا القره مانلى بصورة واضحة فى الكتاب وكان من المقرين اليه
كـلاهما وقع فى خطأ عندما صدقا بعض الاساطير والاباطيل المختلقة وخاصة قصة
«السكين والدلاع» التى وقعت لبحارة او تجار أسبان مع تاجر طرابلسى والقصة
اسطورة مشهورة وقد تورط فيها مؤرخون عرب ذكرها النائب فى صفحة ١٨٥
وابن غلبون فى صفحة ٩٢ - تظهر الامانة فى النقل فى ثنايا الكتابين امانة وان
كان ينقصهما أحيانا تصفية وتلوين وتشجيب .

وان كان ابن غلبون اكثر من النائب دقة وخبرة وحسن عرض واتساق
سوق وتظهر فى كتابة ابن غلبون مادة أكثر واسلوب ادق وأعمق وأبن غلبون
كان عالما من علماء زمنه أما النائب فهو اديب مثقف على طراز عهده
كان لابن غلبون مجمع علمى أوندوة علمية فيها علماء وادباء وكان لآحمد
ندوة أدبية او «صالون يجتمع فيه الوجهاء والادباء ويتناولون أحاديث الحياة والمجتمع
انقرضت مثل هذه الندوات فى العصر الحديث .

كلاهما دفعه حب وطنه لتسجيل الادوار التى مرت بها البلاد ولولا هذان
الكتابان كانت الفترة الاسلامية العربية تكتنفهما المجهل والغموض فى تاريخ هذا
البلد لولا النائب وابن غلبون كانت تلك الفترة قاعا يبابا يتحير امامها المتعرض لتاريخ
هذا البلد ولولاهما لكثير الخيال والتخمين

وكما ان اللغوين والنحاة عالة على كتاب سيبويه ومتاخرى الفقهاء عالة
على كتاب خليل .. فان مؤرخى طرابلس فى عصورها الاسلامية وخاصة مسا قبل
الاحتلال البائد هم عالة على كتاب ابن غلبون وكتاب النائب كلهم يستندون
وينهلون يغترفون ومهما تطاول بهم الادعاء ولو بلغت ادعاءاتهم عنان السماء
فان مرجع المراجع فى تاريخ طرابلس فى الحقبة الاسلامية العربية كتابان التذكـار
والمنهل .. مؤلفان .. ابن غلبون والنائب ولكن من المؤرخين من يودى حـقـ

الامانة العلمية فيشير ومنهم من يسرق ومنهم من ينقل من غير دقة
وعلى كل حال . . كلهم اجمعون اکتعون اصبعون عالة على هذين الكتابين . .
أيها الغطاريف الميامين

وقبل ان أغادر مكاني أحب أن أقدم أقتراحا الى نظارة المعارف ووزارة المعارف
والى المهتمين بالشؤون العلمية الفكرية حبذا لو أطلق اسم ابن غلبون والنائب
على بعض المدارس تخليدا لذكرهما واعترافا بفضلهما واشادة بمجهودهما الادبي..
لما ذا لم نطلق على بعض المدارس هذه الاسماء الخالدة فى التاريخ الادبي لهذا
البلد هناك فى كل بلاد العالم يطلقون اسماء العلماء والادباء وأهل الفكر على
الميادين والشوارع والمدارس والمؤسسات والمنظمات تخليدا للفكر وتقديرًا للادب
والوطن ،، وانى شاكر لكم فى البدء والختام على انصاتكم وشاكر ادارة المدرسة على
تهيئتها هذه الفرصة وسلام عليكم ورحمة الله أيها الغطاريف الميامين .

على بن عبد الصادق
المؤلف الباحث والفقيه المصلح

١

عَلَى بَنِ عَبْدِ الْقَيْسِ

من علماء طرابلس في القرن الثاني عشر الهجري ، .. من اساتذة العهد
(القرمانلي) . . درس في مدينة طرابلس ولم تكن له رحلة للخارج . برع في
الفقه وكتب فيه عدة مولفات ، . . وشرح بعض الرسائل والمنظومات . وكان
يكبر البدع والمستنكرات .

ووقعت بينه وبين المبتدعة مصاولات وحروب اثارها عليهم عندما راهم
يستترقون بالدين . . . ويدخلون في الشرع عادات وتقاليد وطقوسا ما انزل الله
بها من سلطان ، . . وانبرى لهم مفندا الخرافات مبينا حقيقة الشرع كما ارادها الله
وكما نصت عليه كتب السنة الصحيحة ، . . فكان اهل البدع يكرهون مجلسه
وكانوا يؤلبون عليه العامة ولكنه صمد لهم . وسار في طريقه متحرر الفكر مطمئن
الخاطر لا يرى منكرا الا بدله ولا بدعة الا انكرها ، . . ولا خرافة تلصق بالدين
الا ثار عليها . وبين الحق من الباطل . والصواب من الخطأ .

وتصوركم يعاني في عصر ارتزق الناس فيه كثيرا باسم الدين وفي ازمة
انتشر فيها كثير من الاقاويل والباطيل .

ينحدر هذا الشيخ من عرب كرام وهو من قبيلة (العبادية) من سلالة
(بنى سليم) . . . كان جده الاكبر استوطن فزان . واناخت عشيرته (بالخصراء)

من ارض فزان هناك ثم انتقلت الاسرة الى ساحل طرابلس . . . ومنها تفرعت فروع
واندمجت فى هذه البقعة بالاختلاط والمصاهرة ، . . . ومنهم توجد الى الان عائلات
فى طرابلس المدينة والساحل وكان من اخواله اولاد «بن حمودة» ، وان اردت
الاسم واللقب كاملا . . . ابو الحسن على بن الصادق بن حمودة بن احمد ابن عبد
الصادق العبادى . ويطلقون عليه (الجبالى)

ولهذه التسمية قصة يذكرها معاصرون لوالده فقد زعموا ان جدة عبد الصادق
كأث عسرة الولادة . لا تنجب بسهولة . ولا يعيش لها الاولاد فذهب زوجها الى
الشيخ «احمد زروق» يعرض عليه هذه الحالة الشاذة . ويخاف ان يذهب نسله .
ولا يخلف ذرية من بعده . . . فطمأئنه احمد زروق ودعا له وان زوجته ستلد له
(جبلا) . . . كانت هذه مجرد دعوة واطمئنانا لخاطر الرجل الخائف المضطر المضطرب
وكان ان انجب ولدا . . . وتذكر الرجل شكواه وخوفه فاطلق على ولده
(الجبالى) ولا تزال هذه النسبة فى ولد عبد الصادق بالساحل وطرابلس الى الان
وقصدنا من سرد القصة هو تحقيق هذه الكلمة وذلك اللقب وتلك النسبة لا
غيره . . . اما صحة القصة وعدم صحتها وما يتصل بها فهذا ليس من شأننا هنا .
اغرم بالفقه والتوحيد يكتب مجلداته فى عصر لم تنتشر فيه الطباعة ، . . .
فكان يقضى سواد الليل فى التعبير والتسطير والنقل والمقارنة بين الاصول
والامهات . . . وكان خطه غير ردىء ولا كثير التعاريج والتعويض . . . وقد
استطعت قراءة خطه بسهولة ، . . . ولا تزال بعض مخطوطاته فى مكاتب طرابلس
وعند بعض الافاضل وعلى الرغم من انه خصم لدود لاهل البدع والمداحين ومن
يدخلون الخرافات فى مجالس الذكر الا انه كان صوفيا صادق التصوف . زاهدا
صادق التعفف ، . . . يدرس التصوف فى اصوله ويسير على منهاج الكتاب المقدس
والسنة الصحيحة . . . وله مقالات فى (كلام القوم) . وهذه عبارة يقصد بها

المتقدمون الصوفية والاصطلاحات والاشعار التي لها طابع خاص واتجاه مميز بدون ان يكون للبدع والمكرات دخل في جوهر الدين ، وحقيقة الشرع الشريف . . . وقد نظم على بن عبد الصادق في عيوب النفس منظومة حفظها طلاب عصره ، ورددها المتذوقون للفن الصوفي ، ثم شرحها الناظم بنفسه شرحين . صغيرا وكبيرا ، . . ولولا انها رسالة اوجدت في وقته صدق ولقيت اعجابا لما انبرى لشرح منظومته مرتين ، ونظم ايضا اصول الطريقة المنسوبة للزروق وقد اطلق على ملزومته (هداية العبيد الى طريق المبتغى الحميد) . ثم ايضا انبرى لشرحها . وتفصيل محتوياتها - ويلاحظ من هذا انه بجانب الدراسة الفقهية والتدريس كان مولعا بالنظم وشرح المنظومات . ولا اقول الشعرفان من الماحلة اطلاق الشعر على المنظومات العلمية والاصطلاحات المعروفة ، والا عددنا الفية ابن مالك من طراز الشعر . . . وعلى بن عبد الصادق يشرح ويعلق على منظومة (عبد الغنى الوليدى الفاسى) التي كانت تدور حول موضوع ما يجب عينا وما يجب كفاية على المكلف ، ولعله قصد بالنظم تبسيط المعانى وسهولة الحفظ فقد كان اولئك القوم يحفظون كل الاصطلاحات والحقائق عن طريق النظم . ويؤلف رجل مواطن منظومة في التوحيد فيسارع على عبد الصادق الى نظمها واعنى بها رسالة - محمد الصالح الاوجلى . . . هذه منظومات في الفقه والتصوف والتوحيد . . .

ولعل من الغريب المستطرف ان اشير الى منظومة لا تخطر بالبال . وليست من ميدان العلماء الفقهاء في ذلك الاوان . .

هل تصدق ان عبد الصادق يدرس الاقتصاد . . يدرس الثروة . . . يدرس كيفية المحافظة على تنمية الاموال ؟ ، . لا تعجب فانهم وهبوا كل اوقاتهم للدراسة وان كانت باساليب زمنهم ومقتضى احوالهم . . الفقيه المدرس في الجامع

ينظم رسالة لطيفة فى اسباب الغنى . وتنمية الثروة... اى فى فن الاقتصاد.. وهذه من طرائف رسائله... اما مجهوده الاكبر فقد صرفه الى الفقه المالكي. كما اشرنا فيه شرح واختصر، ونظم وكتب، وحقق... شرح (الصغرى) للسوسى. شرحا كبيرا وشرحا صغيرا، ولعل على عبد الصادق يقصد بهذا الا يحرم الطلاب المبتدئين فقدم رسالة مختصرة، وللكبار الدارسين قدم رسالة مطبئه

وشرح ايضا المنظومة المشهورة للفقيه عبد الواحد بن عاشر وهى فى الفقه تحفظ وتروى وبها يستشهد مثل الفقيه ابن مالك عند النحاة.. واختصر وشرح (الرسالة) لابي زيد القيروانى وقد لقيت كتب ابي زيد مجالا واقبالا فى المغرب وليبيا ومصر ولا تزال تدرس كتب ابي زيد القيروانى فى الازهر بمصر وجامع الزيتونه فى تونس وجامع القرويين فى مراكش وفى مساجد ليبيا... وفى التوحيد الف رسائل ومال الى اختصار والنظم كعاداته،... وقد اشرنا الى ثورته على اهل البدع والمرتزقة باسم الدين فانبرى لهم فى مجالسه وحلقاتهم ومجتمعاتهم وخطب ضدهم ووضح فى دروسه خطر هؤلاء المبتدعة على الشريعة ولم يكتف بالدرس والخطابة، والنصح والارشاد - بل لجأ الى ما هو اكثر فائدة، واعم نفعا. الى التاليف والرد عليهم فى رسالة تظل باقية بعده مشيرة الى مجهوده وجهاده فى ميدان الاصلاح الاجتماعى والدينى.

كتب على بن عبد الصادق رسالة فند فيها البدع والمراءات اطلق عليها (تحفة المريد فى الرد على فقراء الزمان) دلت على غيرة من اجل الدين - وفقراء الزمان.. يقصد بهم الذين يلبسون الخرق ويرتدون المرقعات ويتركون العمل والاكتساب ويشطحون بشطحات تخالف الكتاب والسنة... ويأتون من المنكر اصنافا والوانا وهؤلاء منهم فى كل زمن وكل بلد طوائف وطوائف... بلغت مؤلفات على بن عبد الصادق اكثر من عشرين مؤلفا كلها مخطوطات

واكثرها فى هذا الميدان الذى ظل يكافح فيه طيلة عمره . . . ولا تخلو مؤلفاته من نقل ضعيف او رأى نقله مسرعا . . . - وقد لفت نظره الى هذا . ونقده عالم معاصره المؤرخ (ابن غلبون المصراتى) فقد كلمه فى هذا ونقده فى بعض كتبه التى جمع فيها عبد الصادق بعض الاقاويل والاراء ما كان احراه لو تثبت قليلا وغربل وقابل وتمعن واليك عبارة ابن غلبون فى هذا الصدد عند الاشارة الى هذه الشطحة العلمية (يميل لجمع المسائل دون تحرير) فاجاب ابن عبد الصادق بان قصده من هذا (حفظ الدين وثقل اقاويل العلماء) . . ، فما كان من ابن غلبون الناقد المعاصره الا ان دعا له واثنى عليه ومن عبارته (فالله يتقبل عمله ، ويحسن ثوابه) .

لم اعثر على تاريخ ميلاده فلم يكن الاوائل يعنون كثيرا بحفظ تاريخ الميلاد . . . وفى يوم الاثنين بعد الظهر ٢٢ ربيع الاول سنة ١١٣٨ هـ الموافق ١٧٢٥ م انتقل الى دار الآخرة وخيرجت طرابلس لتوديع عالم فاضل وغيور مصلح .

أحمد عبد الدائم الانصارى

الاديب ، الشاعر ، المجرب

∫

أحمد بن محمد الدائم الانصاري

نتعرض هنا لأديب مغمور، وشاعر رقيق الشعور، ضاع تراثه وغمرتة امواج الحادثات، فلم نعثّر من أثره وشعره الا على النذر اليسر من ابيات موجزة وكلمات مقتضبة، ثم قصيدة مشهورة مشروحة مطبوعة .. وماعدا تلك التتف وهاتيك القصيدة لانجد الظلال الكافية لرسم الصورة ذات الاضواء والزوايا..، والقصيدة هي أهم ركزة نركز عليها.. ورب قصيدة او أبيات تبعث سوات الشاعر ورب وريقات وكلمات تبعث الانفاس في الاجداث المندثرة ... تلك القصيدة التي مدح بها طرابلس موطن آبائه واجداده قد حفظت اسمه من الضياع ولكنها لم تحفظ الرسم كاملا .. وقد عارض بها رجلا ذم طرابلس وذكر مثالبها وأبرز قبائرها..، وكانت بسبب مشادة عنيفة بين ذلك الرجل الرحالة «العبدري» وبين قاض طرابلس «ابن عبد السيد» اثارت حظية الضيف الراحل فشنع وقبح..، مما جعل الشاعر أحمد بن عبد الدائم الانصاري ينبرى له مدافعا عن وطنه ذائدا عن بلاده مسجلا الاثار ومعددا المآثر مبينا الفضل والمخاسن..، وقد حفظ ابناء طرابلس الغرب قصيدة الاديب الانصاري ولهجوا بها ورأوا فيها حدثا يذكر وحديثا ينشر وشعرا يحفظ..، وقد وجد فيها العالم المؤرخ «ابن غلبون» شيئا يستحق

الشرح والتعليق والاضافة فجعلها ركزة البيت فى كتابه المعتمد المشهور
«التذكار» وقد قرأت القصيدة مرارا وأنا طالب فى الجامع الازهر فوجدت فيها
احساس المواطن الغيور والدفاع الصادق

وفى القصيدة شاعرية بالنسبة لذلك العصر شاعرية جديرة بالنقد والحفظ
لانها غدت مادة من مواد التايخ ولبنة فى صرح التطور الفكرى الذى
مر على طرابلس الغرب ..، فالقصيدة التى نظمها احمد بن عبد الدائم الانصارى
تعد من التراث الادبى النادر، ولو أن الايام جادت لنا بامثال تلك المقاطع
لوجدنا ملامح من شعراء ذلك الجيل..، ولكن الايام فى حكمها قاسية وفى
تضييعها لتراث الفكر ذات تصرفات مؤلمة غريبة .. ولندع الحديث عن
القصيدة الى أسطر مقبلة ولنحاول الكشف والتنقيب عن الشاعر نفسه وحياته
التى قضاهما فى بلده طرابلس الغرب ..

ولقد سألت كثيرا وبحثت طويلا عن ترجمة الناظم فلم أجد شيئا
يشفى الغليل ويرضى القلم الجائع او كما يعبر الاقدمون، يطفى غلة
الصادى..، وكان يطلق عليه «أديب» ومن هذا الاطلاق نفهم انه كان من
من الذين يعنون بالدراسة الشعرية حفظا ورواية وبناء ثم يعنون بالثقافة
اللغوية والاعبارية كما هى صفة الادباء فى ذلك العصر وماقبله من عصور
فقد كان من شرط الاديب ان يكون كثير الحفظ غزير الرواية جيد
النقل..، حسن الاستشهاد لطيف الاشارة، لطيف العبارة بجانب الانطباع على الياقة
والظرف والذكاء والالمية..، كانت هذه صفات منطبقة على شاعرنا أحمد بن عبد الدائم
الانصارى فقد شهد له معاصروه بهذه الخلال وتلك الصفات من حسن
خلق وتبذل معاملة فى المجتمع الذى كان يعيش فيه فلم يكن حقودا
ساخطا ولا جموحا مشاكسا ولا معريدا لاهيا، مع جودة فى الحفظ وضبط فى

الثقيل .. ومع كل هذه الصفات فقد كن يمتاز بالعكوف على «دراسة الحكمة»
 أو علوم الكيمياء والطبيعة والمحسّات فهو لا يكتفى بقراءة الشعر وحفظه
 وطرائف اللغة ونوادر الاخبار بل هو يفحص ويجرب و«يحاول» وليس فن
 «الحكمة» هنا مقصودا به حكمة القول وحكمة اللفظ بل هي ضرب من الصنعة
 والتجارب والعمل التجريبي ولو وجد أحمد بن عبد الدئم في عصرنا هذا لكان
 رجلا «عمليا» عاكفا في مصنعه وبين الاته التجريبية التي يقيس بها ويستنبط
 ويستخرج كما يصنع العلماء العمليون في عصر الكهرباء والذرة .. والعكوف
 على دراسة «الحكمة» تجد له في التراث الاسلامي مؤلفات مخطوطة وتجد
 في هذا المجال جهابذة من فطاحل العلم والفلسفة والادب .. وناهيك
 (بمسكويه) الفيلسوف الذي أهلكه البحث في استخراج الذهب من معادن
 مختلفة حتى كاد يقضى عليه البحث عن الذهب وقلب المعادن ويدفعه
 الى موكب الفلاكة والمفلوكين .. وكان ابن عبد الدائم يبحث في الخلائط
 والمواد وطبائع الاشياء وخصائص المعادن وطبقات الارض ودراسة «الجيولوجيا»
 ويصل من هذه المحاولات والتجارب الى أشياء مفيدة ولكنه لم يستطع أن
 يجده من يستفيد منها وكان هذا يغيظه ويحرقه حرقه العالم الغريب في
 محيطه ويأسف لهذا ويقول أحمد بن عبد الدائم عن نفسه ومبيننا المجتمع الذي
 كان يعيش فيه واعراض الناس عن تجاربه «لى معرفة بسبعين حكمة وعمري
 الان ما ينيف عن الخمسين سنة ولم يسألني أحدا من أهالي طرابلس عن
 واحدة منها»...، لك الله يا أيها العالم الذي أحرق انفاسه واضاع عمره في البحث
 عن طبائع الاشياء والتأمل في محراب الطبيعة حتى توصل الى فوائد لم يقدر
 لها الظهور ولم يساله الناس عنها..، لقد كان أحمد بن عبد الدئم الانصاري
 يشتغل بنفسه ويبحث بدافع من حسه راغبا تائقا للعلم من أجل العلم والبحث

من اجل البحث .. ثم يذكر لنا احمد بن عبد الدائم حكمة افوائد من التي استطاع ان يتوصل اليها ويستنبطها وايضا يستفيد منها عمليا .. أخراج الماء من الارض حتى يتصاعد الى فوق بغير عناء وكثير مشقة ..، وقد لاتعنى ايها القارى بهذه الفائدة كثيرا لانك تجد بجانبك الماء حلوا مستساغا فى صناييره ولكن لو رجعت قليلا الى عصر «بن عبد الدائم» ونظرت مشقة الحصول على الماء وطريقة نقله ووسائل حفره لوجدت كل ذلك شيئا صعبا وخاصة فى ارض مثل ارض طرابلس قد يكون الحصول على الماء فيها يتطلب كل الجهد والمحاولة وكان بن عبد الدائم بصنيعه واستنباطاته يستطيع اخراج الماء بلامضاحات ولاآلات ضخمة ولاشك انه توصل الى هذا بعد كد فكر واجهد نظر وتجارب تفشل حينها وتصل الى مرتبة النجاح اخيرا

واستخراج الماء من الارض يدلنا على مدى توجيه فكره وسداد بحثه فهو لا يستعمل «حكمته» ودراسته فى غير طائل وفى استخراج الذهب الابريز كما يصنع الباحثون عن الحكمة فى عصور مضت .. ولنترك هذا الجانب العلمى ونلاحظ ان أحمد ابن عبد الدائم كان صاحب خط جيد جميل رغم ان أهل الشمال الافريقى اشتهروا بخطوطهم الرديئة وحروفهم الملتوية وتخطيطهم المنعرجة المتسرعة .. الا اننا نجد فى أدباء طرابلس الغرب من حسن خطه وتجوّد تخطيطه مثل العالم اللغوى (ابى اسحاق الاجدابى) كما اشرنا فى ترجمته وايضا الشاعر احمد بن عبد الدائم كان حسن الخط جيد التسطير حتى انهم زعموا انه (اخترع) طريقة فى الخط الجيد انفرد بها .. هكذا زعموا وان كان هذا الحكم لا يمكن ان نقبله بدون تحفظ لاننا أولا وقبل كل شئ لم نعثر على رقعة من خطه او أسطر من تخطيطه وقد يكون مرجع رأى معاصريه فى خطه انه لم يكن معروفا فى اوساطهم وبلدهم لانه مثل خطوط المشارقة فاعتقدوا أنه اخترع طريقة جديدة واستنبط وهو المشهور بينهم

بالاستنباط والتجديد..، وعلى كلا الحالين سواء كان (مخترعا) لخط جديد او (مقلدا)
 خطوط المشاركة فانه بشهادة معاصريه كان حسن الخط أنيق الحرف صاحب جودة
 واتقان..، وهذا بلا شك يدل على ذوق سليم وتنظيم وعناية، ومن استعراضنا لحياته
 ندرك انه كان شاعرا ينظم وخطاطا يجود وباحثا يجرب ومستنبطا لبعض الفوائد
 وليس هذا فقط بل كان شيخا عالما يشارك فى البحث العلمى الفقهى كما يشارك
 فى البحث (التجريبي) المادى .. ويتعرض لاجوبة السائلين فى شؤون دينهم فقد
 كان فى عصره يوجد فى طرابلس علماء اجلاء يدرسون الفقه الاسلامى ودقائق
 التشريع وكانت هناك نهضة او بوادر نهضة وان كانت محدودة الثقافة مندثرة
 المعالم الا انها حركة ونشاط فكري وتدل على ذلك المدارس الدينية وأسماء الاعلام
 والفقهاء الذين تناثروا فى تاريخ طرابلس الغرب ثم قد تجد الخبر او الحادثة الصغيرة
 منزويا فى بعض المخطوطات الا انه يدل على اشياء كثيرة ويشير الى حقائق عدة
 ومن هذا القبيل سؤال أبناء (جزيرة جربة) لعلماء طرابلس فقد أرسل أهل «جربة»
 يسألون علماء طرابلس عن مسائل شرعية وأحوال دينية ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة
 ان أهل (جربة) لم يسألوا علماء تونس وعندهم جامع الزيتونة يوم-وج بالعلم
 والعلماء وهم أقرب الى تونس علاقة وموطنا وايضا لم يسألوا علماء مصر وعندهم
 منارة الاسلام وقبله الشريعة .. الجامع الازهر .. انما اختاروا لسؤالهم علماء طرابلس
 الغرب وهذا يدل على ازدهار الحركة العلمية الفقهية فى طرابلس من ناحية ويدل
 أيضا على مشاركة أحمد ابن عبد الدائم الانصارى فى تلك الحركة فقد ساهم
 واشترك فى الجواب الشرعى فى أبيات نظمها وارسلها بصورة جواب الى أهل
 (جربة) وأن عز علينا منال هذه الابيات الا أن صداها بقى مشيرا الى مدى مساهمته
 العلمية وكانت أجوبة عبد الدائم وقتواه موجودة فى المتناول الى عهد ليس بالبعيد
 وأيضا جوابه بالشعر يدلنا على انه كان له مقطوعات اخرى وليس من المقبول

انه اكتفى فى حياته الطويلة بنظم (قصيدة) واحدة التى سنتعرض لها بعد قليل وايضا هو متأثر رغم محاولته التجديد بمدارس الاقدمين فى معالجة المسائل الشرعية عن طريق المقطوعات والاراجيز .. وكان الشاعر من سلالة (الاشراف) ومن (الانصار) يدلنا على هذا لقبه (الانصارى) وتوجد من سلالة الانصار عائلات واسر فى طرابلس انحدرت من الجزيرة العربية ومنهم من عاد من الاندلس بعد غروب شمسهم وأختفاء نجمه وتلاشى مجده وتبعثر آثاره واعلامه . ومن (الانصار) فى هذا البلد اخلاط وانساب ويوجد ولى يزار يدعى (سيدى الانصارى) وهل كان للشاعر رحلة للحج ؟ او مصر او تونس والجزائر ؟ ككثر علماء واعلام طرابلس ؟ ام ليس له رحلة ولم يغادر بلده مثل اللغوى (الاجادى) ؟ الجواب على هذا ضرب من التخمين ونوع من الاحتمال وفروعه لا فيفيد كثيرا فى صناعة التراجم وصياغتها ، وان كان كل هذا مناط تساؤل ونكتفى هنا بوضع علامات الاستفهام . كما هو غيور اشد الغيرة متأثر اعنف التأثر من الذى هجا طرابلس فانبرى له مدافعا فقد هز شعوره ايضا أن يرى اسطولا يهدد الشاطئ وأسطولا اجنبيا فى شعاره وشعوره وكان اسطولا «فرنسيا» واطهر تأثره فى ابيات نظمها وأرسلها الى سلطان (القسطنطينية) فهو يكره اشد الكره ان تدم بلاده كما يكره اشد الكره ان يغزو اسطول اجنبى شاطئا من شواطى المسلمين ويقال ان هجوم الاسطول كان سنة ١١٤ هـ . ١٧٢٧ م . ومن هذا نفهم عصر الشاعر وأنه كان معاصرا (لاحمد القره مانلى باشا) ولكن يثبت التاريخ ان (فرنسا) لم تغزو طرابلس باسطولها فكيف يستنجد أحمد ابن عبد الدائم من هذا الاسطول ؟ وكيف يستغيث بالقسطنطينية ؟ وكانت طرابلس الغرب فى وقته حرة لا تخضع لاسطول فرنسا .. بل لها اسطول بحرى ؟ ويظهر انه كانت هناك مجرد (محاولة) من اسطول فرنسا والمجاهولات فى التاريخ وفى الحوادث كثيرة ويظهر ايضا ان الاسطول المذكور هاجم شاطئا من شواطى المسلمين

وقلعة كانت تابعة للقسطنطينية فانبرى الشاعر غيورا مدافعا مستنجدا وبلاد الاسلام
كلها واحدة .. قد يكون هذا اقرب الى الواقع المقبول اما أن الابيات نظمت من
من أجل شاطي طرابلس فهو أمر يستبعده التاريخ وهذا هو الرأى الذى يمكن
الاعتماد عليه اذا اسندنا لأبيات الى احمد بن عبد الدائم أما اذا أصررنا على انها دفاعا
عن شاطي طرابلس فيجعلنا نشك فى نسبة الابيات اليه ويجعلنا نتطلب تخريجا اخر
لها والابيات لم نعر عليها كلها وانما الموجود منها يخاطب سلطان القسطنطينية .
يا واحدا ما فى البسيطة مثله

ملك الملوك بتاجه المتكلم

فاسمع لقصة من أذاك بحرقه

خذ ثاره من كل خصم مبطل

او ما يغظيك حال قلعتك التى

فازت بفتحك فى الزمان الاول

يا سيدى فانظر لحالة ضعفنا

من شيممة الاخيار الاتبلى

أنا لنرجو منك الثار ... الخ

وهذا يفهم منه ان الشاعر كان مهتما بشئون البلاد الاسلامية ولم يكن يعيش
فى غار او فى تلاعب الفاظ ويقضى اذبه فى التلاعب بالاحاجى والالغاز كما
يضمن شعراء كثيرون فى عصره .

... ولكن الشاعر فى الشطرة الاخيرة التى سقناها لم يكن منصفنا فى قوله
.. من شيممة الاخيار الاتبلى ... بل عكس هذا هو الواقع والحادث ... بل
من شيممة الاخيار وشيممة الفضلاء .. افرادا وشعوبا الابتلاء والامتحان
والاختبار .. ولعل الشطرة كانت على غير ما وصلتنا ولعلها كانت .. من شيممة

الاحيار ان تبدل الى لان الابتلاء محلك الرجال .. ومن العزائم .. ومن ابياتها
التي وصلت النوا

في يوم عيد المسلمين ونحرمهم

متقربين بفرحة للمدخل

عام اربعين مضت لهجرة احمد

من بعد مائة والف كمل

من هنا نعرف الفترة التي كان يعيش فيها الشاعر الاديب كما سبقت
الاشارة اليه. ١١٤هـ. ١٧٢٧م ومنها نفهم ايضا ان هجوم ذلك الاسطول على
ذلك الشاطئ كان يوم عيد الاضحى وأيضا لم يكن على شاطئ طرابلس
كما ظن كثير من فضلاء الباحثين والذين حاولوا الكشف عن شخصية احمد
بن عبد الدائم الانصارى ومنذ وقت غير بعيد كانت نسخة من كتيب صغير
يطلق عليه (الاجداد) وقد دججه قلم الشيخ عبد الكريم عبد الرحمن
الانصارى ويقال انه فرغ من كتابه في ٢٤ محرم ١٢١٢هـ - ١٧٩٧م وكان موجودا
عند المرحوم مدير الاوقاف اسماعيل كمالى .. ولكن لم اجده ولم اعثر عليه
وقد ضاع من جملة الآثار القيمة الضائعة .. ويهمننا من هذا كله ان
كتاب الاجداد اشار فيه مؤلفه الى سلسلة اجداده ومن جملتهم صاحبنا
الشاعر احمد بن عبد الدائم الانصارى وكان الجد الاول من ناحية الام
لصاحب كتاب الاجداد وعندما اراد الاديب الاستاذ احمد الفقى حسن ان
يكتب شيئا عن الانصارى لم يجد معتمدا ولا مستندا سوى هذا الكتيب
المفقود فنقل اسطورا مقتضبة وليتسه حفظ لنا هذا الكتاب كما حفظ بعض
الآثار والاشعار مشكورا ماجورا .. وقد سألته كثيرا فلم اجد منه ما يفيد
عن هذه الشخصية سوا ما نقله من اسطر ضئيلة لاتعطين الضوء الكافى ..

ومع ان ابن غلبون شرح قصيدته الا انه اهمل ترجمته كما سبق ان اشرت فى محاضرتى بمدرسة طرابلس الثانوية وايضا لا يكون كثير الغرابية بجانب اهمال (النائب) له مع أنه من اجداده فقد كان جده محمد بن عبد الكريم مؤلف (الاجداد) او الارشاد من سلالة احمد بن عبد الدائم من ناحية الام كم ذكرنا ..، اهمله ترجمة ودراسة وان أشار الى احمد بن عبد الدائم الانصارى اشارة خاطفة عابرة ونقل خبرا عنه وان كان النقل بالطبع ليس معناه المشافهة فى صفحة ٣٥٧ - عندما تعرض لترجمة الشيخ سعيد المبرى . «اخبار الشيخ احمد بن عبد الدائم الانصارى قال حدثنى الشيخ محمد بن سعيد عن سبب قدومه طرابلس» الخ وكان هذا الحديث الذى نقله الانصارى قبل سنة ١٠٩٣ هـ اى أن صاحبنا كان موجودا فى القرن الحادى عشر من اواخره وتشير الابيات التى يستنجد فيها بالقسطنطينية الى انه كان موجودا سنة ١١٤٠ هـ اى فى زمن احمد باشا القرهمانلى وبين ١٠٩٤ و ١١٤٠ سنة ١١٤٠ هـ الى ٤٧ عاما فكيف تقارن وتخرج الصواب من الروايتين مع ان النائب فى روايته صادق صدق القصيدة التى شرحت وحفظت ؟؟ ليس لنا مخرج صائب سوى ان احمد بن عبد الدائم الانصارى قد عمر طويلا كما حدث هو نفسه عند تحسره على ضياع حكمه وتجاريه بدون استعمال او تقدير وظل موجودا قبل سنة ١٠٩٣ هـ حتى عصر احمد القرهمانلى وقصيدته سنة ١١٤٠ هـ ومن هنا ايضا ندرك ان الشاعر قد نظم قصيدته التى عارض بها، (العبدى) وهو فى سن طاعنة ومرحلة من العمر متقدمة .. اما وجوده فى زمن احمد باشا فمن غير نزاع ولا احتمال لانه مدحه فى آخر القصيدة .. ومهما يكن من امر فهو مظلوم من طرف المؤرخين جميعا مروا عليه سرا سريعا ولم ياخذ حقه وكرم من الادباء المفكرين يظلمون ويهضمون احياء وأمواتا ..

والقصيدة تبتلىغ ٢٩ ،، بيتا بـأهـا بقـولـه ...

ارى زمنا قد جاء يقتنص المهـا

بـلا جارح والاسد فى فلـواتها

رأى القيص مبيضا بمزيلة الحمى

فقال كفانى انه من صفاتها

اتى اهله يهوى وبشر انه

بريقة من ظيائنها ومهاتها

وبعد ان وصف العبدرى من غير أن يذكر لقبه ولا اسمه ،، دافع عن بلده طرابلس وأخذ يسرد محاسنها ويعدد فضائلها ،، ومن الجدير بالملاحظة هنا ان عبدرى الانصارى غير العبدرى الرحالة لاسباب ذكرتها فيما سبق واضيف اليها سببا آخر اكثر ايضاحا وذلك ان الرحالة المغربى قد اثنى على طرابلس فى ثنائيا رحلته وهذا اكبر دليل يخطئ الذين زعموا انه العبدرى المغربى وذكر الانصارى حماية طرابلس لمن لجأ اليها وحالتها البحرية وسفنها ومرساها المزدهر وعسكرها ثم عرج على الاولياء واصحاب التصوف الصافى مثل اتباع (اويس) و(الجنييد) وأهل الفضل الانجاد الاجواد ثم يبرهن على فضلها * قد اختارها الزروق دارا وموطنا * كذا ابن سعيد مقتد بهـداتـها * اما الزروق فهو اشهر من ان يعرف وابن سعيد المبررى كان معاصرا للشاعر ثم عرج بعد التصوفة على العلماء وعدم وجود الغش فى البلاد وعدم الاقسام والايمان فى البيع والشراء كما هى عادة اهل السوق فى البلاد الاخرى ثم اشار الى انهم فى وقت الصلاة يتسارعون سراعا ويتركون الاسواق ثم خاطب صاحبه آمرا له ان يتمهل فى الدم ولا يتعجل فالاسلام كان يباهى بغزوات طرابلس ثم

عرج على مدح حاكم البلدة فى زمنه واشاد بكرمه وعطفه على الاغراب
وبعدها يدعو على صاحبه دعاء ما كان احراه ان يتعفف عنه لولا شطحات
الشعراء فهو يريد ان يسلبه نور العلم .. ويطلب منه ان يتوب ويتنصح ولا
يصح ان يهجو (ام الثغور) الخذونة - كفاها مديحا عدكم هفواتها
وهذه الشطرة اشارة لقول المتنبي .. كفى المرء نبلا ان تعد معايبه .. ويذكر انها
«رباط» وهذا يشير الى عصرها البحرى ويختتم مثل شعراء السلف .

فجاء تلك ياشرقى تسعى فراعها

وكن منصفا ثم اجن من ثمراتها

وصلى وسلم يا الهى على الذى

نهى عن حظوظ النفس مع شهواتها

هذا ملخص موجز واستعراض مقتضب لقصيدة احمد بن عبد الدائم
الانصارى ولا أريد أن اطيل بنقلها فهى موجودة فى المتناول وهى الاثر
الوحيد الذى بقى مشيرا الى الشاعر الاديب المجرب احسن الله اليه كما
احسن فى حياته واحسن فيما عمل من اثر وآثار .

عجل بن العربي

الشاعر المغمور

١

محمد بن العزبي

أديب شاعر ، تألب عليه الخصوم ، وكاد له الوشاة ، وتالم من زملائه وقاسى الوانا من عذاب النفس عند ما تأخر به حظّه ، ولم يعل نجمه وكان عزيز النفس ، عازفا عن اساليب التملق ، ولكنه مسالما من اصحابه فشكى وبكى ، وأرسل قصائده يستجير ويستنجد بحاكم وقته ، وسيد بلده ، ولهذا مدح ورجا عسى ان يفرج عن كربته ، وينجده من وقعته ولكن مدائحه كانت اقل اجادة من غزله ومن شعر الحب والصبابة ، لان مدائحه كانت للحاجة والضرورة اما غزله ووصف الجمال فقد كان فيه فائقا بارعا لانه يصدر من نفس تقدر الجمال وتصبو ، الى ربات الحجال ، هذا الاديب ولد بطرابلس ودرس في مصر وتلمذ على شيوخ الازهر في القرن الثاني عشر الهجرى ومكث فى وادى النيل وقتا غير قصير حتى اخذ من علوم عصره ما شحذ ملكته وقوى قريحته ، وعاد الى بلده طرابلس حوالى سنة ١١١٣ هـ - ١٧١٧ م أدبه اكثر من علمه ، وشعره اكثر من درسه . له رقة فى الطبع ، ومتانة فى الخلق وحساسية مرهفة وهذه بضاعة يتألم صاحبها عندما تصدمه العقبات وتتألب عليه الازمات وكادت آماله التى بناها تنهار لولا ان استنجد بـ « احمد القره مانلى » بقصيدة سنعرضها ، فعطف عليه ، وجبر خاطره وقربه اليه ، واعطاه مسكنا فى مدرسة « مجد باشا » ورتب له مرتبا يدفع عنه

غائلة الحاجة فتنفس الاديب الشاعر والشيخ المدرس ، واقام بالمسجد للدراسة والافادة
واقبل عليه طلابه فوجدوا علما غير جامد ، وادبا غير متكلف ومن الذين اعجبوا
به واثنوا عليه واوصوا به حاكم طرابلس « احمد القره مانلى » ابن غلبون العالم
المؤرخ وقد ذكر فى ترجمته انه « الفقيه الاديب العالم الشريف » وهذه شهادة
من عالم فاضل ومؤرخ معاصر .. فهو عربى هاشمى واسمه بالكامل أبو عبد
الله محمد بن العربى بن محمد بن حموده الصغير الهاشمى .. وشعره كما اشرفنا قسما
شعر الشكوى والمدايح وهو اقل لعانا ، وشعر الغزل والحب وتظهر فيه الشاعرية
على حقيقتها بل فى اوجها ، وطبعا ، بالنسبة لعصرها . فلا تزنها بميزان العصر
الحديث فيختل فى يدك الميزان .. فعندما بلغت ثورته حدها وكادت ان تدفعه الى
التشاوم وما اقرب النفوس العزيزة المرفهة الى التشاؤم . فهى سريعة الغضب والانفعال
الاهل ترى العين الى قبل ودعوا ؟

وهل سيدل اجفائى التأرق والهجع

وهل تبلغا نفسى الامانى برهة
او الموت ادنى من لبانة قاصد
هل ان دهرى والى يتبدى
الى الله اشكو من زمان به ولع
فمالى وللافراح من بعد جيرة
تقصى بهم رشدى واعوزنى الجمع
ثم يشتم الحياة ويمل تصاريقها ويتساوى عنده كل شىء

لقد سئمت نفسى الحياة وطولها
ولا سيما فى منبر الجهل هذه
فلولا الامير المترضى لم يكن بها
سجيس الليالى فى خواطرنا وقـع
وهذه من غضبات الشعراء فقد وصف بلده بانها منبر الجهل والشعراء اذا
غضبوا كانت ثورتهم حادة وغدا سبهم فظيعة ، وقالوا ما اعجبهم ويقصد بالامير هنا

صاحبه «احمد القره مانلى» الذى عينه مدرسا واعطاه مسكنا وراتبا ومسح بعطفه ظلال التشاوم والغضب ..، ويظهر انه قالها على كبر السن وتقدم فى العمر بعد ما رأى عدم التقدير من اهل بلده ..، ومن قطع مدائحه - الشعرية التى تنعكس عليها اخيلة القدماء وتظهر فيها تشبيهااتهم عروج على الطلل، وخلع النعال، صادحات الورق، وليل نابغى، واحزان يعقوب الخ .. ونكتفى باييات من هذه القطعة التى تبلغ ٢٢ بيتا اوردها ابن غلبون . . .

محط المنى مغنى الكفى المقنع	لك الخير عرج بى على طلال الربيع
مقدسة تبلى منى مناك وترفع	وكن خالعا نعليك بين مراحع
تمائم والمجد منك بمسمع	هناك المنى والعز حيث تقطعت
تنادى هديلا بين ارواح اجرع	به صادحات الورق تصدح فى الضحى
وقد خلفوا جمر الغضابين اضلعى	يحاكينى اذا شط عنى وليتهم
ظبية شرك فرخها وسط بلقع	وبت بليلى نابغى كاندى
وحبك فراش من سلاله ادمعى	واحزان يعقوب تسربت درعها
به الماء منساب الى كل ممرع	وزهر رياض مائس بين جدول
فباء بفضح فى صدور ومشرع	يحاكى جناورد ندى بوجنة
لقلة صب مدمن السهد مصرع	فماذا عليهم لو اباحوا اجتذاه

ومن هذا يستطرد الى مدح صاحبه الحاكم مبتدئا بالغزل او الشكوى شان الشعراء ثم يستهدفون غرضهم وقد اشار صديقنا الهادى عرفة الى ان كلمة طلل فى مطلع القصيدة قد هبطت بها..، انها ثورة نفسية وساعة قلق ومنطبعة فى مخيلته اخيلة القدماء من الاطلال والمراحع الخ ولنترك هذا اللون من اشعار محمد بن العربى ونأتى الى القسم الاخر الذى ابداع فيه واجاد ..، شعره الغزلى ووصف الصباية وهذه القصائد نادرة يتعذر الحصول عليها فقد عثرنا عليها فى مخطوطة تشمل

الوانا من الموشحات والازجال والاغانى تسمى «ترويح الاوراح» وهذا الديوان لم
 نعثر على اسم جامعة ولا تاريخه بيد اننا وجدنا على غلافه انه كان ملكا للشيوخ
 محمد الوحيشى وايضا للسيد بن محمد عمر بن زين الدين فى القرن الثالث عشر الهجرى
 سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٨ م وبعدها لانهلم شيئا عن جامع ديوان «ترويح الارواح» ويكفيه
 قيمة المقطوعات الشعرية التى سجلها للشاعر الطرابلسى محمد بن العربى واليك
 لـونـا منها .

وما بغيرك من خمير ومن شهيد	اما وبسمك المفتر عن برد
وما بقدرك من ميل ومن ميد	وما بطرفك من كحل ومن كحل
لا بل حللت محل الروح من جسد	لقد حللت محل النور من بصرى
ليهنك النوم انى دائم السهد	ياراقد الليل خلوا من اليم هوى
حيث الظباء حمتها اعين الاسد	سقا الحيا عذبات الرند من اضم
واليوم اصبحت ذا شوق بلا كبد	قد كان لى كبد بالشوق آهلة
انى تعلمت فيهم صنعة الرصد	فهل درى من رعت النجم بعدهم

ومحمد بن العربى يتغزل فى محبوبته ويصور الخد والنظر والعذاب والحزن
 ويقسم ببديع الجمال ولا يخشى السلو والاعراض الخ

ياقوت خدك للقلوب مفرح	اى السجوانح نحوه لاتجنح ؟
قالوا العذار غدا لحسنك كاتما	هيهات وجهك بالجمال مصرح
نظرى اليك كما يقال عبادة	اذ كنت لما اراك اسبح
ولان غدوت بعذب ريقك باخلا	فانا الذى بدمى ودمعى اسبح
انى لاحزن حين تعرض ناثيا	عنى واطرب اذ اراك وافرح
قسما ، وحقق يابديع جماله	ان التصبر عنك شىء يقبح
يهتز من مـرح الشيبه قـلـ	ما انت غصن البان اذ يترنح

واذا بدا القمر المنير ووجهه
 لا تخش سداوى عليك فأننى
 باب التسللى عن جمالك مغلق
 حكم الغرام بانه لا يفتح
 فهو عاشق ثابت المبدأ متثبت لا يتزحزح ولا يتسلى ولا يتخلى ، عنيد فى غرامه
 متحرق الكبد دائم السهد وهذا حكم الغرام ، ولولا ان صاحبة الشاعر غير
 معرضة وصاحبة دلال وتجن لما الهب فى تصويره وعاند فى حبه فالعناد يقابله
 العناد والاعراض من المحبوب يزيد العاشق ولعا واحترقا واسمع هذه القطعة
 السينية وفيها صورة طيبة من العاشق والمعشوق .

وحياة وجهك يا حياة الانفس
 فلتن جفوت فان طيفك واصل
 امطيل ليلى منذ طال صدوده
 من لى بصبح جبينك المتنفس
 ماض ذا الوجه الجميل لى انه
 برضاه يلبسنى جديلا الملبس
 لله عصر شبيبة قضيت
 حلف المسرة من ظباء كنس
 ترلى باحداق الى فواترا
 ارأيت قط حديقة من نرجس؟
 وبمهجتي رشا اتانى زائرا
 متبخترا فى حللة من سندس
 كذب المنجم فى الذى هو قائل
 انا من رأى بدر الدجى فى الاطلس
 ويظهر انه نظم هذه القطعة فى سن متقدمة ويتذكر عصر الشبيبة والطباء
 الكنس .. ولم يكتف الشاعر بوجه واحد .. ومتى شبع الشعراء من الجمال ؟
 يموتون وهم جوعى وعطشى جمال

دب العذار بعارضيته واننى
 ارايت خطا لا انتهاء لحسنه
 لاحب ديباح الخدود مقنن
 فله تحيى فيه كل مهنن
 ياموحشا طرقي ويعلم اننى
 ابدأ بغير هواه لم استنن

خداك من ورد وريقك قهوة

فاذا سخوت بهما تكمل مجلسي

ويلاحظ هنا اصطلاح المهندسين والمنجمين مما يدل على سعة ثقافة الشعراء ومعرفته باصطلاحات العلوم المختلفة مع انه شيخ مدرس في مسجد ... بل ان الشاعر محمد العربي عثرنا له على قصيدة قسم فيها الجمال وجعل لكل قسم اعدادا واحصاءات جعل لطعم الحب اعدادا ولصفات المحبوب اعدادا والخذ واللعظ والثغر قسمه اعدادا ، وهذه الاعداد كلها خماسية لكل شئ خمسة اعداد بل انه يعلم منه خمسا واورثه المحبوب خمسا ويطلب من ربة الجمال خمسا ويخالف فيه خمسا وهذه تقاسيم عجيبة سار فيها الشاعر على منهاج ما اظن احدا من الشعراء قبله قسم هذه القسمة وعدد ذلك العدد.. ومن هنا يظهر غرامه باصطلاحات فنون الحساب والشعراء السابقون يدجون الاصطلاحات العلمية ولكنهم يفسدون الشعر بها اما محمد العربي ففي تقاسيمه الحسابية يجعل في كل بيت خمسة اشياء فيضطر الى حذف حرف العطف ويضطر الى تخفيف الكلمة احيانا ولكنها قصيدة لا تخلو من طرافة ولحاح شاعرية واليك القطعة بقضيها وقضيضها

حوى الحب خمسا ، نكهته لما	سنا ، رونقا ، لولا جمعتني به ، لما
وقد حاز خمسا رقة ولطافة	وحسنا ، واحسانا ، وثغرا تبسما
حوى خده خمسا ، يابضا وحمرة	وخالا ، ونارا ، ياخيلي ثم ما
حوى لحظة خمسا ، فترا وقتنة	وغزلا وسحرا ثم سهما لقد رسا
حوى ثغره خمسا سلافا وسكرا	ومسكا وشهدا ثم درا منظما
لقد فاق خمسا غصن بان جاذرا	وشمس اذا لاحت وبدرا وانجما
تعشقت خمسا عجبته ودلاله	ولفظا حلا والقدا اذ ماس والفما

واعشق خمسا فيه ، مبسما ولفتة
وقد حاز خمسا عزة ولطافة
تعلم خمسا قسوة غضبا، قلى
واورثنى خمسا سهادا وحسرة
ساطلب منه خمسا ، طاعة رضا
اخالف خمسا فيه اهلى واهله
وينهى قصيدته بالتوسل وبالتشفع برسول الله ومدح سيدنا محمد كعادة شعراء عصره والعصر المتقدم

وحسن خلاصى بالذى حاز خمسة
وقد عمه خمسا، رضا، سوؤددا، علا
ولم نعثر للشاعر الاديـب على شىء سوى هذه المقطوعات التى سقناها اليك وعرضناها عليك وتفاصيل حياته ايضا كان من المعتذر النادر ونكتفى بهذا العرض البسيط آملين ان يجد غيرنا ما لم نصل اليه

کامل بن مصطفیٰ

صاحب الفتاویٰ

۱

كامل بن مصطفى

فى بيت متواضع من بيوت الزاوية الغربية ولرجل له شىء من علوم الدين
وليه كثير من الفضل والتدين ولد الصبى فكان زينة
للبيت واملا للاب وفرحة للام وكان ذلك عام ١٢٤٤ هـ ١٨٢٨ م.
وقال الوالد وهو يداعب ابنه ويحدث زوجه عن مستقبل الوليد ..
لن اجعله تاجرا يجوب الافاق ويحمل الاقمشة والعطور . ولن اجعله
مزارعا يبذر البنور ولن اجعله صانعا يحيك الثياب ولانجارا يصنع
الابواب .. وقالت الام ... اذا ماذا تريده ان يكون ؟ قال الوالد ..
اريد ان ارى ابنى عالما فقيها ورجلا كاملا فاضلا يحفظ كتاب الله .
ويحافظ على سنة رسول الله . اريد ولدى يحفظ مذهب الامام ابنى
حقيقة هذا المذهب ليس له فى طرابلس علماء أفذاذ وكاد ان ينقرض
من طرابلس .

وفرحت الام بهذه الامنية الغالية والخطبة التى رسمها الاب الحنون
لابنه الوحيد .. وصار الشيخ الصغير موضع العناية والرعاية واصبح
فى البلدة الصغيرة قبلة الانظار محترما مبعلا والفتنة والنبوغ يحتملان
على الناس الاحترام حتى فى زمن الطفولة وايام الصبى .
وحفظ الشيخ الصغير كتاب الله بالزاوية الغربية على شيخ من شيوخها

واتممه اجادة وحفظا وتجويدا ولهم يتم السادسة عشرة ، ثم رحل الى طرابلس ليدرس في مدارسها ويجلس في حلقات مساجدها يدرس النحو وتوابعه والفقه وملاحقه والحديث وفروعه .. ، لقد كان كامل بن مصطفى تلميذا نشيطا يتوقد ذكاء ، وتلمع الانية من عينيه ، ينطلق كالطائر من فني الى فني ، من مدرسة احمد باشا ، الى مدرسة عثمان باشا ومسجد الناقة ومسجد المغاربة ومكت بين المدارس والمساجد ثلاثة اعوام يلتقط الشـ وأرد ويشارك في تفهم المسائل ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره ، جلس الاب مرة ثانية يحدث الام عن مستقبل الشيخ محمد كامل وقد رأى اجتهاد ولده وطموحه وشغفه بالعلم وتذكر الوالد عهده الذي قطعه على نفسه واسلمه العقود وعقد المؤتمر العائلي من الجد والوالد والعم والام ... وبسط الوالد امنيته وقال : أريد ارساله الى الجامع الازهر ليتوسع ادراكه ويزداد علمه ويدرس مذهب ابي حنيفة ويعود الى طرابلس عالما مجتهدا ويكون استاذ فاضلا وانقض المؤتمر العائلي بزغردة من الام وقامت لتقبل الشيخ الصغير وتودعه وتهى له ما يلزم في هذه الرحلة الطويلة ، والسفرة البعيدة وودع الفتى الشيخ جده وعمه ، وسمع كثيرا من الوصايا وعديدا من النصائح خلاصتها، انه هبة العالم ووقف على الدرس .

وذهب محمد كامل بن مصطفى الى مصر . ودخل الازهر عام ١٢٦٣ هـ ١٨٤٦ م وكان عمره اذ ذاك تسعة عشر عاما وفي مصر اصبحت كامل بن مصطفى مثالا للطالب المجتهد الذي رسم هدفه ووضع برنامجا وادرك المهمة الملقاة على عاتقه ، وامعن كل الامعان في دراسة فقه ابي حنيفة النعمان وآراء ابي يوسف وكم أوصاه والده ان يتبحر في مذهب الاحناف ولكنه بجانب هذا يدرس الفقه المالكي دراسة مستوفاة وخاصة ان آراء مالك

وأتباعه منتشرة في بلاده وبلاد المغرب قاطبة يدرس فقه مالك وإبي حنيفة،
وينظر في فقه الشافعي وغيره لان فقه الاسلام متصل بعضه ببعض ومتراصة
حلقاته ومتفقة مذاهبه في الاصول تتلاقى عند هدف واحد وتسقى من ماء واحد
وكلهم كما صور البوصيري... وكلهم من رسول الله ملتزمين..، غرنا من البحر
أو دشنا من الدير..، قرأ الشيخ محمد كامل بن مصطفى: اقرب المسالك للشيخ
الدردير، وشرح الدردير على كتاب خليل - وحواشي الشيخ الدسوقي
ومرجعه والخروشي ومجموع الشيخ الامير، ولأشك ان كتاب خليل عند متأخري
الفقهاء مثل «العين» للفراهيدي «وكتاب» سيدييه وبعد ان أستوعب
الشيخ الفطن هذه الكتب المالكية ذهب لكتب إبي حنيفة فقراً متدرجاً
مراقى الفلاح وحواشيه للشيخ احمد الطحطاوى، وتحفة الملوك والسلطين،
ثم شرح العين، وكتاب الكنز، وقرأ شرح الدر المختار على
متن تنوير الابصار بحواشي الشيخ الطحطاوى ايضاً، كان الشيخ يحفظ
ويدرس ويعلق ويستنبط ويخزن ويستوعب ودوماً يذكر وصية والده
وهمسات امه، وحاجة وطنه، ثم رغبته الملحة في أن يصبح في طرابلس
علماً دارساً ومراجعاً فاستأذا لفقهِ إبي حنيفة النعمان الامام الاعظم... سبع سنوات
متواليات قضاها كامل بن مصطفى يدرس في الجامع الازهر يواصل ليله
بنهاره وصبحه بمسائه في الغوص على دقائق التفسير والفقه وعلوم الشريعة
السمحاء لا يخرج من حلقات الدراسة ولا يترك مباحثه الا مساء الخميس عندما
يذهب للتنزه والتريض على شاطئ النيل عند الجزيرة في مكان حديقة
الاندلس الآن..، يجاس مع رفاقه من شتى الاقطار الاسلامية تحت الاشجار
ويتفكهون ويتبسطون وكل يذكر طرائف عن بلاده فكانت جلسة الخميس
عند شاطئ النيل بجانب التريض والتنزه فيها علم وادب وتفكه وقد اعطانا

كامل بن مصطفى فى كتابه «الفتاوى» صورة من نزهته عند شاطئ النيل فقد اشار الى جدال
 ثار بينه وبين قسيس فى مسألة، اجابه مصطفى مستنبطاً بالعقل مما يدل على حدة فطنته
 وشحذ ملكته، ومن طرائف ما يذكر ان كامل طلب من والده طاقية طرابلسية
 زهيدة الثمن ... انها شىء هين..، ولكن الوالد فى طرابلس يرسل الى الشيخ
 الذى يدرس عليه كامل يسأله هل ولدى كامل مجتهد؟ ومثابر على
 دروسه؟ فكان الجواب شهادة طيبة ثم ارسل الوالد طاقية طرابلسية فاخرة.
 وعاد الفتى الشيخ عالماً مدققاً لم ينسه شاطئ النيل طرابلس ولم تأسخفه
 معالم القاهرة لتنسيه صحراء ليبيا عاد الى بلده ليحمل رسالة العلم ونشر
 تعاليم الكتاب المقدس ولكن المؤثر العائلى لم يعقد كاملاً لاستقباله فقد مات
 جده وعمه وامه واستقبله ابوه بكل ترحاب فقد حقق الابن رغباته
 عاد عالماً ممتلئاً حيوية ونشاطاً وحبا للبحث والتدريس وجلس للاستفادة فى المساجد
 والمدارس وهو شاب لم يتجاوز السادسة والعشرين يسأل فيجيب ويدرس
 فيفيد.. ويقول فيسمع الناس قوله، ودرس فى مدرسة عثمان باشا» ومدرسة
 احمد باشا مصطفى كورجى وكانت هناك المدرسة «الرشدية» التى ماكانت
 تضارعها فى البلاد مدرسة فى حسن النظام واختيار الاساتذة واعداد الطلاب
 كانت المدرسة الرشدية عند «بـباب البحر»
 هى المدرسة النظامية الوحيدة التى أسسها الاتراك وليس سواها اوجدوا لنا
 مدرسة تفيد وتنفع الا المدارس العسكرية. وهذا هو طابع العصر العثماني
 واثـره فى كل البلاد العربية، وفى المدرسة «الرشدية» أصبح كامل بن
 مصطفى مدرسا للغة العربية يقوم من اللسن معوجها، وفى المساجد
 واعطا يهدى النفوس الى طريقها، وعلى يديه وبفضل توجيهه العلمى
 تخرج للبلاد تلامذة نجباء واساتذة فضلاء افادوا البلاد وخدموا لغة الضاد

نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن البوصيري والشيخ الازمردلي ولم تكن احاطة الشيخ كامل قاصرة على الفقه واللغة بل أنه لدواضطلاع واسع ودراية كبيرة بفن التفسير، وهذا الفن يتطلب سعة اطلاع وغزارة مادة وأسلحة عديدة من فنون الشريعة والمنطق وكان له غرام بتفسير «البيضاوي» درسه مرارا في مسجد «عثمان باشا» كما انه درس صحيح «البخاري» وكتاب الشفا للقاضي عياض درس هذا مرات في جامع «مصطفى كورجي» ووزع الشيخ حياته بين وعظ وتدريس او اطلاع واعتكاف، وتامل وادراك... هذا بجانب عضويته في ادارة الولاية وولى الافتاء عام ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م وبقي مفتيا لطرابلس الى ان عادت النفس الطمئنة الى ربها راضية مرضية سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م والشيخ كامل بن مصطفى لم يكن مثل كثير من علماء هذا الزمن يذهبون من غير اثر ويودعون من غير تركة بل ذهب كامل بن مصطفى وبقي اثره وخلف تركته «الفتاوى الكاملية» وتعليق على تفسير البيضاوي..، يحتوي كتاب الفتاوى الكاملية على الفين ونيف من الاسئلة التي وجهها اليه ابناء طرابلس واجوبتها وهذا في مختلف انواع العبادات والمعاملات والاعتقادات والاحوال الاجتماعية.

واسلوبه سهل، وعبارته واضحة، لا ليس فيها ولا غموض بها ولا أبهام يحوطها كما هي العادة في اساليب الفقهاء واهل الافتاء، والفتاوى الكاملية فقه مبسط وحبذا لو اعيد نشره ففيه فوائد وعوائد ولكن كلمتي هذه في بقاع وهمسة من مذياع واسطر ورقاع، وقد بدأ الشيخ كامل بن مصطفى في جمع فتاويه وضمها في سنة ١٣٠٨ م ١٨٩٠ م ومعنى هذا أنه كان يفتي الناس ويجاوب على الاسئلة التي توجه اليه قبل ان يصبح مفتيا رسميا وقبل ان ينصب فالعالم لا يتقيد بمنصب ولا ييخل بعلمه، وعندما

أخذ يضم الفتاوى ويعدّها للطبع حذف كثيرا من الاسئلة ، واختصر بعضها وهذب بعض الاجوبة كما ضم الى فتاويه بعض الاسئلة التي وجهت اليه وهو طالب في مصر وهو مدرس في طرابلس وهو زائر في تونس وهو حاج في الاراض المقدسة ، اذا ليست الفتاوى الموسوعة فقهية ، ودائرة معارف دينية جمعت كثيرا مما يخطر على البال ويأخذ باللبال وكان الشيخ الاستاذ في فتاويه صاحب رأى واستنباط وتعقل فاذا لم يجد في المراجع جوابا أو تطرق اليه الشك لم يفت بما لا يعلم بل اسرع يسأل علماء مصر وابناء الازهر وعلماء الزيتونة بتونس ويلاحظ المطالع للفتاوى انه راسل صديقه وزميله مفتي الديار المصرية العباسي المهدي وصديقه احمد بن الخوجه مفتي تونس ... خمسة اعوام ظل كتاب الفتاوى معدا للطبع وللنشر حتى ساعده على طبعه الحاج محمد الحلو وهذا الرجل كان يتولى في مصر وظيفة المعتمد السلطاني من طرف دولة المغرب الاقصى في الديار المصرية. وساعده على طبع الفتاوى ايضا التاجر بطرابلس السيد احمد بن غلبون فقد كان للمغاربة وخاصة في المغرب الاقصى غرام بالفقه وتشجيع على حفظه ونشره وطبعه فقد طبع السلطان مولاي عبد الحفيظ كثيرا من مراجع الفقه المالكي «الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية» مجلد ضخيم يقع في ٣٠٨ من القطع الكبير طبع سنة ١٣١٣هـ الموافق ١٨٩٥م اى قبل موته بعامين وقرضه نثرا بمجد النائب ولم ينس الدعاء للسلطان عبد الحميد الثانى ولست ادري ما العلاقة بين السلطان والفتاوى وما المناسبة؟! الا التملق للسلطان من نائبه الشرعى في طرابلس كما قرظه بثلاثة عشر بيتا من الشعر «المعز» شاب ليلى سالم البروك الورشاني من طلبة رواق الغارية وقصيدته على هذه الشاكلة

أدر من حديث الفضل كسا على سمعي

وسرني وراء السرب ربعا الى ربيع

رحل الشيخ الى مصر وتونس وتركيا والحجاز وفي تونس شاهد دخول
الفرنسيين تونس وكان من اصدقائه هناك الشيخ صالح التبرسقي وقد بلغ
الثمانين ولكنه ما احتاج الى ترجمان وكثيرا ما جلس مع علامة تونس يتناقشان
ويتفلسفان في هذه الحالة التي وصل اليها المسلمون وكيف اصبحوا في ديارهم
اذلة..، وكانت رحلة كامل بن مصطفى الى تونس سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١ م
وكان الشيخ صالح التبرسقي يستعمل العقل ويقس بالمنطق وكثيرا ما سامره
كامل بن مصطفى ويروى عنه عديدا من الذكريات حدث كامل: أجمعت
بالتبرسقي في بيته فاستقبلني عند باب داره فلما رأني قبل عيني وعانقني وانشد
تحيا بكم كل ارض تنزلون بها وانتم في عيون الناس اقمار
ولما دخلنا البيت بزاوية منه أمر بفتح كوة لزيادة الضوء فدخلت الشمس وقال الخادم:
أخاف ان تصيب الشمس الشيخ كامل فاجاب الشيخ التبرسقي على البديهة لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر.. فما الطف هذا بعد الاستشهاد وانتم في
اعين الناس اقمار..، وفي تركيا يتعرف بعلامة زمانه وفيلسوف اللغة والبيان
احمد فارس الشدياق ويتعرف به على الجسر ثم تكون مجادلات لغوية ومعرفة
وصداقة بشيخ طرابلس

وفي الحجاز يؤدى فريضة الحج عام ١٢٩٥ هـ ١٨٧٧ م وايضا يظهر هناك علمه ويفتي
ويوافق الشيخ كامل الشيخ عlish المالكي والشيخ دحلان الشافعي ويوضع
اسمه مع اعلام الفقه والتشريع والشيخ كامل له مطالعات ودارسات
في التصوف واعلامه والفلسفة فيسال عن أقوال تنسب للشيخ الاكبر محي الدين بن عربي
فيظهر مادسه عليه الزنادقة ويستدل بما في الفتوحات المكية وبما

يذكره عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت ومن لطائف كامل بن مصطفى انه لا يحب السهر ولا يخرج من المنزل ليلا ولكن لاحظ الناس مداومته للسهر اخيرا والسهر عند الحاكم التركي وسئل الشيخ فقال لذلك سر.. وياه من سر.. لقد ترك الحاكم عادته وحطم كاسه واستحيى من مضايقة الاستاذ له.. وهذه طريقة حسنة في الوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق الله في خطابه لرسوله.. لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..، ولا حظت وأنا ابحت عن حياة الشيخ وآثاره انه ليس له شيء من الشعر الا ابياتا نظمها على طريقه الفقهاء عند ما كان في الازهر يحضر درس الشنشورى .

أن رمت مامن أسور الدين قد شهرا بين الخلائق فاحفظ خير اشعارى
فصحة العقد مع صدق بمقصدنا وزدوفاء بعهد الخالق البدارى
كذا اجتناب لحد وهو يختمها فاطلب ثوبا لنا يايها القارى
وليس لنا مانعته به على الشيخ كامل بن مصطفى سوى عدم دراسته لبعض المذاهب
الاسلامية وتحامله على احد المذاهب الاسلامية فقد درس فقه مالك وأبى حنيفة ولكن يظهر
لى أنه لم يدرس احد المذاهب دراسة منهجية وافية ولهذا كان منه بعض التحامل
ويرقد المرحوم كامل بن مصطفى بين المنذر والبهلول وقد وجدت منقوشا على
قبره هذه الابيات :

الا أيها الانسان انك كادح فتجربى ولا تدربى وانت على شفا
ايا عقلاء المؤمنين تاملوا تروا هذه الدنيا بلاقع صفصفا
توالى نزولا بارتحال مسرمد فمن حلها يوما ترحل واختنى
وادخلها الفتى وسار مؤرخا ففى جنة الفردوس حل ابن مصطفى
رحمه الله لقد اعطى للعلم حقه وللاقناء حقه وكان كاملا اسما ومعنى.

مرحطتى بن فكرى

هناك شعر ولكنه تائه فى خضم النسيان ، وهناك شعراء ينظمون ويبدعون ويسترسلون ويحسنون وأيضا يقولون مالا يفعلون، هناك شعر وشعراء ولكنه مع الاسف تراث ضائع وادب غير شائع .. مهمل غير مسطور وثائه مجهول مغمور . هناك شعر فيه ادب الحماس وصور من الاحساس شعر فيه ادب عاطفى وادب دينى ولكنه على ...، « قد الحال » والبلاغة هى مقتضى الحال وهل يوجد الادب الرفيع فجاة ؟ وهل يخلق الشعراء العماليق طفرة ؟ لابد من تطور ولا بد من صعود السلم درجة درجة وشعراء وادباء وعلماء هذه البلد بالنسبة لحالها واحوالها وظروفها قد ابدعوا واحسنوا وما على الجيل الناشئ واشبال العهد الجديد الا ان يرفعوا الرأس ويشمروا عن الساعد ويضامحوا الى القمة ويخلقوا فى ليبيا نهضة علمية ادبية جديدة بشعب يتوثب وأمة تتحرك وحياة جديدة وآفاق واسعة لا تظلموا العصر الماضى فان المشاعل كانت تعاكسها الرياح من كل جانب لا تظلموا الشعر والادب والفن فان الرقاب كانت مخنوقة والعواطف كانت مكبوتة والادب لا يتحرك الا عند الحرية ولا يعيش ويبهر الا فى اجواء طليقة .. اذا راعينا هذا فانا نعجب بآداب هذا حاله وشعرهذه مقتضياته ثم لا تحكموا ولا تتسرعوا قبل ان تفتشوا وتبحثوا وكل مشمر يجد وليس كل المكسالم كالمجسد .

وحديثي هنا موجز قصير، وسهل غير عسير، انه مقتطفات ولحظات وقصيد واييات انه شاعر ليبي جدير بالقراءة والبحث شاعر منسى في قومه مهمل في بنى جنسه عالم أديب رقيق الحاشية عذب الاسلوب حلو التصوير سالت عن حياته باوسع فلم أجد جوابا ولم ازل حجابا فذهبت الى الديوان فوجدت فيه صورا من البيان، وكفى بشعر الشاعر دلالة عليه، وطريقا موصلا اليه وشاعرا الرقيق هو الشيخ العالم مصطفى بن السيد محمد بن ابراهيم بن زكري من اسرة طيبة المنبت شريفة الاصل لـلـ باع في الفضل وذراع .

وعلمت ان الشاعر ابن زكري لم يكن ازهريا ولكنى عجبت من هذه الظاهرة عندما وجدته ، ينظم في النحو منظومة يعارض بها ابن معطى وابن مالك فهو ازهرى وان لم يذهب الى الازهر.، وقد اكتسب مصطفى بن زكري من الاسكندرية رقة الشعر ودقة الاحساس كما اكتسب من طرابلس صفاء البال وصفاء الحال لقد . كان ابن زكري عظيما، حيث انه كان شاعرا لا يتكسب بالشعر ترفع به عن التلذذ والتملق فكان شعره طاهرا من ادناس المادة بعيدا عن دنيا الطمع ، يمتس في رياض من حسن الوجوه وحسن القلوب..، وكان حسنا يدل على حسن ونبيلا يدل على نبل العاطفة وصفاء القريحة انه في غايته وفي عفته وترفعه عن بيع الشعر اطهر من احمد المتنبي الذي قالوا عنه لو كان هناك دائق في أست ... لبحث عنه وقالوا انه فتش عن الدائق باظافره في الحصير ويرسل القصيدة الاف الاميال ليرسل له الامراء ثمنها ، شعر مصطفى بن زكري فيه رقة وبه وجدان مذاب وكبد حرى ومهجة ملتاعة ونفس فياضة ..، ديوان صغير يدل على حب كامن وشاعرية قوية كامنة كمون النار قوية قوة الاعصار سهل سهولة المياه المناسبة تحت أضواء الاقمار النيـــــرة فى الليـــــالى الهـــــادئة .

كان ابن زكري اندلسيا فى مواضعه عباسيا فى اساليبه رائعا بديعا لا يتكلف

ولا يتقعر يرسل الابيات حلوة قصيرة، لكنها كالسهم فيها اصابة الهدف وحدة المرمى، ديوان ابن زكرى يقع فى ٤٨ صفحة من القطع الصغير وطبع طبعة رديئة على ورق اصفر وعلى صغر حجمه وقلة صفحاته كان به ستة وخمسون غلطة نحوية ولغوية واملائية وليس كل الثمانى والاربعين من الادب وروائع التصوير والشعر الرائق بل ان الديوان الحقيقى لا يتجاوز ٣٣ صفحة ثم ما بقى منظومة فى النحو من الرجز سماها «الكافية فى نظم القواعد الشافية» ابتدأها مقلدا ابن مالک فى الفيتة الشهيرة

أول مايقول ابن زكرى لك حمدى دائما وشكـرى
ثم الصلاة والسلام ماجنى فكر من التصـريف يانع الجنا
على النبى المصطفى والال وصحبـه مصـادر الكمـال
وتقع المنظومة فى ٢٣ بيت لأقول من الشعر بل من الاصطلاحات النحوية والقواعد الصرفية، وهـذا يـدل على ان الشيخ ابن زكرى كان عالما فى النحو دارسا لتواعده مطلقا على اصطلاحاته وضوابطه وهـذا يعطينا صورة من الثقافة العربية واسلوبا من اساليب العلماء فى العصور المتقدمة الذى أثر حتى فى هذا العصر وطبع الديوان بعد جمعه بعام فى مصر فى المطبعة العثمانية بحارة سوق الزلط فى اواخر ربيع الاول سنة ١٣١٠ هـ . ١٨٩٤ م . ويظهر تواضع ابن زكرى فى المقدمة الوجيزة التى قدم بها ديوانه وهى متأثرة بالسجع شان اسلوب هاتيك الايام وبارك الله فى هذه الشاعرية التى ابرزت صورا من الحب وصورا من الاحاسيس والعواطف فى قالب عربى سليـم وبيان واضح وشعر يقرأ ويسمع ويصح ان يعتز به الادب العربى فى ليبيا يكون نموذجا ودليلا لمن ينكر ان فى البلاد شعرا وأدبا.. يا سبحان الله كل على قدر حاله ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .. وكل له مقتضيات ومؤثرات ولكل عصر ادب وبيان.. شعر ابن

زكرى لا يصك الاذان بل يطربها ولا يؤذيها انه يغذى النفوس نبع في الشعر وهو صغير في عصر «العثمانيين» او عصر قلمك بوزلك عزلتو، حضر تلو وتعالى معنى تلقى على مقدمة الديوان نظرة فاحصة « هذا ما سمح به فكرى من طرائف الايات الغزلية ولطائف النكات الادبية ، ولا يغرك ما ادعيه ولست ممن اربابه وذويه ، فغاية مرامى ومرسى سهامى ، ان ارد من فم الادب رضايه ، وارتشف من راحه حبابه ، واقرع باب معانيه ، وأسوم شباب اغانيه ، واتضلع من حكم آياته واستجلى مخدرات نكاته.. وهنا يظهر تواضع العلماء وينهج في مقدمة نهج الاقدمين ولكنه لا يقبر نفسه بسور المذلة والقصور كما يفعلون . فيقول « ولا ادعى مجازاة فرسانه بغرورى ولكن اتعـاـثـر فى ذىـل قصـورى »

ويرينا ابن زكرى كيف ان شعره كان هنا وهناك مبعثرا فاخذ العدة لجمعه وضمه «ولما تفقدت شواردها وتقفيت اوابدها صادفت جل الايات فى جب الخمول مقبورا وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» .

ويرينا ابن زكرى حرصه على تراثه الشعرى وقيمته ومحافظته عليه «وحذرا من ضياعها ودثور رقاعها طفت اجوس مناوز افكارى ، واطارد شوارد او طارى الى ان ظفرت ببعضها وقمت بقضاء فرضها فركضت جواد اقدامى وفوقت سندان اقلامى ، وثبتت عنان البيان الى ميدان الطروس » .

وهناك يترك تواضع العلماء ويصيبه غرور الشعراء أو قل اعتزاز الادباء ويرى ان للشعر قيمة ومقاما وأن شعره غال عال فيقول بالحرف «وادرث من بديع المعانى الذ الكؤوس» ويظهر لنا ابن زكرى انه ذواق حساس موسيقى له اذن مرهقة وهذا شئ يدل عليه انه فى ديوانه الصغير لم ينهج طريقة القدامى فيرتبه على حسب حروف الهجاء لابل انه يتبع طريقة موسيقية ويسير على الاوتار يتبع اذنه ولا يتبع الحروف الهجائية فى الترتيب هذا ذواقه بليغ وشاعر بديع .

قالوا لقد ذبت وجدا فقلت ذاك مـــــرادي
 قالوا قضيت زمـــــانا ففى غيـــــلك المـــــرادي
 اســـــرفت جـــــدا فـــــمـــــا اذا أعـــــددت يـــــوم المـــــرادي
 وعـــــدتى حـــــن ظنـــــى ففى قـــــولـــــه يـــــا عـــــبـــــادي
 وكىـــــف يـــــقنـــــط عـــــبـــــد وافـــــاه مـــــن غيـــــر زـــــاد

ويشاهد الشاعر مصطفى ابن زكري وجها جميلا يسجد لرب الجمال فيملا هذا
 (المنظر) جوانب نفسه ويأخذ بمجامع حسه ويهيم به ولكنه لا يستطيع ان يملأ
 ناظره ولا أن يظهر ما يدور بين جنبيه فيطرق الشاعر اطراقة الحائر ، ويذهب
 الى الاوراق ، لبيثها سرائر الاشواق فى ثلاثة ابيات ويصور معانى ينسجها غيره من
 الشعراء فى معلقة طويلة .

يـــــا فتنـــــة النساك رقتـــــا بـــــمن حبـــــك لـــــم يـــــتـــــرك لـــــه رقتـــــا
 منعـــــت ان امـــــلا طـــــرفى مـــــن حـــــنـــــك واســـــتمـــــلاتـــــه أرقـــــا
 اتمنـــــع المسكـــــين عبيدك ان يـــــمـــــلا مـــــن او صـــــافـــــك الـــــورقـــــا ؟

وحسنا ما فعل ابن زكري فلو ملأ ناظره وملا طرفه من حسنه فقط لما وصل اليها
 شئ من لوعته وتراثه وحرقة انفاسه وطبعا ملؤ الورق خير لنا الف مرة من ملي
 ناظره وافراغ ما بين جنبيه ،

واذا كان الشاعر مسلم بن الوليد لقب نفسه صريع الغواني فان مصطفى بن
 زكري اطلق على نفسه لقب صريع الغرام ولكنه لم يجد مسراح بغداد وقصور بغداد
 وجسور بغداد ولياليها الساحرات. والالكان لنا من ابن زكري وليد آخر وصريع
 جديد وسل هل اتى عن صريع الغرام

انا ذلك العبد فـــــامـــــتى بـــــرقـــــى وجـــــد للمـــــشـــــوق بـــــانـــــس لـــــقـــــاك

وأسمع هذه الشاعرية وفيها موطن دراسة ومحط يستحق الالتفات .

تعجب قومى من بديع تغزلى

وقالوا لقد زفت اليك البـدائـع

وما بفتى يستخرج الدر بدعة وفى نسخ الوجه الجميل يطالع

وجعل الشاعر الطرابلسى للحب محكمة وجعل له قانونا ودستورا وجعله معرضا
صور فيه الوان الجمال فقانون الغرام .

حسنت قوانين الامور وانما قانونه يسبى العقول بلا وتر

قدرى بدستور الغرام اسيرنا لايفتدى وقتيلدما دمه هدر

ثم يذكر الشاعر الترغيب فيه وفائدة الغرام الذى يصقل النفوس ويهذب
الطباع ويسمو بالمدارك .

يستخرج الدر الفريد من النهى ويهذب الاخلاق فى زمن الصغر

ويعطر الارواح من نفحاته ويخلد الذكر الجميل المقتخر

ولكن هل حقاً يكون الغرام دائما هكذا ؟ يستخرج الدر الفريد ويهذب
الاخلاق ويعطر الارواح ؟؟ سرعان ما يدرك ابن زكري خطر الغرام ويسرع
ليسجل فى محكمته التحذير منه والابتعاد عنه .

واحذر لحاظ الغيد ان لم تستطع صبرا وكن من سودهن على حذر

واسلم بنفسك اننى لك ناصح وسئل الخبير بها ودع الخبر

ليعوث السود يحذر منها شاعرنا ويظهر أنه انكوى بتلك اللحاظ
والحب فى طبعه طاهر ولكنه يدنس بما وراء المظاهر بما وراء
النظر وما بعد اللقاء خطر

ودع النفوس تميس فى روض اللتى طمعا ولا تجنى الثمار من الشجر

فالحب اصدقه لدى العشاق ما اعزت مطالبه وعز المصطبر

ويظهر اثر الادب الصوفى وتخييلات الشعر الدينى ان صحت هذه التسمية
يظهر هذا فى شاعرنا

ساعف قلبى فى الهوى بعذابه واترك ذكرى خالدا بذهابه
وامنع لحظى ان يفوز من الكرى بطيف خيال يقتضى سد بابيه
فسرى دعاك الله يا داعى الهوى الى منتهى وادى الاسى وسرابيه
وعرج على حى الغرام وحيه وسله متى لحظى بوصل ترابه
وروح فؤادى من شمائل سبعدى

براح يهيم الصب قبل شرابه
الا تلاحظ معنى سيدى القارىء ان فى هذه الايات تاثرا بالشاعر الصوفى
أحمد البهلول ؟ نعم فيه من ادب التصوف وادب الترفع والتعفف ادب فيه رسوم
محاطة بهالة من التقديس صور فنية فى أطار من الدين وشعر فى قوالب من التصوف
ويصور الشاعر جنة الامانى ومحراب النظر .

وجنا الجنتين من وجنتيه يانع غيـر أنـه غيـر دان
جنة تجنى الامـانـى ولا تجنى بغير الجفون تلك الامان
هذه الجنة المحاسن لـو التـى لديها لما قدمتـه اليـدان
هذه كعبـة للطائف لكـن طـوافـى بهـما من الـايـمان
الامان الامان من سود الحـا ظـقـود النهى بغيـر عـدان
ترى انها سكارى ومـاظنـك بالسهم فى يـد السـكران

وبعد ان تقرأ هذه الايات احب ان تلاحظ معنى اولا الالفاظ السود هى
التي بلورت شاعرية شاعرنا وكم عاكسته العيون السود ياساتر يا حفيظ

ولاحظ معنى ايضا ان التصوير فى البيت الاخير بلغ القمة وما ظنك بالسهم فى
يد السكران وايضا ياساتر يا حفيظ اللهم احفظنا من عيون سود وسهام فى يد سكران

ويخدم الشاعر وطنه ويصور عواطفه ولو لم يضع الديوان لاثبت شيئاً من ذلك، ويمدح السلطان عبد الحميد ولكنى أخذ عليه قوله فى أول القصيدة قمر تجلى فى سماء كمـاله...، اذ لا يليق مدح الملوك والسلاطين بهذا الوصف قمر بل ان الشعراء عفا الله عنهم بالغوا فى هذه الاوصاف ووصفوا سيد الرجال وعميد الابطال محمد رسول الله بالجمال وانه قمر وبدر وغصن بان ومليح القد ونسوا اوصاف النبوة ومعالم البطولة والشجاعة والرجولة وسطوع الفكر وعمق الشخصية وهذه من مزالق أسيادنا الشعراء ومدح شاعرنا السيد المهدي السنوسى وقال فى ختام مدحته هذه

مـالى وقد فرطت الا نسبتهـى لكـم وارجو ان افوز بها غدا
وهذا فى المعنى لا فى التصوير طبعاً يصور معنى شوقى الذى ذاب شعـورا فى
فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم
أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد ان لى أنتسابا
وشوقى منتسب الى الرسول لان اسمه أحمد يشاركه فى الاسم وابن زكرى يقصد
بنسبته انه شريف له نسب يجمع مع السيد السنوسى وقد اعتر الشاعـر
بهذا الانتساب الكريم

* تجد فى كتاب لحات ادبيه عن ليبيا» للمؤلف فصلا عن شاعرية ابن زكرى

مصادر ومراجع

كتاب	المؤلف	طبع
التذكار	ابن غلبون	القاهرة
المنهل العذب	النائب	اسطامبول
الديباج المذهب	ابن فرحون	القاهرة
العبر	ابن خلدون	القاهرة
معالم الايمان	الدباغ	تونس
المغرب	البكري	ليدن
معجم الادباء	ياقوت	القاهرة
معجم البلدان	ياقوت	القاهرة
لسان العرب	ابن منظور	القاهرة
كشف الظنون	حاجي خليفة	اسطامبول
دائرة المعارف	البستاني	لبنان
رحلة ابن بطوطة		القاهرة
رحلة ابن جبير		القاهرة
تاريخ الذهبى		القاهرة
نباتات ابن البيطار		القاهرة
تاريخ ابن شهبة		

كفاية المتحفظ	الاجدابی	لبنان
بغية الوعاة في طبقات النحاة السيوطي		القاهرة
أساس البلاغة	الزمخشري	القاهرة
تزهة المشتاق	الادريسي	ليدن
ديوان	مصطفى بن ذكري	القاهرة
ديوان	احمد البهلول	
اللواء الطرابلسي	مجموعة جريدة عثمان القيزاني	طرابلس الغرب
الفتاوى الكاملية	كامل بن مصطفى	القاهرة

مخطوطات

رحلة التيجاني
 رحلة العياشي
 جلاء الكرب للحشاشي
 ترويح الارواح
 كنش الزروق
 تعليق على تفسير البيضاوي
 منظومة في التوحيد للبهلول
 وثائق واوراق متناثرة ومخطوطات متنوعة من هنا وهناك

الفهرس

١ تقديم ونقد بقلم الاستاذ فريد ابو حديد

٥ الاهداء

٧ مقدمة

١٣ مدينة طرابلس كما يصفها الرحالون العرب

١٩ ابو الحسن بن المنمر

٣١ أبو يحيى بن مطروح

٤٣ الوداني واياته اليتيمة

٥٧ ابن معمر الهواري

٦٥ محمد بن ابي الدنيا

٧٣ ابوفارس عبد العزيز بن عبيد

٩١ ابو اسحاق الاجدابي

١٠١ عبد السلام عبد الغالب المصراي

١٠٥ ابراهيم عبد الغالب المصراي

١٠٩ الخطاب

١١٥ احمد البهاول

١٢٣ ابن غلبون

١٣٥ النائب

١٤٥ علي عبد الصادق

١٥١ احمد بن عبد الدائم الانصاري

١٦٣ محمد بن العربي

١٧١ كامل بن مصطفى

١٧٩ مصطفى بن ذكري

مدرسة الجغبوب

واثرها الفكرى والاجتماعى

بقلم على مصطفى المصراتى
دراسة منهجية فى النهضة الاصلاحية والفكرية التى
قام بها الامام العظيم والمصلح الكبير محمد بن على
السفوسى . . مدرسة الجغبوب ومشاعل النور التى
عمت صحراء ليبيا بشائر التقدم والنهوض تقرأ
قريباً للمؤلف كتاباً دراسياً عن هذه المدرسة الاصلاحية
بمناسبة الذكرى المئوية للمصلح الامام محمد بن على
السفوسى الكبير

كتب للمؤلف
ملحات ادبية
عن ليبيا

قطرات من يراع

فردوس الادباء
قدم له الدكتور طه حسين

قنديل المولد - مجموعة قصص من ليبيا

صور نفسية - ملامح ونماذج من المجتمع

غوى_____ة - بطل الصحراء

المنزلة_____دافى - نقد وتحليل وغربة

الامث_____ال - دراسته فى الادب الشعبى

دراسة فى - اللهجة العامية_____ه

القلاية المزيفة_____ت - مجموعة قصص مصرية

حقيـدة ليـبيا

مجموعة كتب ستتناول دراسات ادبية اجتماعية

تاريخية عن ليبيا تصدر حلقات سلسلة



على مصطفى المصراتى

- من ابناء المهاجرين المجاهدين ، نشأ في القاهرة والاسكندرية
- دخل مدرسة الجلادين الاولى ببولاق
- تخرج من كلية أصول الدين ونال العالمية سنة ١٩٤٦
- نال اجازة التدريس مع العالمية من تخصص كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٩
- فكان اصغر عالم يحوز الشهادة العالمية
- طاف انحاء ليبيا سنة ١٩٤٨ خطيبا داعيا للاستقلال لمواجهة لجنة التحقيق الرباعية التي اوفدتها هيئة الامم للاستفتاء
- خطيب مرتجل من الطراز الاول
- كاتب له عدة مؤلفات وبحوث دراسية أدبية
- ذهب للحجاز مرتين
- اشتغل بالتدريس والصحافة فترة في مصر
- قدم له الدكتور طه حسين كتاب فردوس الادباء فقال عنه «لمحت فيه طموحا»
- يشغل الان منصب مدير الاذاعة المحلية لطرابلس الغرب

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

